الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية

تأليف الإمام مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ

تحقيق وتعليق

نجم عبد الرحمن خلف



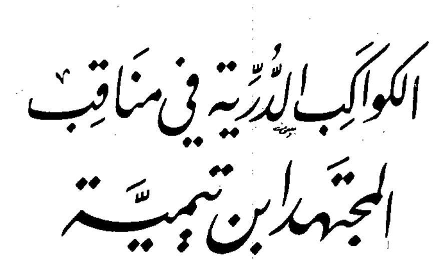
حقوق الطبع محفوظة

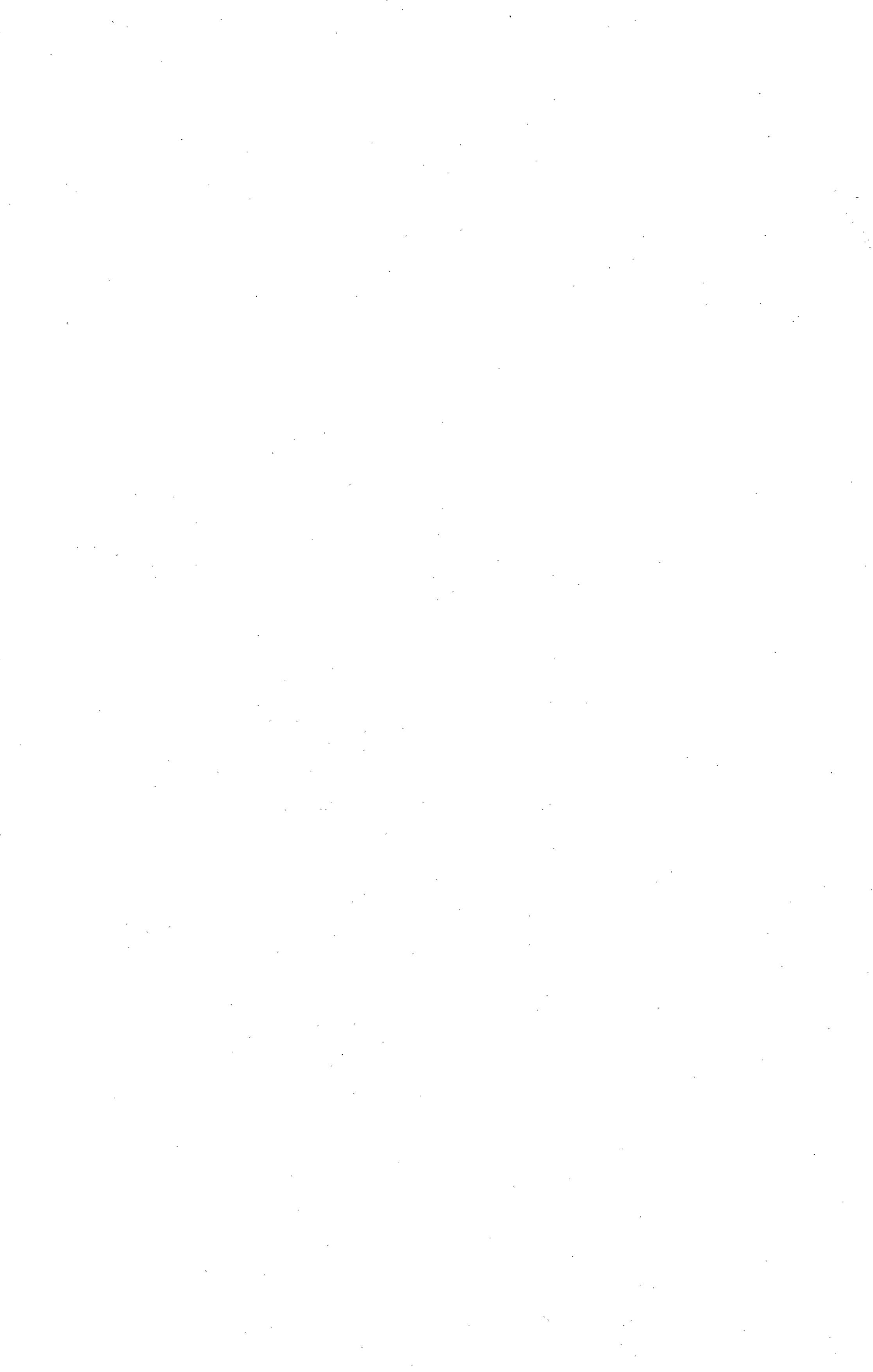
الطبعة الأولى

1406 هـ - 1986 م

دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان


الكواكب الدرية في مناقب
المجتهد ابن تيمية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسَيِّئات أعمالنا. مَن يهدي الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلَه إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم.

أمـا بعـد؛

فإنَّ إخراج هذا الكتاب يمثلُ تلبية للدعوة التي ينادي بها الصالحون المصلحون إلى إحياء، ودراسة «سِيَرْ الرُّوَّاد» الذين جددوا لهذه الأمة أمر دينها، وأمدُّوها بالفاعلية، ونهضوا بها من الضعف والهوان، وأعادوها إلى موضع الصدارة والعنفوان. ليكون هذا الإحياء المُوَجَّه علاجاً لما تعاني منه الأمة اليوم من السقوط، والتخلف، والهزيمة.

فلا بدّ إذن ـ والحالة هذه ـ من التأصيل الثقافي، والتحصين التربوي، وزيادة التركيز على عوامل النهوض في تاريخ الأمة. ودرس النماذج الحَيَّة التي ساهمت بالفعل في نهضتها، واسترداد كرامتا. فإنَّ في استحضار سير هؤلاء الأفذاذ دروساً وعبراً مؤثرة، واستنهاضاً لهمم المسلمين في التأسي والاتباع.

وهذا الكتاب «الكواكب الدُّرِّيَّة» في سيـرة كوكب منير من كواكب هذه الأمة، ذلك هو الإمام، شيخ الإسلام، ابن تيمية، انعالم المجاهد، الذي

حمل السيف والقلم، وجمع في شخصيَّته الفذّة بين العلم والجهاد.

أقول: إنَّ هذا الكتاب بما اشتمل عليه من سيرة هذه الشخصيَّة التقية القوية المعطاة يصلح أن يكون درساً معبراً ومؤثراً للجيل المسلم المعاصر؛ لينهض من جديد فيرفع الذل والهوان والهزيمة.

وتشاء قدرة الله أن يولد هذاا لمصلح في فترة عظمت فيها الآفات والأزمات، وكثرت فيها الخلافات والانقسامات، فهناك أزمة في الروح، وأزمة في الفكر، وآفات اجتماعية، وانحرافات سياسية، وعلل نفسية. وكأن الحال يحكي صورة مقاربة لواقعنا اليوم.

وُلِدَ ابن تيمية في هذه الظروف المضطربة، عام (٦٦١هـ) بدمشق، ولم يمضِ على تدمير بغداد ـ بلد الخلافة ـ سوى خمس سنوات على يد التتار، ودخولهم بعد ذلك حلب ودمشق، ورأى شيخ الإسلام آثار الخراب والدَّمار في هذه البلاد، وسمع عن الأهوال والمجازر والفظائع التي ارتكبها التتار في بلاد الإسلام. ورأى بنفسه وهو في بلده «حرَّان» ـ وكان صبياً لم يتجاوز السابعة من العمر ـ كيف انطلق والدُهُ به وبإخوته تحت جنح الظلام، عندما داهمهم خطر التتار. فسارت عائلته بالليل، ومعهم كتب العلم محمولة على عجلة لعدم وجود الدَّواب، وامتحنت العائلة بوقوف العجلة في الطريق، حتى كاد العدوُّ يَلْحَقُهم. فابتهلوا إلى الله سبحانه، واستغاثوا به، فَنَجَوا وَسَلِموا، وقدموا دمشق في أثناء سنة (٦٦٧هـ).

نشأ ابن تيمية بدمشق أتمَّ النشأة وأزكاها، وأنبته الله نباتاً حسناً، فحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، واشتغل بحفظ الحديث وسماعه، مع ملازمته مجالس الذكر، وقرأ دواوين الإسلام الكبار من كتب السُّنة. كلُّ ذلك وهو ابن بضع عشرة سنة، ولكنه في نفس الوقت لم يَنْسَ ما صنعه التتار بالمسلمين، ولم يُغفل عوامل الضعف والهوان التي نخرت بالأمة الإسلامية حتى أضحت قصعة مباحة للأعداء، يعبثون بها. فجنَّد نفسه بكلِّ طاقاتها ليعيد لأمته ثقتها بربها ودينها. فمضى يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، لا يخاف

في الله لومة لائم، وكان له في ميدان القلم واللِّسان، وميدان السَّيف والسِّنان مواقف وعِبَر أثمرت جيلاً من الرجال، أعادوا إلى الأمة روح الجهاد والتضحية، والثقة بالله ونصره، فكان شيخ الإسلام يقول للمسلمين من حوله ـ وهو يخلع عنهم لباس الجبن والهلع ـ: «لنْ يخافَ الرجل غيرَ الله إلاّ لمرضٍ في قلبه»[1].

وكان سلوك الإمام ابن تيمية ترجماناً لما يقول وينصح، وتكفي معركة «فتح عكة» في التدليل على ذلك. فقد رأى الناس فيه أموراً من الشجاعة والإقدام، يعجز الواصف عن وصفها. وكان له من العمر يومذاك (٢٨) عاماً. حتى تمَّ الفتح بسببه، وكان تملك المسلمين لِعَكَّة بفعله ومشورته.

وكان من نتاج ذلك أيضاً موقعة «شقحب» التي انتصر فيها المسلمون على التتار انتصاراً ساحقاً سنة (٧٠٢هـ). وهذا الكتاب الحافل فيه الغُنية عن إيراد الأمثلة وتسطيرها، فإنه أطنب في بيان جهاد الإمام ابن تيمية في كل ميدان من هذه الميادين فأحسن وأطاب.

فما أحوج المسلمين اليوم إلى النظر والاعتبار بسيرة هذا الإمام الكبير الذي لم يُقْصِر جهاده على ميدان واحد، وإنما تمثلت فيه الشمولية في فهم هذا الدين. فإن للجهاد ميادين متنوعة، ولا بدّ للمسلم أن يقدم في كلٍ منها جهده واستطاعته. فينافح عن الإسلام بالفكر والكلمة، كما يذود عنه بالحركة الفاعلة. وهذه أبرز فائدة نرجوها، ونطمح إليها من وراء بعث هذا السِّفر القيّم. ليتذكر الجيلُ المسلم تاريخه وتراثه، ويذكر النبلاء من العلماء والمصلحين الذين حملوا هذا التراث الإلّهي الخالد، فعاشوا به وله، حتى صنعوا هذا التاريخ العظيم الذي نفخر به اليوم.

ولسنا نطمح إلى التذكر النظري المجرد السلبي، بل نقصد إلى التذكر الإيجابي الذي يجعل سَيِّر هؤلاء الأئمة الأفذاذ دليلاً هادياً، يدعو إلى العبرة

---

(١) البزار ـ الأعلام العلية: ص ٧٤.

والدَّرس، والمتابعة والتأسي، وكذلك يكون التعامل المجدي مع التاريخ. وكذلك تكون صورة العلم النافع، وبدونها يصبح استحضار التاريخ وإحيائه هروباً من الواقع، وضرباً من المتعة والتسلية، وملأ الجعبة بالمعلومات، كنوع من أنواع الترف الثقافي البارد.

* * *

وقد اشتمل هذا الكتاب «الكواكب الدُّرِّيَّة» على فوائد جليلة أخرى، نتعرض إلى ذكر بعضها بإشارات موجزة:

١ ـ أطنب الإمام مَرْعي الكَرْمي في عرضه لمحنة شيخ الإسلام ابن تيمية، وما صاحب ذلك من مجالس ومناظرات، وإيذاء بالقول والفعل. وكان ختام هذه المأساة موت الإمام ابن تيمية سجيناً مظلوماً في ديار الإسلام. وقد بلغ الشطط والتجاوز، والعصبية الذميمة أن أصدر الفقيه محمد بن محمد علاء الدين البخاري المتوفى سنة (٨٤١هـ) فتواه بتكفير ابن تيمية، بل وكفَّر كلَّ مَن نَعَتَهُ «شيخ الإسلام»، وذلك بسبب إفتاؤه بمسألة «الطلاق الثلاث» في كونه أوقع من ثلاث طلقات مجموعة، أو متفرقة قبل رجعةٍ طلقة واحدة.

والشيخ علاء الدين هذا يعلم أنَّ ابن تيمية إمام مجتهد، وقد وصفه بالاجتهاد أئمة عصره كالحافظ المِزي، والبرزالي، وابن سَيِّد الناس، والذهبي، وعشرات من الأئمة غيرهم. وهو يعلم أيضاً أنه لا يجوز الطعن على المجتهد فيما ذهب إليه مما قام عليه الدليل عنده، بل يجب عليه العمل به، وهو في كلِّ الأحوال مأجور. على أنَّ مسألة الطلاق قال بها غيره من أكابر الصحابة، والتابعين، كما هو مروي عن علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس(١).

وقد تصدى للردِّ على هذه المقالة الجائرة الإمامُ الحافظ، أبو عبد الله

(١) انظر تفاصيل ذلك في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية: ٣٣/٨٢ ـ ٨٨ وفي مواطن أُخرى من المجلد نفسه.

محمد بن أبي بكر بن ناصر الدِمشقي المتوفى سنة (٨٤٢هـ). فأفرد لذلك مجلداً حافلاً سطَّرَ فيه شهادات العلماء، وثناءَهم الجميل على شيخ الإسلام ابن تيمية، وأسماه: «الرد الوافر»[1]، ثمَّ قام بتلخيصه مؤلف هذا الكتاب؛ الإمام مرعي الكَرْمي، وزاد عليه زوائد لطيفة، وأسماه «الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية»[2].

وهذه القضية الخطيرة المتمثلة بالطعن والتشهير بسبب الخلاف الفقهي وغيره، طالما تكررت على مدار التاريخ الإسلامي، وعانت الأمة من ويلاتها الكثير. إذْ كيف يساغ أن يوصف أمام مثل ابن تيمية بالكفر؟! وكيف يجوز أن يودع السجن ويترك هكذا مظلوماً حتى يموت؟!.

إنَّ ابن تيمية هو الإمام الذي كان سيفاً صارماً على المبتدعين، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وله مع أعداء الله من التتار وأهلِ الكتاب صولات وجولات، وكتب مقالات يعرفها الخاص والعام.

وَهَبْ أن ابن تيمية أخطأ في اجتهاده، وخالف الجمهور في مسألة، أو مسائل: فأي دليل شرعي يسيغ الجرح والتشهير في المجتهد المالك للدليل؟! بل الدليلُ ينصُّ على أنه مأجور غير مأزور. وباب العذر لأمثال هذا الإمام الكبير ينبغي أن يكون واسعاً؛ إنْ كان هناك ما يقتضي النقد والمؤآخذة. ولكنه الهوى، والعصبية البغيضة، والجرأة على الخوض في الأعراض، والتهاون في مراعاة حرمة الأخوة في الله تعالى. ورحم الله القاضي ابن فضل الله العمري الشافعي (ت ٧٤٩هـ) إذ يقول في قصيدة طويلة يرثي بها شيخ الإسلام:

قالوا بأنكَ قَدْ أَخْطَأتَ مسألةً ... وقد يكون، فهلا منك تُغْتَفَرُ
غَلَطتَ فِي الدَّهر، أو أخطأت واحدةً ... أما أَجَدتَ إصابات فَتُعْتَذَرُ

---

(١) طبع بتحقيق الأستاذ زهير الشاويش سنة ١٣٩٣هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
(٢) طبع بتحقيقنا سنة ١٤٠٤هـ، دار الفرقان ومؤسسة الرسالة بعَمَّان.

ومَن يكـونُ علَى التحقيق مجتهداً   له الثوابُ على الحالينِ لا الوَزَرُ[1]

* * *

٢ ـ اشتمل هذا الكتاب على صور من الأدب الرفيع الذي كان يتحلَّى به شيخ الإسلام ابن تيمية مع مخالفيه، رغم تجاوزاتهم في حقه، وظهور أخطائهم. وهي مواقف ذات إيحاءاتٍ تربوية للدعاة والعاملين في التحلِّي بالخلق، والتجمل بالصبر، واستعمال الرفق في إيصال كلمة الحق.

ففي سنة خمس وسبعمائة شكا جمع من الصوفية ممن ينتسبون إلى الطريقة الأحمدية، والرفاعية، المنتسبتان إلى الشيخ أحمد الرفاعي، شيخ الإسلام إلى نائب السلطنة، وطلبوا عدم معارضة ابن تيمية لهم، وترك إنكاره عليهم، وطلبوا حضوره. فحضر ابن تيمية، وجرى بينهم كلام كثير، وكان مما قاله شيخ الإسلام، موضحاً سبب معارضته لهم، وإنكاره عليهم:

«إنهم وإن كانوا منتسبين إلى الإسلام، وطريقة الفقر، والسلوك، ويوجد في بعضهم من التعبد والتأله والوجد والمحبة، والزهد والفقر، والتواضع ولين الجانب، والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة، والكشف والتصرف، فيوجد أيضاً في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر والبدع في الإسلام، والإعراض عن كثير مما جاء به الرسول ـ صلّى الله عليه وسلم. . »[2].

إنَّ القارىء لهذه السطور يلاحظ في كلام الشيخ حكمةَ الداعيةِ، ولباقته، وصدقه، وإنصافه، وأدبه، ورفقه. فإن شيخ الإسلام ـ وهو يتصدى لإصلاح تجاوزات الصوفية، ويعمل على إيصال كلمة الحق إليهم ـ ابتدأ حديثه معهم بذكر محاسنهم وفضائلهم. بل وأطنب في ذلك، ثمَّ عمد إلى مساوئهم، وبدعهم، فذكرها محذِّراً، دون أن يرمي بها واحداً معيناً منهم.

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٥٣٠، مرعي الكرمي ـ الشهادة الزكية: ص ٦٨.
(٢) انظر فصل «فصل في توجه الشيخ إلى مصر، ومحنته بها» من هذا الكتاب.

فجمع بين المدح والقدح، وقدَّم الأقرب إلى نفوسهم، وما هو من شأنه يعين على صفاء القلوب، وتهيئتها لسماع كلمة الحق، وقبولها. وهو أسلوب شرعي كريم، مخالف لطريقة التبكيت، والإهانة، والسخرية، الذي من ثماره قطع طريق الحوار بالتي هي أحسن بين الإخوة المتنازعين لاختلاف مشاربهم، وهو الأمر الذي من شأنه أن يُفوِّت على المصلح الوصول إلى هدفه الكريم في إرضاء ربه، وإصلاح إخوانه.

* * *

٣ ـ وقد ظهر خلق ابن تيمية الممزوج بالورع والحكمة، والبراءة من التشفي والانتقام من مخالفيه، وإن بلغ أذاهم فيه كلَّ مبلغ. وأنَّ سعيه وجهاده من أجل رفع بناء، يقول ابن تيمية:

«إنَّ السلطان لما جلس بالشباك، أخرج فتاوى لبعض الحاضرين في قتله. واستفتاني في قتل بعضهم. قال ابن تيمية: ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقاً شديداً عليهم لما خلعوه، وبايعوا الملك المظفر، ركن الدين بيبرس الجاشنكير. فشرعت في مدحهم، والثناء عليهم، وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد دولتك مثلهم، وأما أنا فهم حِلٍّ من حقي، ومن جهتي، وسكَّنْتُ ما عندهُ عليهم»(١).

وكان من آثار هذا الموقف النبيل، ما قاله القاضي زين الدين ابن مخلوف، قاضي المالكية، وهو في غاية التأثر:

«ما رأينا أفتى من ابن تيمية، لم نبق ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا»(٢).

وهكذا يصنع المصلح الرباني، فإنه يجاهد لنصرة الله ودينه، وليس يجاهد لنصرة شخصه، وإبراز مكانته. وهو إنما يبغض تجاوزات إخوانه

---

(١) انظر الفصل السابق، والعقود الدرية: ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) انظر المصدرين السابقين.

وانحرافاتهم، وليس بغضه لذواتهم وأشخاصهم. فهو لا يتشفى ولا يحقد. وكأنني بشيخ الإسلام في تلك الوقفة النبيلة ـ التي تُنْبيءُ عن الإتزان، والضبط، والورع عند الفتنة، وصدق الأخوة وسماحتها عند الاختلاف والخصومة ـ يعيد للتاريخ وقفة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص حين جاءه ذلك المفتون، يريد الوقوع في خالد بن الوليد عنده ـ وكان ساعتها بين سعد وخالد كلام ـ فأراد هذا المريض استثمار ذلك، فقال له سعد ـ رضي الله عنه ـ: «مه!! إنَّ ما بيننا لم يبلغ ديننا»(١).

وسبحان الله فإنَّ في موقف ابن تيمية، وموقف خصومه تباين كبير، ينبيك عن قيمة العلم إذا اقترن بالتربية والورع، وخطورته إذا تضخم، وضمرت مقوماته. فإنما يُراد العلم ويطلب ليُتعبد به، ولتظهر آثارُه في المواقف والسلوك.

* * *

٤ ـ وحينما بلغ المرض بشيخ الإسلام مبلغه، واشتدَّ عليه بضعة وعشرين يوماً، وهوسجين في «القلعة». مريض، مظلوم، جرّدوه حتى من كتب العلم التي كانت سلوته في السجن. وبينما هو في هذا الحال ـ الذي يدعو إلى الحنق والغضب، والبغض والكراهية بكل مَن تسبب في إيذائه ـ يستأذن الملك شمس الدين الوزير بدمشق للدخول عليه، فيأذَنُ الشيخ له في ذلك. فيجلس الوزير عنده، معتذراً له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحلله مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير. فيجيبه شيخ الإسلام بقوله:

«إني قد أحللتك، وجميع مَن عاداني؛ وهو لا يعلم أني على الحق».

ثم يخص السلطان بالعذر، وهو الذي أمر بحبسه، فيقول:

«إني قد أحللت السلطان المعظم، الملك الناصر من حبسه إياي، كونه فعل ذلك مقلداً غيره معذور. أو لم يفعله بحظ نفسه، بل لما بلغه مما

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت وآداب اللِّسان» رقم ٢٤٨، باب ذبُّ المسلم عن عرض أخيه، وإسناده صحيح.

ظنه حقاً من مُبَلِّغِه، والله يعلم أنه بخلافه». ثم يعمم عفوه لكلٍّ من خالفه، وآذاه من المسلمين، فيقول:

«وقد أحللت كلَّ أحدٍ مما بيني وبينه؛ إلّا مَن كان عدواً لله ورسوله»[1].

وهذه الكلمات ـ التي تفيض رحمة، وعاطفة، وشفقة ـ لا تحتاج إلى تعليق، فإنها صور معبرة مؤثرة تبرز مقدار الحب والإشفاق اللذان كان يجيش بهما قلبُ هذا الإمام الكبير.

وقد وقفت على فائدة نفيسة، تدلُّ على ورع شيخ الإسلام، وسعة صدره، وحبه للمسلمين، ساقها الإمام الذهبي في ترجمة الإمام الأشعري.

قال الذهبي:

«رأيتُ للأشعري كلمة أعجبتني ـ وهي ثابتةٌ ـ رواها البيهقي: سمعت أبا حازم العبدري، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لَمَّا قرب أجلُ أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني، فأتيته، فقال: إشهد عليَّ: أني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، لأنَّ الكلَّ يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات.

قلت ـ والكلام للذهبي ـ: وبنحو هذا أدين. وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي ـ ﷺ ـ: «لا يحافظ على الوضوء إلّا مؤمن»[2] فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم»[3].

وهو كلام في غاية الصفاء والإشراق والأهمية، صَدَرَ من هؤلاء الأئمة

---

(١) انظر «فصل في ذكر وفاة الشيخ ابن تيمية» من هذا الكتاب.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» ١/٩٦، كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء، رقم ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦. وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن): رقم ١٦٤.

(٣) الذهبي ـ سير النبلاء: ١٥/٨٨.

الكبار: الأشعري، وابن تيمية، والذهبي في أواخر حياتهم المباركة الحافلة. وهو يمثل خلاصة تجاربهم، وزبدة ما انتهوا إليه في اجتهادهم وحرصهم، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

* * *

٥ ـ وفي الخامس من رمضان، سنة خمس وسبعمائة وَرَدَ مرسوم السلطان إلى دمشق بإحضار ابن تيمية إلى مصر، بعد أن أوغر المفترون صدرَ الجاشنكير، سلطان مصر، وأوهموه أنَّ ابن تيمية يريد إخراجهم من الملك، وإقامة غيرهم. فلما وردَ هذا المرسوم إلى دمشق مانع نائب الشام، وقال: قد عُقد له مجلسان بحضرتي، وحضرة القضاة والفقهاء، وما ظهر عليه شيء.

فقال الرسول لنائب دمشق ـ مستخدماً الدسيسة ـ: أنا ناصح لك، وقد قيل: إنه يجمع الناس عليك، وعقد لهم بيعة. فجزِعَ من ذلك نائب دمشق وأرسل ابن تيمية على البريد.

ولما رأى أُمراء الجنكيزخان قيام شيخ الإسلام في نصر الدين، وإظهار الحق، وأصلاح الناس، ناقشوا أمره، ووجهوا دسائس رسلهم إلى السلطان الأعظم، الملك الناصر لدين الله، يشُونَ به، ويحرضونه عليه. فأمر السلطان بإحضاره، فلما حضر ابن تيمية بين يديه، قال له السلطان:

«إنني أُخبرت أنك قد أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك».

فلم يكترث به شيخ الإسلام، بل قال له بنفس مطمئنة، وقلب ثابت، وصوت عال، سمعه كثير ممن حضر:

«أنا أفعلُ ذلك؟! والله إنَّ ملككَ، وملك المُغل لا يساوي عندي فَلْسَيْـن». فتبسم السلطان لذلك، وعلم أنه صادق، وأن ما بلغه عنه من الأقاويل زور وبهتان(١).

وكذلك يفعل الماكرون من المفسدين والنمامين والقتاتين في كلِّ زمان

---

(١) البزار ـ الأعلام العليّة: ص ٧٤ ـ ٧٥.

ومكان. فكلما ظهر بأرض قائم لله بحجة، يرشدُ الناس، ويأخذ بأيديهم إلى الهدى، ويجمع شتاتهم المبعثر، وينفخ فيهم روح أسلافهم، ألا تحركت بطانات السوء، وأغروا الحاكم بما يشيعونه من أقاويل الزور والبهتان ـ بأنَّ هؤلاء المصلحون يريدون أن يخرجونكم من ملككم، ويتآمروا عليكم. وأنهم يُسَيِّسُونَ الدين ليبلغوا أهدافهم في الحكم، إلى غير ذلك من الافتراء والكذب. ويظل هؤلاء المصلحون في كلِّ عصر ومصر يجهرون بما جهر به شيخ الإسلام بكل صدق وبراءة: «أنا أفعل ذلك؟! والله إنَّ ملكك، وملك المُغل لا يساوي عندي فَلْسَيْن».

ولو أراد هؤلاء النبلاء المصلحون عَرَضَ الدنيا، وزخرفها الزائل لسلكوا إليه مسلك أهله وطلابه، الذين ينهجون كل منهج، ويهيمون في كلِّ واد، ويخوضون مع كلِّ خائض للوصول إليه، وصدق الله العظيم:

﴿ قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عليهِ مِنْ أَجْرٍ وما أنا من المُتَكَلِّفِيْنَ، إنْ هو إلّا ذكرٌ للعالمين، وَلَتَعْلَمُنَّ نبأَهُ بعد حين ﴾[1].

* * *

٦ ـ ولما فجعت الأمة بموت شيخ الإسلام، رثاه كثير من الفضلاء، والأئمة العلماء، بقصائد جمَّةٌ. فقد رثاه جماعات من صلحاء الناس بالشام، ومصر، والعراق، والحجاز، والعرب من آل فضل[2]. ومن بين هذه القصائد؛ قصيدة لرجل بالديار المصرية، وهو: بدر الدين، محمد بن عز الدين أندمن المغيثي. قال عنه الإمام ابن عبد الهادي: «رجل فاضل، له محفوظات متنوعة، وفيه ديانة، وصلابة في دينه»[3].

يقول في مطلعها:

---

(١) سورة ص، الآية: ٨٦ ـ ٨٨.

(٢) انظر «فصل فيما رثي به الشيخ من القصائد بعد موته».

(٣) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٤٩٧.

خطبٌ دنا فبكى لـه الإسـلام ... وبكتْ لعظمِ بكائـهِ الأيـامُ

ومنها أيضـاً:

وبكتْ لـهُ الأرض الجليدةُ بعدما ... أضحى عليها وحشـةٌ وقِتَـامُ

وتـزلـزتْ كـلُّ القلوب لفقـده ... وتـواتـرت مـن بعـده الآلامِ

وتفجـع الـدينُ القـويمُ لفقـده ... وبقى غـريبـاً يُبتلى ويُضـامُ

ويقول أيضاً واصفاً شيخ الإسلام:

فـالأمـرُ بـالمعـروفِ يُفقـد بعده ... والفـاعلونَ النُّكـر ليسَ يُـلامـوا[1]

وهذا الجندي الذي فاضت مشاعره الإيمانية بهذه الأبيات المعبرة ما هو إلّا تلميذ من تلاميذ ابن تيمية، أحسن الشيخ تربيته وتوجيهه فكان رِثاؤه لشيخه، وحزنه عليه منبعثاً من حزنه على هذا الدين الذي افتقد إماماً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر.

فـالأمـرُ بـالمعـروفِ يُفقـدُ بعـده ... والفـاعلونَ النُّكـر ليس يُـلامـوا

وهذه المسألة توقفنا على شمول مدرسة ابن تيمية، وأنه لم يقتصر في تربيته وتوجيهه على الصفوة من طلبة العلم، وأهله. وإنما كان يهتم بفصائل المجتمع الإسلامي وطبقاته دون استثناء فيتعهد الجميع بالتربية والإصلاح.

وقد برز اهتمام شيخ الإسلام بالجند يوم وقعة «شقحب» التي هزم الله بها التتار على أيدي المسلمين، فكان يعظ الجند، ويتلو عليهم القرآن، ويقرأ عليهم الأحاديث، ويحثهم ويثبتهم، ويعبئهم نفسياً وعسكرياً. حتى تحولوا بهذا التوجيه خلْقاً آخر، مغايراً لما كانوا عليه من التخلف والخذلان والهزيمة، فارتقوا بهذه المعاني الخالدة ـ التي نفخها فيهم شيخُ الإسلام ـ إلى مواقع النصر والفاعلية. وكان ابن تيمية في مقدمتهم يترجم مواعظه ودروسه إلى مواقف، وعمل مشهود. حتى صنع الله بهم قدره المبارك في

---

(١) المصدرين السابقين.

هزيمة أعتى قوةٍ ضاربةٍ في ذلك الزمان.

* * *

٧ ـ ومن الدروس والعِبَر المستفادة من هذا الكتاب تلك الكتب والرسائل التي أوفدها جماعة كبيرة من العلماء الكبار من شتى البلدان الإسلامية. ينافحون بها عن ابن تيمية، ويصفونه بالاجتهاد، ويعتذرون عنه، ويلتمسون من سلطان المسلمين أن يخرج هذا الحَبْر من السجن[١].

وهذه الكتب الكريمة التي أرسلها جهابذة علماء بغداد، والشام، وغيرهم ستبقى وثائق جليلة، ذات أثر غائر في قلب كلِّ مَن يطلع عليها من المسلمين. فهي وإن حِيْلَ بينها وبين وصولها إلى سلطان المسلمين، فإنها صفحاتٌ مُشْرَقَةٌ مُشَرِّفَةٌ من مناصرةِ علماء المسلمين لبعضهم البعض، وتبيانِهم للحق، وذودِهم عنه.

وذبُّ المسلم عن أخيه أمرٌ حضَّ عليه الشارع، وحذَّر من عاقبة تخذيله. فعن جابر بن عبد الله، وأبي طلحة الأنصاريين، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال:

«ما من امرءٍ يخذلُ امرءًا مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عِرضه إلاّ خذله اللّهُ في موطن يحب فيه نصرته. وما مِن امرءٍ ينصرُ امرأً مسلماً في موطن ينتقص فيه مِن عرضه، وتنتهك فيه حرمته؛ إلاّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[١].

وعن أبي الدرداء، عن النبي ـ ﷺ ـ:

«من ردَّ عن عِرْضِ أخيهِ بالمغيبةِ، كان حقاً على اللّهِ أَنْ يردَّ عن عِرضهِ يومَ القيامة»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»: ٤/٢٧١.
وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم ٢٤٣ بإسناد حسن. وأخرجه أيضاً في «كتاب الغيبة» ورقة ٩ أ.

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه»: ٤/٣٢٧. وقال: هذا حديث حسن.

=

بل ذهب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى أَنَّ السُّكوتَ في مثل هذه الحالة يُعَرِّضُ السَّاكِتَ للمساءَلة يوم القيامة، يقول عمر:

«ما منعكم إذا رأيتم السفيهَ يخرقُ أعراضَ الناسِ أنْ تُعِرِّبوا[1] عليه»؟!. قالوا: نخافُ لِسانَهُ. قال: ذلك أدنى أَنْ لا تكونوا شهداء»[2].

ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية:

أجدني في حِلٍّ من صنع ترجمة موسعة للإمام ابن تيمية، وذلك لأنَّ هذا الكتاب «الكواكب الدرية» ما هو إلاّ ترجمة ضافية كافية لابن تيمية. تغني عن التكرار، لما اشتملت عليه من التفاصيل والجزئيات الدقيقة لحياته. والتي يصبح عملنا حيالها ضرباً من التكرار، ونوعاً من الإكثار الذي لا مبرر له. فآثرت الاستغناء بما تضمنه هذا الكتاب من سيرة هذا الإمام، واكتفيت ببعض الفوائد والعِبَر المستفادة من حياة هذا العالم المجاهد، وما صاحبها من أحداث وملابسات. ذكرتها بإيجاز في فاتحة الكتاب، والحمد لله الموفق للصواب.

ترجمة المصنف:

هو الإمام الفقيه مَرْعِي بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف الكَرْمي[3] ثم المقدسي، الحنبلي[4].

= وأحمد في «المسند»: ٤٤٩/٦.
وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت»: رقم ٢٤٠ بأسناد حسن.
والطبراني في «مكارم الأخلاق»: ص ٨٧ رقم ١٣٤.
والبيهقي في «السنن الكبرى»: ١٦٨/٨.

(١) التَّعْريب: تقبيحُ قول القائل، والرَّد عليه.

(٢) أخرجه عبد الله بن وهب في «الجامع»: ص ٥٩.
وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت»: رقم ٢٤٧ بإسناد صحيح، وفي «كتاب الغيبة»: الورقة ٩ ب.
وأورده الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»: ٥٤٥/٧.

(٣) نسبة إلى «طوركرم»: قريةٌ بقرب نابلس. (المحبي ـ خلاصة الأثر: ٣٥٨/٤).

(٤) مصادر ترجمتـه: =

وُلِدَ هذا الإمام في «طوركرم» بفلسطين، ونشأ هناك، ثم انتقل إلى «القدس» الشريف ـ فك الله أسره، وجميع بلاد فلسطين، وغيرها من بلاد المسلمين من أيدي المجرمين ـ وبعد ذلك ارتحل الإمام مرعي إلى القاهرة، فاستأنس بالحركة العلمية التي كانت تتميز بها مصر وقتذاك، فأثر الأئمة الكبار من رجال القرن العاشر ما يزال قائماً، ومتمثلاً بتلامذتهم ـ الذين كانوا خيرَ امتدادٍ لهم ـ كالإمام أبي الخير السخاوي (ت ٩٠٢هـ) والإمام السمهودي (ت ٩١١هـ) والإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) والإمام أبي العباس القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) والإمام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٨هـ) والإمام ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣هـ) والإمام نجم الدين الغيطي (ت ٩٨١هـ). وكان في مصر من الأعلام يوم أن حلَّ بها الإمام مَرْعي الكَرْمي عدد وافر من الأئمة الكبار، كالإمام العلّامة عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، والإمام إبراهيم بن حسن اللَّقاني (ت ١٠٤١هـ)، والإمام نور الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) وغيرهم كثير.

ولما طاب العيش للإمام مرعي في بلاد مصر، ووجد فيها ضالته المنشودة، عزم على الاستقرار بها، فألقى رحاله في القاهرة، واتخذها منطلقاً لبث علومه الشرعية، وأداء رسالته في تعليم الناس وإصلاحهم، حتى وافاه أجله فيها.

وقد تبوأ الإمام مرعي منزلة كبيرة في المذهب الحنبلي، فهو يُعدُّ من كبار علماء الحنابلة بمصر. كما ضم إلى ذلك علوماً أخرى. فهو إمام مبرز

= المحبي ـ خلاصة الأثر: ٣٥٨/٤ ـ ٣٦٩.
حاجي خليفة ـ كشف الظنون: ١٩٤٨.
البغدادي ـ هدية العارفين: ٤٢٦/٢ ـ ٤٢٧.
السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (مخطوط في التيمورية بمصر). بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ـ ملحق ٤٩٦/٢ ـ ٤٩٧، (الطبعة الألمانية).
الزركلي ـ الأعلام: ٢٣٧/١ ـ ٢٣٨.
كحالة ـ معجم المؤلفين: ٢١٨/١٢ ـ ٢١٩.

في الحديث وعلومه، والعقائد، وعلم الكلام، والأدب والشعر. فإنه كان ينظم الشعر، وله ديوان جيد، يقول في بعضه:

يا ساحرَ الطَّرفِ، يا منْ مُهْجَتي سَحَرا كَمْ ذَا تَنامُ، وكم أَسْهَرتني سَحَرا
لو كنتَ تعلمُ ما ألقاهُ منكَ لما أتعبتَ يا منيتي قلباً إليكَ سَرَى
هذا المُحِبُّ لَقَدْ شَاعَتْ صَبَابَتُهُ بالروحِ والنَّفسِ يوماً بالوصالِ شَرى

ومما يقول فيه أيضاً:

لئنْ قلَّدَ الناسُ الأئمة إنني لفي مذهبِ الحَبْرِ ابنِ حَنْبَلَ راغِبُ
أقلِّدُ فتواهُ، وأعشقُ قولَهُ وللناسِ فيما يَعْشَقونَ مذاهبُ

ومن شعره في تقريظ لمنظومة الإمام محمد الجَمازي على «أم البراهين»:

أهاذي خدورُ، أم بدور تمائِمُ وإلّا زهورٌ، أم ثغورٌ بواسمُ
وإلّا نجومٌ في السما وأهِلَّةٌ وإلّا شموسٌ أشرقتْ ونسائمُ
وإلّا بلابل في الصباح ترنَّمَتْ على إلْفِها لما شَجَتها الحمائمُ
وهاذي القوافي حيثُ رنَّحها الصبا غصونُ رياحٍ أم قدودٌ نَواعِمُ

ثم يقول:

معاني تَجَلَّتْ مُذْ تَحَلَّتْ بنظمِها يقومُ بها للطَّالبينَ مَواسمُ[1]

ولم تكن مشاركة الإمام مرعي في العلم مشاركة عامة، بل كان غائراً في العلومِ، متضلعاً فيها، فإنه وُصِفَ بالاطّلاع الواسع على نقول الفقه، ودقائق الحديث، وله المعرفة التامة بالعلوم المتداولة.

---

(١) مَرْعي الكرْمي ـ العقود الدرية: ورقة ٥١ أ.

آثاره العلميّة
المطبوع منها والمخطوط

ولم تصرف هذه التخصصات العلمية الشيخ مرعي عن أداء رسالته، والقيام بواجبه للعامة من هذه الأمة، بل خصَّها بالمزيد من العناية والاهتمام، فصنَّفَ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحَبَّرَ الرسائل، والكتب التي تعالج أدواء الأمة، وتصحح مسارها.

وقد قمتُ بتتبع وحصر لمصنفاته، فبلغت (٧٧) مصنفاً بين كتاب كبير، ورسالة. فألفيتها ذات قيمة كبيرة، ولم تقتصر على ميدان واحد، بل وجدتها تنتظم مساحة واسعة من العلوم.

وها هي أسماء مؤلفاته مرتبة على حروف المعجم، وقد بذلت وسعي في تحديد أماكن النسخ الخطية منها في مكتبات العالم، وبيان المطبوع منها مشفوعاً بمكان طبعه وسنته، ومحققه إن كان محققاً.

١ ـ الآيات المحكمات والمتشابهات. ذكره صاحب إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١/٧.

٢ ـ إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب ﴾. منه نسخة خطية في مدرسة الحاج حسين في الموصل رقم ١٣٧ ضمن مجموع.

٣ ـ إحكام الأساس في قوله تعالى: ﴿ إنَّ أول بيتٍ وُضِعَ للنّاس ﴾، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٤. رأيت منه نسخة في مكتبة الأستاذ

جميل أبو سليمان المستشار التعليمي السعودي بتونس.

٤ ـ إخلاص الوداد في صدق الميعاد، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٠.

٥ ـ إرشاد ذوي الأفهام لنزول عيسى ـ عليه السلام ـ، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٦.

٦ ـ إرشاد ذوي العرفان لما في العمر من الزيادة والنقصان، وهو مختصر من كتاب بهجة الناظرين، وأرواح الأشباح ومنه نسخة خطية في جامعة برنستون، جاريت برقم ١٥٣١ في (٨) ورقات. انتهى من تلخيصها سنة ١٠٢٢هـ، ومنه نسخة أخرى في مدرسة الحاج حسين في الموصل رقم ١٣٧ ضمن مجموع.

٧ ـ إرشاد مَن كان قصده لا إلّه إلّا الله، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٦.

٨ ـ أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٦٤.

٩ ـ أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٦٦.

١٠ ـ أقاويل الثقات في تأويل الصفات والآيات المحكمات والمتشابهات. ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد كتبت سنة ١٢٤٠هـ رقم ٢٧٦٣.

١١ ـ إيقاف العارفين على حكم أوقاف السلاطين، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/١٥٩.

١٢ ـ الأدلة الوفية بتصويب قول الفقهاء والصوفية، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٢.

١٣ ـ بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات يعرف «بإنشاء مرعي»، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية، كتبت سنة ١٠٨٥هـ ورقمها ٣٣. وقد طبع الكتاب تسع طبعات، آخرها في مطبعة الشيخ عبد الرزاق بمصر سنة ١٢٩٩هـ.

١٤ ـ البرهان في تفسير القرآن ـ لم يتمه ـ، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/١٧٩.

١٥ ـ بشرى ذوي الإحسان لمن يقضي حوائج الإخوان، ذكر صاحب إيضاح المكنون ١/١٨٤.

١٦ ـ بشرى مَن استبصر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/١٨٤.

١٧ ـ بهجة الناظرين في آيات المستدلين ـ وهو في عشرين كراساً ـ يشتمل على العجائب والغرائب. ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد، كتبت سنة ١١٨٣هـ ورقمها ٩٦٧٨.

١٨ ـ تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، ٧ و٢٦٠٢ و٤٢٨ Patna II ٢ و ٢٠٢٦ Paris.

١٩ ـ تحقيق البرهان في شأن الدُّخان الذي يشربه الناس الآن، ٤٢٤ و ١ Qawala، ٤ و ٢١٠٢ Gotha.

٢٠ ـ تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف، فرغ منه بالأزهر، سنة ١٠٢٣هـ ١٠ ورقات، قوبلت على نسخة المؤلف، جامعة برنستون، جاريت ١٥٣١.

٢١ ـ تحقيق الرُّجحان بصوم يوم الشك من رمضان، ٦٠ و٦٣٨ و Raad IX و Taimur.

٢٢ ـ تحقيق الظنون بأخبار الطاعون، ٦٣١٣: Berl، ١٦١٩/ ١٠٢٨. Verf ١. و Fragen ٢٠ و٢٠٢٦: Paris.

٢٣ ـ تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي الولاية، أو النبوة والرسالة، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٢٦٧.

٢٤ ـ تسكين الأشواق بأخبار العشاق، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٢٨٦.

٢٥ ـ تشويق الأنام إلى حج بيت الله الحرام، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٢٩٢.

٢٦ ـ تلخيص أوصاف المصطفى ـ ﷺ ـ وذكر من بعده مِنَ الخلفاء، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣١٧.
٢٧ ـ تنبيه الماهر على غير ما هو المتبادر مِنَ الأحاديث الواردة في الصفات، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٢٧.
٢٨ ـ تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، منه نسخة خطية في مكتبتي ترقى للقرن ١٢هـ في ١٢٠ ورقة، ونسخة في دار الكتب المصرية، كتبت سنة ١١٧٠هـ ورقمها ٢١٢٠، ونسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق، كتبت سنة ١٢٨٧هـ وفيها نقص كبير ورقمها ٨٤٨٨. ونسخة في المكتبة الوطنية بتونس رقم ١٨٥٥١.
٢٩ ـ تهذيب الكلام في حكم أرض مصر والشَّام، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٤٢.
٣٠ ـ توضيح البرهان في إثبات حقيقة الميزان، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٦.
٣١ ـ توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٣٨.
٣٢ ـ توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين، ٢٠ و٢٦٠٢ و٤٢٨ وPatna II.
٣٣ ـ الحجج البيِّنة في إبطال اليمين مع البيِّنة، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٩٤.
٣٤ ـ الحِكَم الملكية والكلم الأزهرية، ٥ و٢٠٢٦: Paris.
٣٥ ـ دفع الشبهة والغرر عمن يحتج عل فعل المعاصي بالقدر، ٢١ وI^2، و١٤٠ و Kairo VI . ومنه نسخة في المكتبة الوطنية بتونس بعنوان «رفع الشبه والغرر» نسخة ضمن مجموع رقمه ٧٨٦٥ من ورقة ١ ـ ٣٢.
٣٦ ـ دليل الحكام في الوصول إلى دار السلام، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٤٧٨.
٣٧ ـ دليل الطالب لنيل المطالب، اختصره من كتاب: «متن المنتهى»، طبع

مع حاشية محمد بن مانع في دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٦١م في ٣٢٦ صفحة.

٣٨ ـ دليل الطالبين لكلام النحويين، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٤٧٩.

٣٩ ـ ديوان الكرمي، وهو ديوان شعر للمصنف ـ رحمه الله ـ، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٢٦.

٤٠ ـ رفع التلبيس عمن توقف فيما كفر به إبليس، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٧٨.

٤١ ـ روض العارفين وتسليك المريدين، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٨٩.

٤٢ ـ رياض الأزهار في حكم السَّماع والأوتار، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٩٩.

٤٣ ـ الروض النضر في الكلام على الخضر، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٩١.

٤٤ ـ سلوان المصاب بفرقة الأحباب، ٦ و I ٢٠٤ : Garr، ٣ eb.

٤٥ ـ سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٢٥.

٤٦ ـ السِّراج المنير في استعمال الذهب والحرير، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٧.

٤٧ ـ شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٥٠. اطلعت على نسخة منه في مكتبة الأستاذ جميل أبو سليمان المستشار التعليمي السعودي بتونس.

٤٨ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأَئِمة على ابن تيمية. وقد قمتُ بتحقيقه معتمداً على نسختين خطيتين كلاهما من (لابدبيرج)، وطبع بعناية دار الفرقان، ومؤسسة الرسالة، بعمان سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م، ثم وقفت عل نسخة ثالثة في المكتبة الوطنية بتونس، ضمن مجموع رقمه ٧٨٦٥ من الورقة ٣٢ ـ ٦٢. وهي نسخة نفيسة، عليها تصحيحات، وهوامش كتبت في

حياة المؤلف. وسأدخلها في الطبعة القادمة إن شاء الله.

٤٩ ـ غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى ـ في الفقه الحنبلي ـ ومنه نسخة خطية في مكتبة الأوقاف ببغداد، كتبت سنة ١٢٧٢هـ ورقمها ٨٣٨٠، ونسخة أخرى برقم ٤٠٥٢، وقد طبع في دمشق، منشورات دار السلام، ١٩٥٩م في ثلاثة أجزاء.

٥٠ ـ فتح المنان بتفسير آية الامتنان، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/١٧٤.

٥١ ـ فم الوكاء في كلام السفيان من ألفاظ المهملات في التكفير، و٥٤٦ eb. VII ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب ٢/٤٨٤..

٥٢ ـ فرائد فوائد ـ الفكر في الإمام المهدي المنتظر، و١٦١ : VI[1] Kairo، ١٥٢٧ : Garr، ١ و٢٠٢٦ : Paris ٣٣٧ و I[2].

٥٣ ـ الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، طبع بتحقيق الأستاذ محمد الصباغ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٧هـ.

٥٤ ـ قُرَّة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٢٢٥.

٥٥ ـ قلائد العقيان في فضائل آل «ملوك» عثمان، وهو تاريخ للدولة العثمانية، وسلاطينها، أوله مقدمة عن فضل السلطنة والسلطان، ثم يذكر سلاطين آل عثمان، فرغ منه سنة ١٠٣١هـ نسخة منه في المغرب، الخزانة العامة بالرباط برقم ٢٣٨٠ في ٤٠ ورقة.

٥٦ ـ قلائد العقيان في قوله تعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٢٣٨.

٥٧ ـ قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ مِن القرآن، منه نسخة خطية في جامعة برنستون، جاريت برقم ٦٠ في ٣٢ ورقة كتب سنة ١١٥٧هـ، ونسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة من ورقة (١٠١ ـ ١٤٥) رقم ٢٣٠٥١ ب.

٥٨ ـ القول البديع في علم البديع، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٢٤٧.

٥٩ ـ القول المعروف في فضائل المعروف، جمع فيه أربعين حديثاً في هذا

الموضوع. منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية، ضمن مجموع رقم ٢٧٢ مجاميع.

٦٠ ـ الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٣٧٨.

٦١ ـ الكلمات السنيات في قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٧.

٦٢ ـ الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، وهو ترجمة لحياة شيخ الإسلام ابن تيمية، جمعها من مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي، والبزار، وأحمد بن فضل. فرغ منه سنة ١٠٢٧هـ. منه نسخة خطية في لاندبيرج ٢٤٣ بخط المصنف، ٥٠ ورقة وبريل: ١٠١٢٨. وقد طبع في كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ وهو كتابنا هذا.

٦٣ ـ لطائف المعارف، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٠٥.

٦٤ ـ اللفظ الموطأ في بيان الصلاة الوسطى، ومنه نسخة خطية في المكتبة التيمورية، ضمن مجموعة، كتبت سنة ١٣٠٧هـ، ورقمها ٣٩٥ مجاميع.

٦٥ ـ مما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٢١.

٦٦ ـ محرك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٤٣.

٦٧ ـ مرآة الفكر في المهدي المنتظر، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٦١.

٦٨ ـ مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النَّسب، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٧٧. منه نسخة في المكتبة الوطنية ـ بتونس ضمن مجموع رقمه ٧٨٦٥ من الورقة ٦٢ ـ وقد اطلعت عليها ٧٥.

٦٩ ـ المسائل اللطيفة في فسخ الحج والعمرة الشريفة، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٧.

٧٠ ـ مقدِمة الخائض في علم الفرائض، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٥٤٣.

٧١ ـ منية المحبين وبغية العاشقين، ١٧٠: Alex. Adad. ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٥٦٧.

٧٢ ـ المَسَرَّة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة، وهي رسالة في السياسة والحكم قسمها إلى أربعة أبواب في فضل السلطنة، ومهام من يتولاها، وفضل الوزارة، ومهام الوزير. وقد فرغ منه سنة ١٠٣٢هـ. نسخة منه في مكتبة الكونجرس، رقم (١٠٥) الشرق الأدنى في ١٦ ورقة، نسخة كتبت عن نسخة المصنف.

٧٣ ـ نزهة المتفكر، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٦٤١.

٧٤ ـ نزهة الناظرين في تاريخ مَن ولي مصر مِنَ الخلفاء والسلاطين، وهو تاريخ مختصر لمصر مِن قبل الفتح الإسلامي لها ومروراً بكل الدول الإسلامية التي حكمتها حتى الدولة العثمانية في عهد أحمد باشا. نسخة منه في برنستون رقم ٦٠٧ في ١٠٣ ورقات، كتبت سنة ١٠٦٤م. وأخرى في المغرب، الخزانة العامة بالرباط رقم ٢٣٤٧ كتاب في ٨٤ ورقة. ونسخة في دار الكتب المصرية، ضمن مجموع مئة ورقة (١ ـ ١٧٦) رقم ١١٧٠٦ح. وأخرى كتبت سنة ١٠٤٢هـ ورقمها ٢٠٧٦.

٧٥ ـ نزهة الناظرين في الوصول في فضائل الغزاة والمجاهدين، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٦٤٢.

٧٦ ـ نزهة نفوس الأخبار، ومطلع مشارق الأنوار، من نسخة في الأزهرية في مجلد عدد أوراقه ٢٦ ورقة رقم [٢٤١٩].

٧٧ ـ النادرة الغريبة والواقعة العجيبة (مضمونها شكوى من الميموني والحَطّ عليه)، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٦١٤.

شيـوخـه:

لم أقف إلّا على القليل من الشيوخ الذين تكوَّن بهم الإمام مرعي وذلك لِشَحَّة المادة المدونة في حياته، ومن هؤلاء العلماء الأعلام الذين تلقًى عنهم العلم:

الإمـام العلّامـة المفسر، المحـدث، الواعظ محمـد بن محمد بن عبد الله الأكراوي، القلقشندي، المعروف بمحمد حجازي الواعظ. من كتبه «فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير» في اثني عشر مجلداً و«سواء الصراط» في أشراط الساعة، و«القـول المشروح في النفس والـروح»، و«البرهان في أوقاف السلطان». توفي بالقاهرة سنة ١٠٣٥هـ[١].

كما تلقى العلم عن الإمام المحقق، عالم مصر وفقيهها أحمد بن محمد بن علي الغنيمي، الأنصاري، الخزرجي، شهاب الدين. له العديد من الشروح والحواشي في الأصول، والمنطق، والنحو. وكان يلقي دروساً في التفسير بجامع ابن طولون في القاهرة. وَجُمِعَ ما علقه فيها من تفاسير البيضاوي، والزمخشري، وأبي السعود في كتاب سُمِّيَ «حاشية الغنيمي في التفسير» توفي سنة ١٠٤٤هـ[٢].

كمـا أخـذ العلم عن الشيـخ محمـد المـرادي، والقـاضي يحيى الحجاوي، وغيرهم.

وبعد هذه الحياة العلمية توفي الإمام مرعي بالقاهرة سنة ١٠٣٣هـ.

وصف النسخة الخطية، وصحة نسبة الكتاب لمصنفه:

قد اعتمدتُ في إخراج كتاب «الكواكب الدريـة» على نسخة واحدة، هي نسخة المؤلف ـ حسب ما يغلب على ظني ـ فإن عنوان الكتاب يظهر أنه

---

(١) المحبي ـ خلاصة الأثر: ٤/١٧٤ ـ ١٧٧.

(٢) المصدر السابق: ١/٣١٢، الزركلي ـ الأعلام: ١/٢٣٧ ـ ٢٣٨.

بخط مؤلفه، كما يبدو من سِياقه[1]، وكذا في ختام النسخة تصريح من المصنف أنه بخطه[2]. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه وفرة الهوامش والزيادات والتصويبات التي تمتلأ بها النسخة، مما يمكننا الجزم إلى حدٍّ بعيد بأنها نسخة مؤلفها، وأنها بخطه. لأن هذه الشطوب والزيادات الكثيرة لا يحق لغير المؤلف أن يضيفها ملحقة بأصل الكتاب، وهي مكتوبة بذات القلم الذي كُتب به الأصل.

وفي نهاية المخطوط ورقة تضمنت فائدة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنظومة للمؤلف، يقول عنها:

«تقريظ لمرعي بن يوسف الحنبلي على «نظم أم البراهين» في علم العقائد، نظم السيد محمد الجمازي» ثم ساق التقريظ شعراً. ويلاحظ من هذه الصيغة أنها صيغة كاتب التقريظ نفسه. فإنه لو كان بقلم غيره لقال أدباً: تقريظ للإمام، أو الشيخ، أو العلّامة، كما هو معهود أدباً عند ذكر العلماء. بينما نجد التعريف بصاحب المنظومة الذي كُتب التقريظ له، جاء بعبارة «السيـد» وهي عبارة ذات كبير، تحمل في طياتها ثناءً عطراً، وتشريفاً كبيراً وهي لا تطلق إلّا على النسيب الشريف، الذي يتصل نسبه بنسب النبي - ﷺ -.

وعلى العموم، فهي نسخة نفيسة، مصححة، وواضحة إلّا أنه يعكر وضوحها أثر رطوبة أصابتها فطمست بعض الجوانب أو الكلمات من بعض صفحاتها، كما تعرضت الورقة (٣٩) لصيانة ساذجة طمست ربعها الأخير.

وهذه النسخة ـ التي أحسب أنها بخط مصنفها ـ فرغ منها مؤلفها بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة، المصادف للثالث من ربيع الثاني من سنة ١٠٢٧ . وهي بقلم نسخي حسن، عدد ورقاتها (٥١) ورقة، في كلٍّ ورقة

---

(١) انظر الصورة الأولى من المخطوط.

(٢) انظر الصورة الثالثة من المخطوط.

لوحتان، وفي كلِّ لوحة (٢٥) سطراً، معدل الكلمات في كلِّ سطر (١١) كلمة. وأصل هذه المخطوطة محفوظ في «لاندبيرج» برقم ٢٤٣.

وبلغني أنَّ هناك نسخة أخرى من هذا الكتاب في «بريل» ورقمها (١٠١٢٨) ولكني لم أتمكن من الحصول عليها إلى هذه الساعة، ولعل الله أن ييسر وصولها، فندخلها في عملنا عند الشروع في الطبعة الثانية، إن شاء الله تعالى.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا الكتاب قد طبع بعناية «كردستان العلمية» بالقاهرة، سنة ١٣٢٩هـ. ولما كان العهد بعيداً لمرور ما يقرب من ثمانين عاماً على تلك الطبعة فقد عسر عليَّ الحصول على نسخة منها، فإنَّ حكم مثل هذه الطبعات كحكم المخطوط في النُّدْرَة.

أما صحة نسبة الكتاب لمؤلفه، فهو أمر مجزوم به، فإن الإمام مرعي كان يكثر من الإحالة عليه في كتبه، ولا سيما في كتابه «الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية» فقد أحال عليه مراراً. كما أنَّ عنوان الكتاب ونسبته للإمام مرعي، وكون ذلك بخط مؤلفه، دليل آخر. مع التذكير بأنَّ كلَّ من ترجم لهذا الإمام قد نسب هذا الكتاب إليه، وسائرهم أدرجه في قائمة مصنفاته.

أهمية الكتاب، وقيمته العلمية:

إنَّ كتاب «الكواكب الدرية» وإن كان في أصله جامعاً مختصراً لما سَطَّرَهُ الأئمة في حياة ابن تيمية، وعلى رأسهم الإمام ابن عبد الهادي، صاحب كتاب «العقود الدرية»، والإمام البزَّار، صاحب كتاب «الأعلام العلية»، والإمام ابن فضل الله العمري، صاحب الترجمة الحافلة المطولة للإمام ابن تيمية في تاريخه المسمى «بمسالك الأبصار، وممالك الأمصار»، والإمام الذهبي، والبرزالي، والمِزي، وابن القيم، وابن رَجَب، وابن الوَرْدي، وابن سَيِّد الناس، وغيرهم من الأئمة، وهم كثير.

أقول: وإن كان «الكواكب الدرية» جامعاً لما سَطَّرَهُ هؤلاء الأئمة في مناقب شيخ الإسلام، فإنَّ للإمام مرعي مزايا في عمله هذا، تمثلت في زياداته، وإضافاته، وفوائده. وله العديد من التنبيهات ذات الأهمية البالغة، والدلالة المؤثرة. كما أنَّ شخصيته ظهرت واضحة في الكتاب فكان يتفنن في الاقتباس، ويجتهد في النقل، ويتصرف فيه حتى تمكن من صنع ترجمة جامعة حافلة، وفي ذات الوقت موجزة مقتضبة للإمام ابن تيمية، تعرضت لحياته، وظروفه العلمية، والجهادية، وما لابسها من محن وابتلاءات، كلُّ ذلك بأسلوب سلس مؤثر، لا هو بالطويل المُمِل، ولا بالقصير المُخِل.

وقد لحظت على الإمام مرعي ـ رحمه الله ـ كثرةَ التصرف في النقول، فإنه لا يلتزم بالدِّقة في إيراد نقول الأئمة، وبالخصوص أصحاب المصنفات في ابن تيمية منهم، وهم الإمامان: ابن عبد الهادي، والبزار. وقد تعقبته في مواطن من الكتاب، ونبهت إلى ذلك. ولعلَّ عذره فيما صنع هو الاستقلال في إيراد المادة العلمية، وعدم التقيد بألفاظ غيره ممن سبقه. كنوع من التميز في التصنيف. وهو الطريق المناقض لأسلوب الذوبان والتلاشي في قوالب الغير من المصنفين. بَيْدَ أني أبديت ملاحظتي عليه ـ رحمه الله ـ لما رأيت من عزوه أحياناً، وتصريحه بالنقل، ثم لا يلتزم بإيراد النص المنقول حرفياً. أما في غير هذه المواطن فلا اعتراض لنا عليه، وهي له محمدة وليست مثلبة. رحمه الله رحمة واسعة.

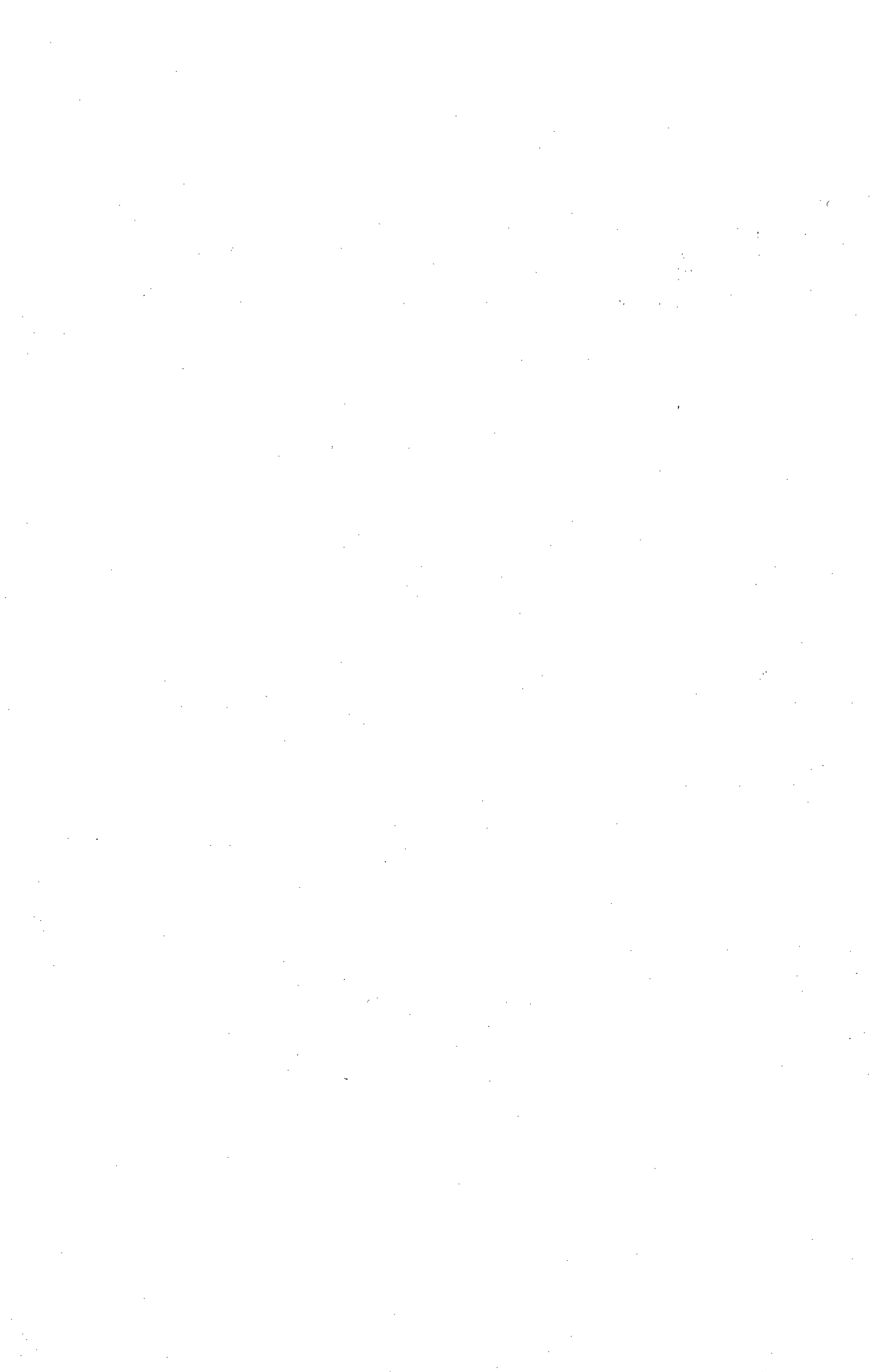
وبعدُ، فإنَّ هذا السِّفر المبارك الذي سَجَّلَ مناقب إمام جليل من أئمة هذه الأمة، وأعاد إلى الأذهان صورة المسلم الجامع لجهاد القلم، وجهاد السيف، وجهاد اللسان، المسلم الغيور الصبور، المُتَحَرِّق على دينه وعقيدته، المُشْفِق على أبناء أمته.

هذا الكتاب الجامع لمَا كتبه كبار الأئمة من نبلاء العلماء عن مناقب شيخ الإسلام؛ بأسلوب سلس مُيَسَّر، مقتضب، مؤثر، المصحوب بالتوجيهات والعظات والعِبَر، لا أراه يغني عن الكتاب الهائل الذي كتبه

الإمام ابنُ عبد الهادي، والذي أسماه «العقود الدُّرية» وهو أحد المصادر المهمة للإمام مرعي في إخراج كتابه هذا. رحم الله سلف أُمتنا، وأجزل لهم المثوبة والرضوان، ورحم الله خَلَفَهـا، وألَّف بين قلوبهم، وأصلحَ ذات بينهم، وأعاذهم من الفتن.

﴿رَبَّنا اغْفِرْ لنا ولإخواننـا الذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ ولا تَجْعَلْ في قُلُوبِنا غِلاًّ للذينَ آمنوا رَبَّنا إنَّكَ رؤوفٌ رحيم﴾.

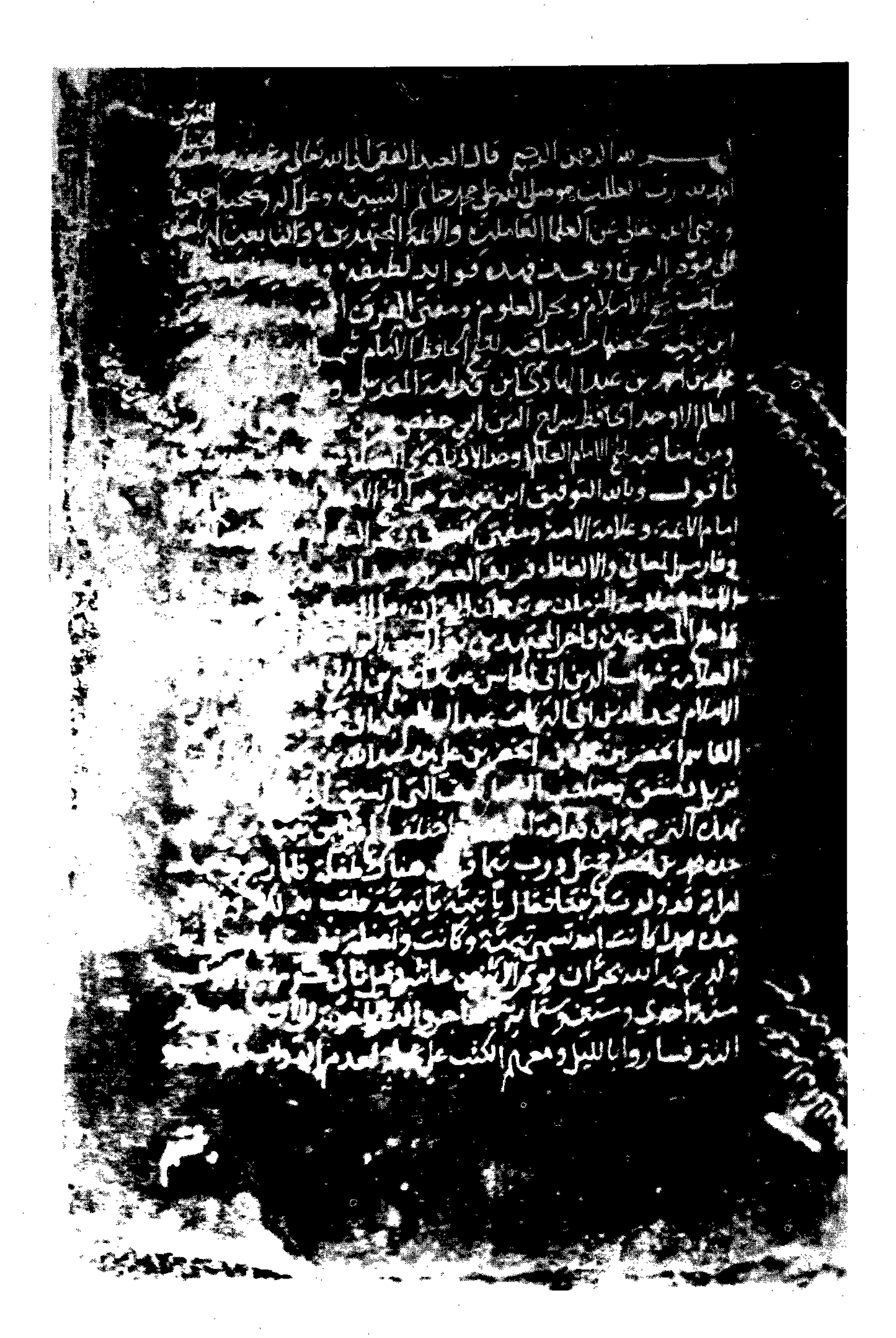
وكتبه نجم عبد الرحمن
في تونس، يوم الأربعاء
الموافق للعاشر من المحرم سنة
١٤٠٥هـ من الهجرة المباركة
والمصادف ٢٥/ ٩/ ١٩٨٥م




كتاب الكواكب الدرية

في مناقب المجتهد ابن تيمية

الورقة الأولى من المخطوط وظهر فيها عنوان الكتاب واسم مؤلفه.



الورقة الثانية من المخطوط وبها يبتدأ الكتاب.

بلحقهم ووقعت العجلة فابتهلوا إلى الله سبحانه واستغاثوا به فعفوا وسلموا
وقدموا دمشق في أثنا سنة سبع وستين فنشأ بدمشق أتم النشأ وأزكاه
فأنبته الله أحسن النبات وأوفاه وكانت مخايل النجابة عليه في صغره
لائحة ودلائل العناية فيه واضحة لم يزل منذ إبان صغره مستغرق
الأوقات في الجد والاجتهاد وختم القرآن صغيرا ثم اشتغل بحفظ الحديث
والفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمة مجالس الذكر وسماع
الأحاديث والآثار ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي
الروايات الصحيحة العالية أسانيد دواوين الإسلام الكبار كمسند [illegible]
وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود
السجستاني والنسائي وابن ماجه والدارقطني فإنه سمع كل واحد [illegible]
[illegible] كتاب [illegible] في الحديث [illegible] للإمام [illegible]
[illegible] الدين [illegible] وسمع [illegible]
[illegible] بنفسه [illegible] وكتب الكتب
[illegible] والأثبات ولازم السماع مدة سنين [illegible] بالعلوم
[illegible] البخاري [illegible] الدين [illegible]
وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات وسمع الكتب
[illegible] ومعجم الطبراني الكبير [illegible]
[illegible] وقرأ [illegible] وتعلم الخط والحساب في المكتب
[illegible] القرآن وأقبل على الفقه وقرأ العربية [illegible] وأخذ يتأمل كتاب
سيبويه حتى فهمه وبرع في النحو وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى
حاز قصب السبق وأحكم أصول الفقه وغير ذلك هذا كله وهو
[illegible] بضع عشرة سنة فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان
ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه انتهى [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible] الإمام
[illegible] ابن الزملكاني وابن دقيق العيد والحافظ ابن سيد الناس

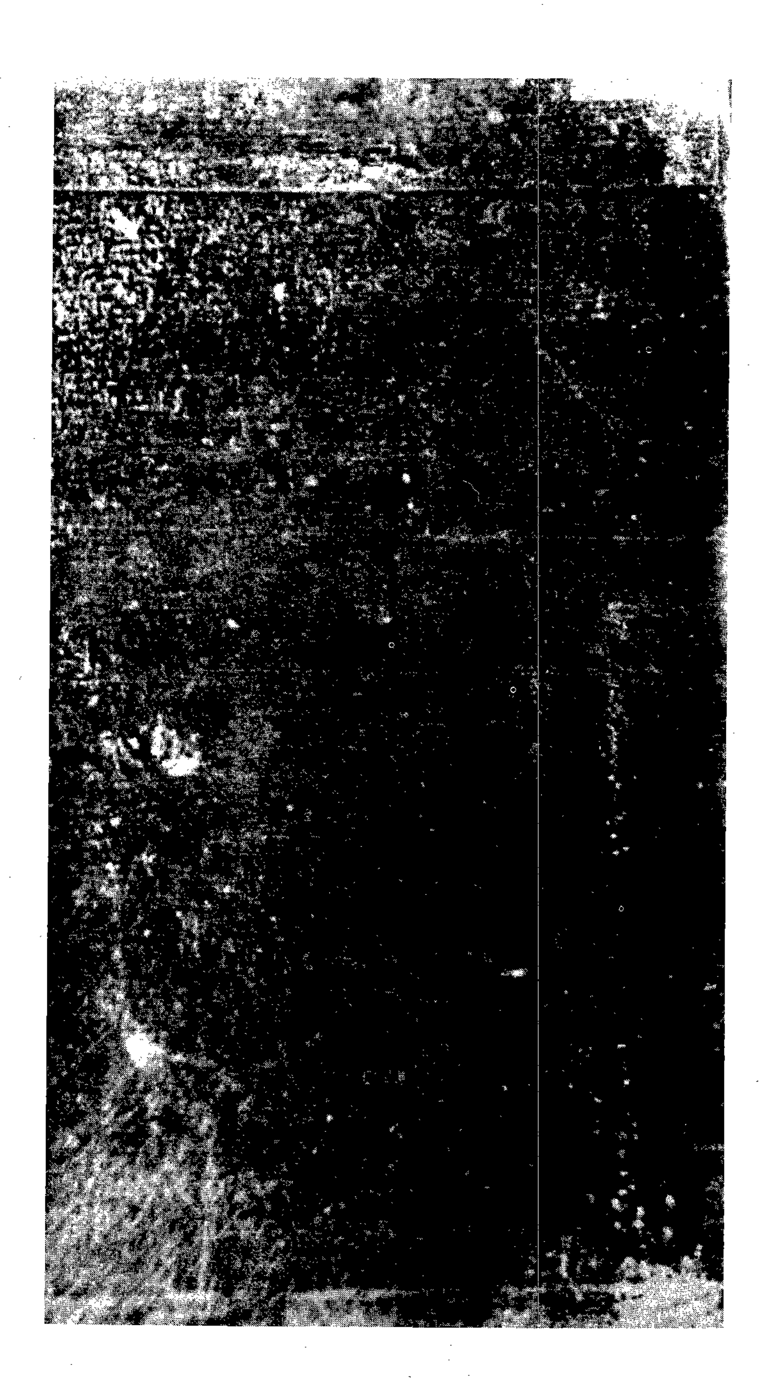


الورقة ما قبل الأخيرة من المخطوط.

فنصبوا اعداوته وامتلات قلوبهم محاسده وازداد واستمر لاجل ذلك
حتى لا يطيقون [illegible] فعمدوا الى اختلاق الباطل والبهتان على علمه والوقيعة
فيه خصوصاً عند الامراء والحكام واظهار الانكار عليه فما يلقى
به من الاجلال والاكرام ولما علم الله صدق نيته ابى ان يظفرهم فيه
بما راموا حتى انه احضر معهم في عقد مجلس الا ونصره الله عليهم بما يظهره
على لسانه من دحض حججهم الواهية وكشف مكايدهم اللاهية للخاصة
والعامة فكان وهم مع ذلك كلما [illegible] منزلته وتعاظمهم
في ما نقصته لا يزداد الا الحق [illegible] واكثره [illegible] ومباهته
الا اظهاراً [illegible] ازماناً واعصاراً [illegible]
ولقد جهد اعداؤه الفكرة [illegible] واوسعوا [illegible] عليه اعلاناً
واسراراً [illegible] فحفظه منهم [illegible] لقد ظنوا
ان في حسده [illegible] فجعله الله فضيلة ورفعة وظهر لهم يوم
موته ما لم يروا [illegible] قال الله تعالى [illegible]
[illegible] الفراغ [illegible] للعقد [illegible] احمد [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
ما نشر الله من علومه [illegible] والاجوبة
وملامحها [illegible] فتكاثرت [illegible] الفتاوى
من اقطار الافاق [illegible] في مسائل [illegible]
عن مسائل [illegible] من الاندلس وجوابه عن سؤال [illegible]
وجوابه عن سؤال [illegible] وجوابه عن سؤال [illegible]
واجوبة كثيرة عن مسائل وردت من بغداد [illegible] على [illegible]
المجلد [illegible] ولما [illegible] طلبت منه [illegible] اجازة
واجازة لبعض [illegible] لاهل [illegible] واجازة
لاهل [illegible] وغير [illegible] وفضائل [illegible]
[illegible] مجلدات [illegible] رحمه الله [illegible]
من [illegible] بعد صلاة [illegible] من شهر ربيع الاول سنة [illegible]



الورقة الأخيرة من المخطـوط.



الصورة الخامسة، وتظهر فيها الإضافات التي ترجح أنها نسخة المؤلف.

الايمان وشيد به من الدين اركانه ثم قال

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة هو بيننا اعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة انوارها اربت على الفجر

وقال الحافظ ابو عبد الله الذهبي شيخنا تقي الدين

رحمه الله ... تام وعفاف وتأله وتعبد واقتصاد في الملبس والماكل

وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحير منه

اعيان البلد في العلم فافتى وله تسع عشرة سنة بل اقل وشرع في الجمع والتاليف

من ذلك الوقت واكب على الاشتغال ومات والده وكان من كبار الحنابلة

وائمتهم فدرس بعده بوظائفه وله احدى وعشرون سنة واشتهر امره

وبعد صيته في العالم واخذ في تفسير الكتاب العزيز ايام الجمع على كرسي

من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتلعثم وكان يورد الدرس بتؤدة وصوت

جهوري فصيح وكان آية من الذكاء وسرعة الادراك راسا في معرفة الكتاب

والسنة والاختلاف بحرا في النقليات هو في زمانه فريد عصره علما وزهدا

وشجاعة وسخاء وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وكثرة تصانيف وقرأ وحصل

وبرع في الحديث والفقه وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة

سنة وتقدم في علم التفسير والاصول وجميع علوم الاسلام اصولها

وفروعها ودقها وجلها فان ذكر التفسير فهو حامل لوائه وان عد الفقهاء

فهو مجتهدهم المطلق وان حضر الحفاظ نطق وخرسوا وسرد وابلسوا

واستغنى وافلسوا وان سمي المتكلمون فهو فردهم واليه مرجعهم وان

لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلهم وتيسهم وهتك استارهم وكشف

عوارهم وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة وهو اعظم من

ان تصفه كلمي او ينبه على شأوه قلمي فان سيرته وعلومه ومعارفه

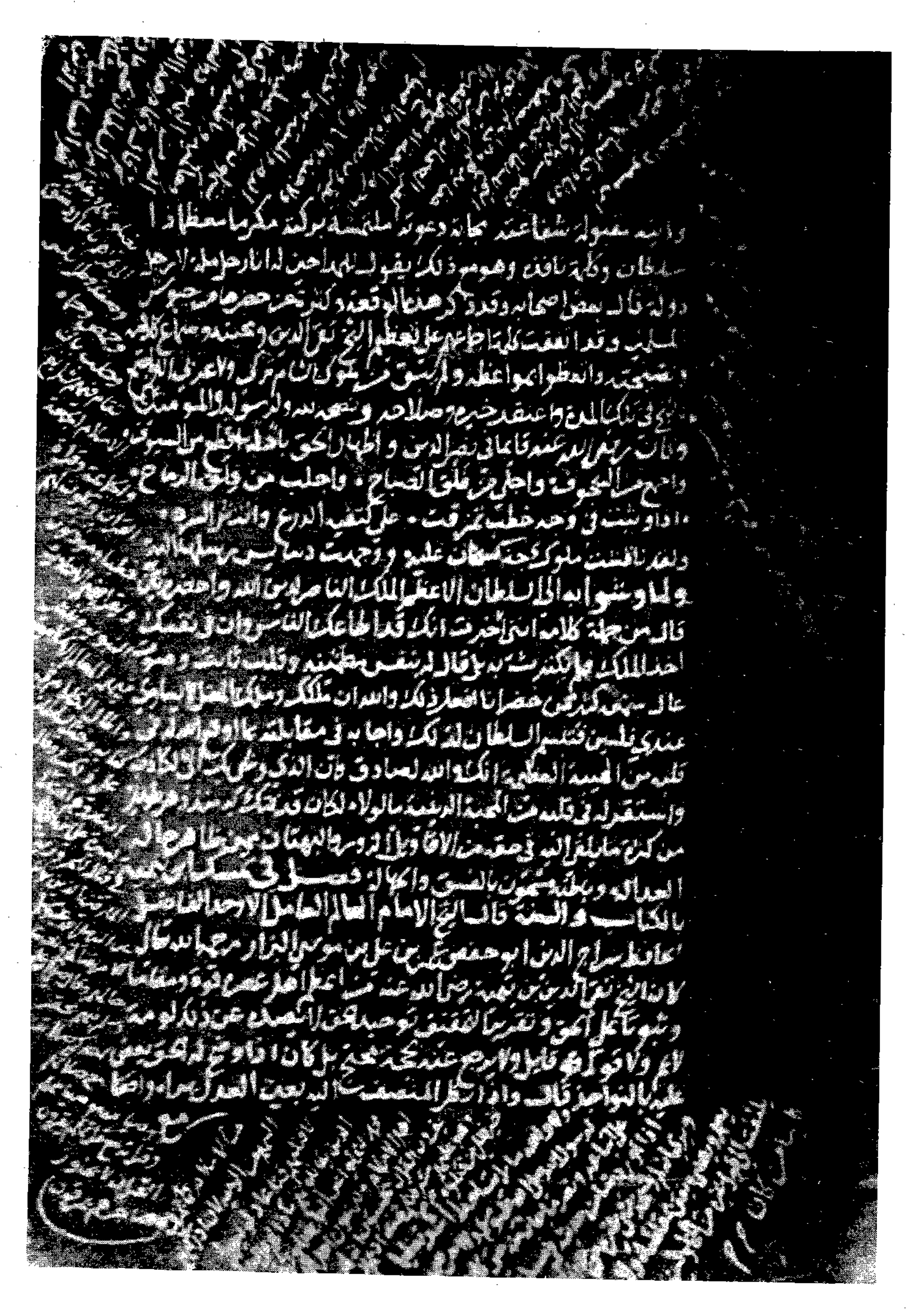
ومحنه وتنقلاته يحتمل ان توضع في مجلدتين فالله تعالى يغفر له ويسكنه

اعلى جنته فانه كان رباني الامة وفريد الزمان وحامل لواء الشريعة

الصورة السادسة، وتظهر فيها الإضافات التي ترجح أنها نسخة المؤلف.

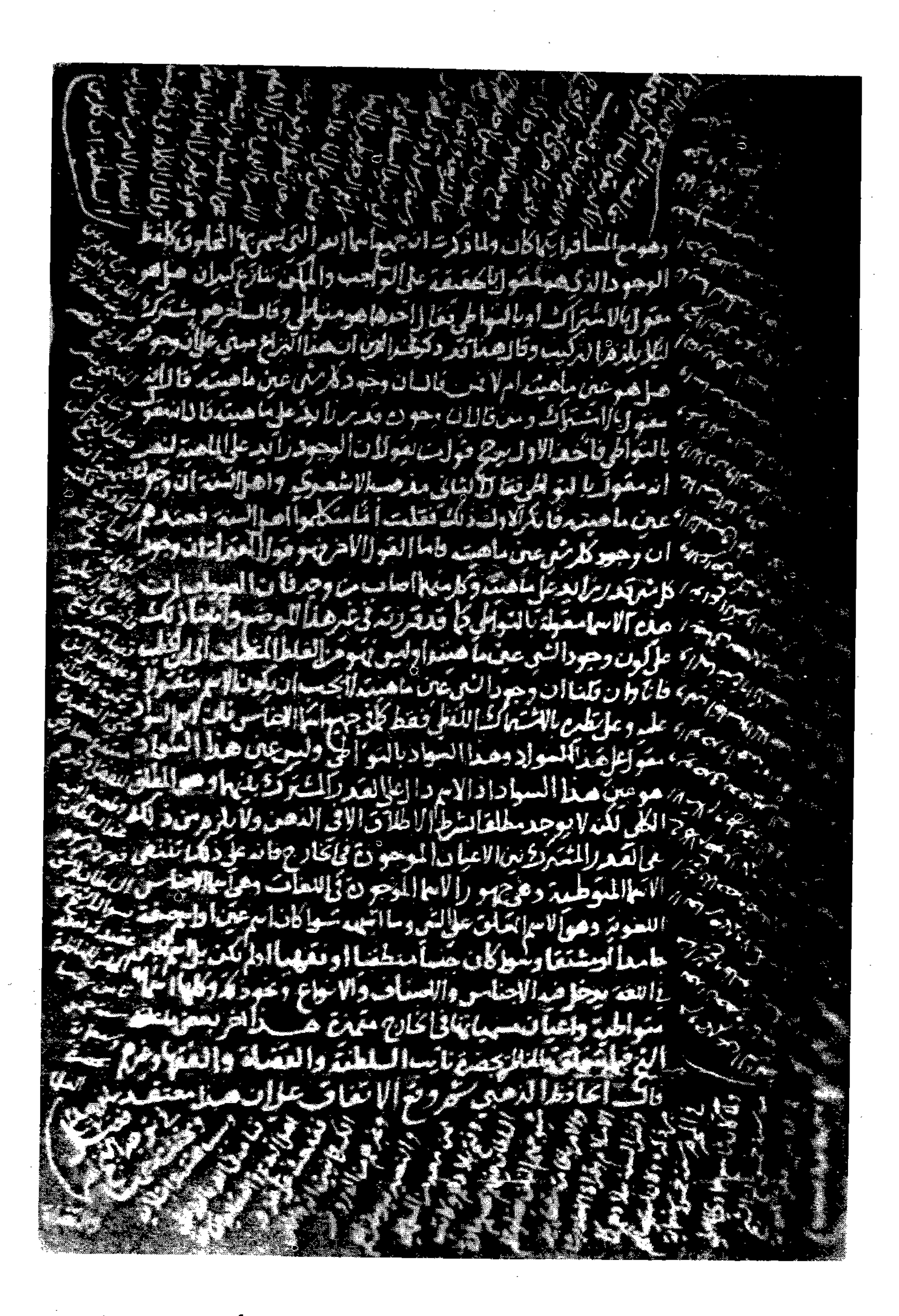
14

اعطو في صدر غازان والمغل من الامراء ما لم يعهد من سلفنا العلماء وذلك
الصدر واهل الاستحقاق لرفعة القدر هذا مع ما له من جهاد في الله
لم يعز عند مثله الوشيج وانكر عنه فيما ارتفاع الشيخ مواقف حرب باشرها
وطوائف ضروب علا نشرها وبوارق صفاح كالشرق ومضايق رماح
حاشرها واصناف خصوم لد لقطع جدالها قوى لسانه وجلادها
سنا سنانه مجرة لدم غازان وقطلوشاه وبولاي امور وتوب
كلام فيها كلها معروف الحق والخبر الا الله وحكى من شهد الشيخ في مواقف
الحروب نوبة شقحب ونوبة كسروان ما لم يسمع الا عن صناديد الرجال
وشجعان الابطال فكان تارة يباشر القتال وتارة يحرض عليه ويركب
البريد الى مصر من حين واستحضر الاجناد وركب بعدها الى
السلطان واستنفره وواجهه بالكلام الغليظ امراؤه وعسكره ولما
جاء السلطان الى شقحب جعل الشيخ يثبته فلما رأى السلطان كثرة
التتار قال يا خالد بن الوليد فقال له لا تقل هذا بل قل يا الله واستغث
بالله ربك وحده تنصر وقل يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك
نستعين فصار تارة يقبل على الخليفة وتارة على السلطان ويهديهما
ويربط جأشهما حتى جاء نصر الله والفتح وحكي انه قال للسلطان اثبت
فانك منصور فقال له بعض الامراء قل ان شاء الله فقال ان شاء الله
تحقيقا لا تعليقا فكان كما قال وحكى بعض اصحاب الامراء قال قال لي
الشيخ يوم اللقاء [illegible] وقفنا موقف الموت قال فسقته الى مقابلة
العدو وهم منحدرون كالسيل [illegible] من تحت الغبار وقلت له
هذا موقف الموت [illegible] وما تريد قال فرفع طرفه الى السماء واشخص
بصره وحرك شفتيه طويلا ثم انبعث واقدم على القتال وقد [illegible]
دعا عليهم وان دعاءه استجيب منه في تلك الساعة قال ثم حال القتال
بيننا والالتحام وما عدت رأيته حتى فتح الله ونصر ودخل جيش الاسلام الى
دمشق المحروسة والشيخ في اصحابه شاكيا في سلاحه عالية كلمته قائمة حجته [illegible]



الصورة السابعة، وتظهر فيها الإضافات التي ترجح أنها نسخة المؤلف.

مع الكتاب والسنة لا يقبل منهما قول احد كائنا من كان ولا يراقب في
الاخذ بعلومهما احدا ولا يخاف في ذلكما ميرا او سلطانا ولا سوقة ولا
[illegible] ولا يرجع عنهما لقول احد وهو متمسك بالعروة الوثقى واليد
الطولى [illegible] بقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية
وبقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله [illegible]
احمد [illegible] ما [illegible] المتابعة للكتاب والسنة
والاجتهاد في تتبع معانيهما والعمل بمقتضاهما [illegible]
اقوال [illegible] الا [illegible] بالكتاب والسنة و[illegible]
الاخذ [illegible] المنقول والمعقول قال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الصورة الثامنة، وتظهر فيها الشطوب والإضافات التي ترجح أنها نسخة المؤلف.

[illegible]

ولما توجه الشيخ من دمشق الى مصر كان يوما مشهودا [illegible]

لكثرة ازدحام الناس ليودعوه ورؤيته حتى انتشروا من باب [illegible]

[illegible] فيما بين دمشق والكسوة [illegible]

وهم ما بين باك وحزين ومتعجب ومتنزه ومزاحم متغال فيه

ودخل الشيخ مدينة غزة يوم السبت وعمل في جامعها مجلسا عظيما وفي

يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي الى

القاهرة وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة واكابر الدولة

بالقلعة لمحفل الشيخ وأراد الشيخ أن يتكلم في مجلس البحث والكلام

على عادته واستدعى الشيخ شمس الدين عدلان خصما احتسابا وادعى على

عند القاضي زين الدين المالكي انه يقول ان الله فوق العرش

حقيقة وان الله يتكلم بحرف وصوت [illegible] فأخذ الشيخ

في حمد الله والثناء عليه [illegible] فقال له من

الحاكم فيّ قيل له القاضي المالكي قال كيف تحكم فيّ وهو خصمي وغضب

غضبا شديدا وانزعج فأقيم [illegible] وحبس في برج أياما ثم نقل منه

ليلة عيد الفطر الى الحبس المعروف بالجب هو وأخوه شرف الدين

عبد الله وزين الدين عبد الرحمن ثم ان نائب السلطنة سيف الدين

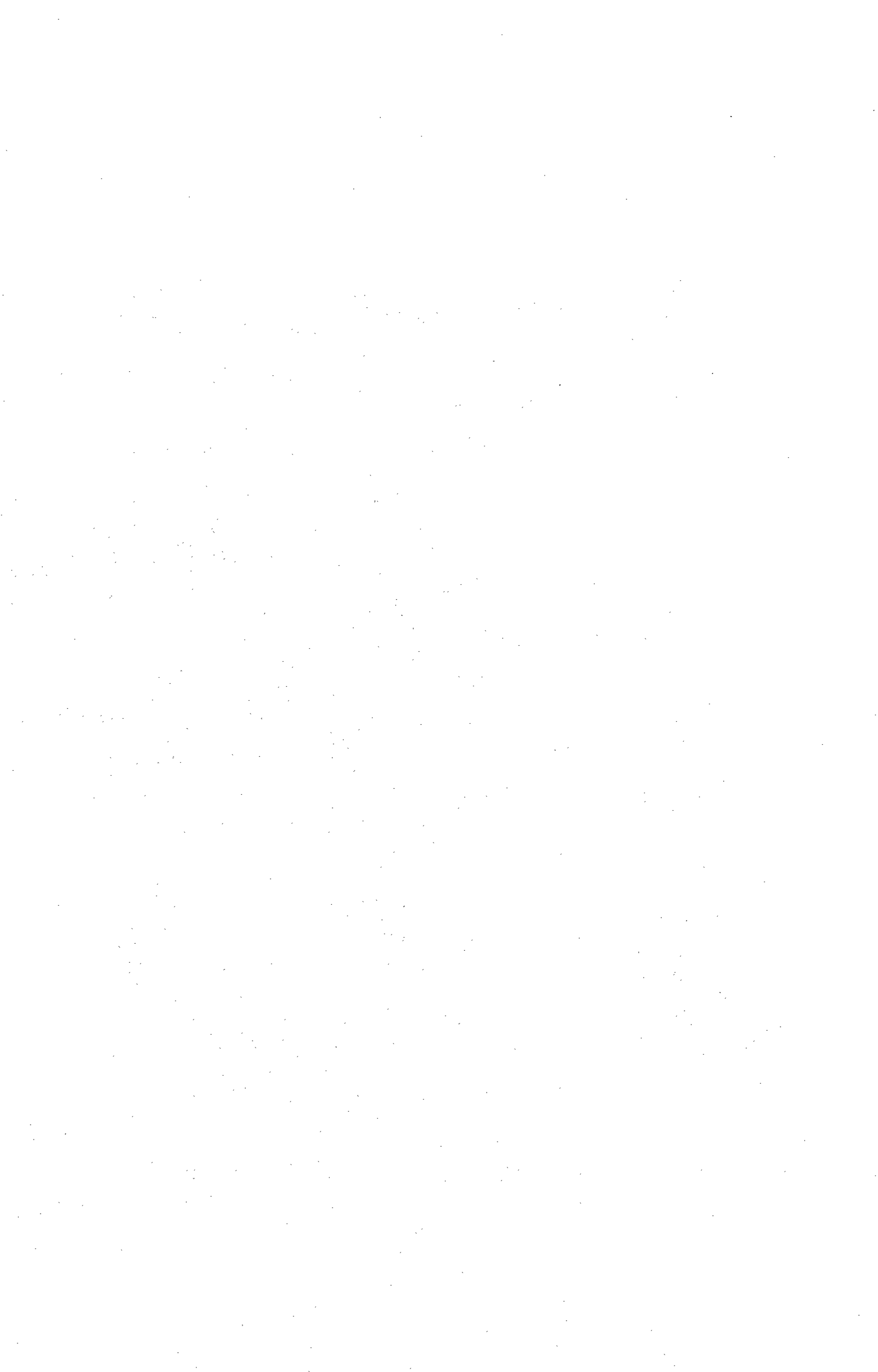
سلار بعد [illegible] عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة

احضر القضاة الثلاثة [illegible] المالكي والحنفي [illegible] من الفقهاء الباجي

والجزري والنمراوي [illegible]

[illegible]

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسيّ:

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد خاتم النبيّين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدّين.

وبعد فهذه فوائد لطيفة، وفرائد شريفة في مناقب شيخ الإسلام، وبحر العلوم، ومفتي الفرق، المجتهد تقيّ الدين ابن تيمية، لَخَّصْتُها مِنْ مناقبه[1] للشيخ الحافظ الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قُدامة المقدسي، ومن مناقب[2] شيخ الإسلام العالم الأوحد الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن موسى، البزّار، ومن مناقبه[3] للشيخ الإمام العالم أوحد الأدباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد بن القاضي محي الدين، يحيى بن فضل الله العُمَري الشافعي، فأقول ـ وبالله التوفيق ـ:

---

(١) وهو كتاب «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» وقد طبع بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي.

(٢) وهو كتاب «الأعلام العَليَّة في مناقب ابن تيمية» وقد طبع بتحقيق الأستاذ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤هـ والثانية سنة ١٣٩٦هـ.

(٣) وذلك في تاريخه المسمى: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» وهي طويلة تبلغ كراسة فأكثر، وقد طبع جزء منه بتحقيق أحمد زكي، بدار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤م، وباقي الكتاب لم يزل مخطوطاً.

ابن تيمية هو الشيخ الإمام، المجتهد الفاضل الرباني، إمامُ الأئمةِ وعلامةُ الأمَّة، ومُفتي الفِرَقِ وبحرُ العلوم، وسيِّدُ الحفّاظ، وفارسُ المعاني والألفاظ، فريدُ العصر، ووحيدُ الدَّهر، شيخُ الإسلام، وبركةُ الأنام، وعلامةُ الزّمان، وترجمانُ القرآن، علمُ الزهّاد، وراسُ العُبَّادِ، قامعُ المُبْتدعين وآخر المُجتهدين تقيُّ الدّين أبو العباس أحمد بن تيميّة ابن العلاّمة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلاّمة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحَرّاني[1]، نزيل دمشق، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها. كذا ترجمه بهذه الترجمة: ابن قُدامة المَقْدسي[2].

واخْتُلِفَ لم قيل: «ابن تيمية» فقيل: إنَّ جدّه محمد بن الخضر[3] حجّ على درب تيماء[4] فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً فقال: يا تيمية ـ يا تيمية فلقب بذلك.

وقيل: إنَّ جدّه محمداً كانت أمّه تُسمّى تيمية، وكانت واعظة فنسب إليها وَعُرِفَ بها.

وُلِدَ ـ رحمه الله ـ بحرَّان يوم الاثنين عاشر، وقيل: ثاني عشر ربيع الأول، سنة إحدى وستّين وستمائة، وبقي بحران إلى أنْ بلغ سبع سنين، ثُمّ بعد ذلك هاجر والده بإخوته إلى الشّام ـ عند ظهور التّتر ـ فساروا باللّيل

---

(١) أما أمه فهي الشيخة الصالحة، ست النعم بنت عبد الرحمٰن بن علي بن عبدوس الحرّانية، عمّرت فوق السبعين سنة، توفيت يوم الأربعاء، العشرين من شوال، ودفنت بالصوفية، وحضر جنازتها خلق كثير، وجم غفير وذلك سنة ٧١٦هـ. رحمها الله (ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٤/ ٧٩).

(٢) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ١٨.

(٣) محمد بن الخضر بن محمد «ابن تيمية» أبو عبد الله الحراني الحنبلي، فخر الدين، مفسر، خطيب، واعظ، كان شيخ حران وخطيبها. مولده ووفاته فيها. توفي سنة ٦٢٢هـ. (الصفدي ـ الوافي بالوفيات: ٣/٣٧).

(٤) تيماء: بُلَيْدفي أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق. (معجم البلدان ١/ ٩٠٧، مراصد الاطّلاع: ١/ ٢٨٦).

ـ ومعهم الكتب ـ عل عجلة لعدم وجود الدّواب وكاد العدوّ يلْحقُهم، ووقفت العجلة فابتهلوا إلى الله سبحانه واستغاثوا به فنجَوْا وسَلِموا، وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين. فنشأ بدمشق أتمّ النشىء وأزكاه، وأنبته الله أحسن النّبات وأوفاه، وكانت مخايل النّجابة عليه في صغره لائحة، ودلائل العناية فيه واضحة، ولم يزل منذ أبان صغره مستغرق الأوقات في الجدّ والاجتهاد، وختم القرآن صغيراً، ثُمّ اشتغل بحفْظ الحديث والفقه والعربية حتّى برع في ذلك، مع ملازمته مجالس الذِّكر، وسماع الأحاديث والآثار، ولقد سمع غير كتاب على غير ذي شيخ مِنْ ذوي الرّوايات الصحيحة العالية، أمّا دواوين الإسلام الكبار، كمُسند الإمام أحمد وصحِيحَيْ البُخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السِّجستاني والنَّسائي وابن ماجه والدَّارقطني، فإنّه سمع كلاًّ منهما مراتٍ عدة وأول كتاب حفظه في الحديث «الجمع بين الصحيحين» للإمام الحميدي[1] كذا قال الشيخ الحافظ سراج الدّين أبو

---

(١) هو الإمام الحافظ محمد بن فُتُوح الأزدي الأندلسي، كان فاضلاً نبيلاً، حريصاً على نشر العلم، ورعاً تقياً، إماماً في الحديث وعلله ورواته، فصيح العبارة، متبحراً في علم الأدب والعربية والتَّرسُّل. وله المؤلفات الحسان، ومنها هذا الكتاب «الجمع بين الصحيحين» قال فيه الذهبي: رتبه أحسن ترتيب. «وهو لم يطبع بعد، وقد زاد فيه ألفاظاً وتتمات ليست في واحد منهما، أخذها من أصحاب المستخرجات على «الصحيحين» منبهاً عليها، فقد جاء في مقدمة كتابه ما نصه: وربما أضفنا إلى ذلك نبذاً مما تنبهنا له من كتب أبي الحسن الدارقطني، وأبي بكر الإسماعيلي، وأبي بكر الخوارزمي ـ يعني البرقاني ـ وأبي مسعود الدمشقي، وغيرهم من الحفاظ الذين عنوا بالصحيح مما يتعلق بالكتابين من تنبيه على غرض، أو تتميم لمحذوف، أو زيادة من شرح، أو بيان لاسم، أو نسب، أو كلام على إسناد، أو تتبع لوهم.

قال ابن حجر: ثم إنه فيما تتبعته من كتابه إذا ذكر الزيادة في المتن يعزوها لمن رواها من أهل المستخرجات وغيرها، فإن عزاها لمن استخرجها أقرَّها، وإن عزاهـا لمن لم يستخرجها تعقبها غالباً، ولكنه تارة يسوق الحديث من الكتابين، أو من أحدهما، ثم يقول: اقتصر البخاري عل كذا، وزاد فيه الإسماعيلي كذا.

وأخطأ من ظنَّ أنه سرد تلك الزيادات في ضمن أحاديث الشيخين من غير بيان ولا تمييز» هذه الفائدة نقلتها بطولها عن الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لكتاب «سير أعلام النبلاء» ١٢١/١٩.

=

حفص عمر[1].

وسمع من مشايخ كابن عبد الدايم المقدسي[2] وطبقته، وطلب بنفسه قراءة وسماعاً من خلق كثير، وقرأ الكتب، وكتب الطباق والأثبات، ولازم السّماع منذ سنين، واشتغل بالعلوم.

قال ابن عبد الهادي ابن قدامة: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتيْ شيخ، وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرّات، وسمع الكتب الستّة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته: معجم الطبراني الكبير، وعُنِيَ بالحديث وقرأ ونسخ وانتقى، وتعلم الخطّ والحساب في المكتب، وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ في العربية، وأخذ بكامل كتاب سيبويه حتّى فهمه، وبرع في النّحو، وأقبل على التّفسير إقبالاً كُلياً حتّى حاز فيه قصب السبْق، وأحكم أصنول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو ـ بعد ـ ابن بضع عشرة سنة فانْبهر الفضلاء مِنْ فرْط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه[3]» [4] انتهى.

= توفي الإمام الحميدي سنة ٤٨٨هـ ببغداد، ومن نظمه:

لقاءُ الناسِ ليس يُفيدُ شيئاً ... سوى الهَذَيَانِ من قيلٍ وقالِ
فأقْلِلْ مِنْ لقاءِ الناسِ إلاّ ... لأخذِ العلمِ أو إصلاحِ حالِ

(ابن الجوزي ـ المنتظم ٩٦/٩، المقري ـ نفح الطيب: ١١٢/٢ ـ ١١٥، الذهبي ـ سير النبلاء: ١٢١/١٩).

(١) الأعلام العلية: ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة الله المقدسي، من شيوخ الحنابلة، عالم بالحديث، المتوفي سنة ٦٦٨هـ. فوات الوفيات: ٤٦/١، الصفدي ـ نكت الهميان: ص ٩٩.

(٣) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ١٩.

(٤) جاء في هامش الأصل ما نصه:

إنَّ الإمامَ الحافظ ابن تيمية ... شيخ الديانة والزهادة أحمدي
لم تدرك الأبصار شبهه في الورى ... في العلم والتقوى ولا سيما أخي
في الأمر بالمعروف والنهي الجلي ... بل في الحقيقة والشريعة طرقتي
أعوانه الآيات أو أخباره ... يا حبذا الأعوان يا قميري
يا صاحبي إنه بريء عن كل ما ... ينسب إلى ذاته لكع من لحد ربي =

فصلٌ في ثناءِ الأَئِمةِ على ابنِ تيمية

قدْ أكثر أئمّة الإسلام مِنَ الثّناء على هذا الإمام، كالحافظ المِزِّي، وابن دقيق العِيد وابن حَيَّان النحوي، والحافظ ابن سَيِّد النّاس، والعلاّمة كمال الدّين بن الزَّمْلَكاني، والحافظ الذّهبي، وغيرهم من أئمّة العلماء.

قال جمال الدّين أبو الحجّاج المِزِّي[1] عن ابن تيمية: «ما رأيت مثله، ولا أرى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله، وسنّة رسوله، ولا أتبع لهما منه»[2].

= ثم اعتمد قولي فإن القول ما ... قالت حذامي أو تقول قول الأصدقي
الله أيد شيخنا يا منكري ... وبه الورى قد زاد شرفاً سرمدي
ثم الصلاة مع تزكيتي على ... خير الورى أحمد شفيع المحشري
والآل ثم الصحب شمس الأنجم ... والتابعين لهم ليوم المنشري
عليه رحمة ربه رب العلى ... ما غاب نجم أو طلع له ساجدي

قاله: أضعف الورى محمد الجنقردي المدني المبتلى، لأجل كلمة الحق بين الورى. انتهى.

وهذه الزيادة ليست من الأصل، وهي بخط العلاّمة المذكور ـ محمد الجنقردي المدني ـ أضافها بخط مغاير عند مطالعته للنسخة.

(١) يوسف المِزِّي الحافظ المتقن، صاحب «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» المتوفى سنة ٧٤٢هـ (انظر ترجمته الحافلة في مقدمة الجزء الأول من تهذيب الكمال للدكتور بشار عواد).

(٢) العقود الدرية: ص ٢٣، والرد الوافر لابن ناصر الدين: ص ١٢٨ ـ ١٢٩، والشهادة الزكية: ورقة ٦ أ.

وقال القاضي أبو الفتح بن دقيق العيد[١]: «لمَّا اجْتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كلّ العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد، ويدع ما يريد. وقلت له: ما كنت أظن أنَّ الله بقي يخلق مثلك»[٢].

وقال الشّيخ إبراهيم الرَّقِّي[٣]: «الشيخ تقيّ الدين يُؤخذ عنه، ويُقلّد في العلوم، فإنْ طال عمره ملأ الأرض عِلْماً، وهو على الحق ولا بدّ ما يعاديه النّاس فإنه وارث علم النبوة».

وقال قاضي القضاة أبو عبد الله بن الحريري[٤]: إنْ لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو؟»[٥].

وقال أبو حيّان[٦] شيخ النُّحاة ـ لما اجتمع بابن تيمية ـ: «ما رأت عيناي مثله». ثم مدحه أبو حيَّان على البديهة في المجلس فقال[٧]:

لمَّا أتيْنا تقيَّ الدِّينِ لاَحَ لَنَا ... دَاعٍ إلى اللَّهِ فَردٌ مالَهُ وِزْرُ[٨]
عَلَى مُحيّاه مِنْ سِيمَا الأُولَى صَحَبُوا ... خَيرَ البريَّة نُورٌ دُونَه القَمَرُ

---

(١) محمد بن علي بن وهب تقي الدين القاضي المجتهد، من أكابر العلماء بالأُصول والفقه، توفي سنة ٧٠٢هـ. (ابن حجر ـ الدرر الكامنة: ٩١/٤، وانظر ترجمته الوافية في مقدمة كتابه «الاقتراح في بيان الاصطلاح» الذي حققه الأستاذ الفاضل عامر حسن صبري).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة: ٣٩٢/٢، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: ورقة ٢ ب).

(٣) وهو الإمام إبراهيم بن أحمد بن محمد، أبو إسحاق الرَّقِّي، المتوفى سنة ٧٠٣هـ. سمع منه الذهبي والبِرْزالي وغيرهما. (الدرر الكامنة: ١٤/١، ابن كثير ـ البداية والنهاية: ٢٩/١٤، ابن العماد ـ شذرات الذهب: ٧/٦).

(٤) وهو الإمام قاضي قضاة مصر والشام محمد بن عثمان بن أبي الحسن الأنصاري الحنفي، المتوفى سنة ٧٢٨هـ. (البداية والنهاية: ١٤٢/١٤).

(٥) الرد الوافر: ص ٥٣ ـ ٥٤، وانظر تعليق الأستاذ المحقق ص ٥٤.

(٦) الإمام، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ. (طبقات الشافعية: ٣١/٦ ـ ٤٤).

(٧) ديوان أبي حيان: ص ٤٤٧، وهي من البسط، والرد الوافر: ص ٦٢ ـ ٦٣، والشهادة الزكية: ورقة ٣ أ.

(٨) وزر: المعين والمساعد.

حَبْرٌ[1] تَسَرْبَلَ منه دَهْرُه حِبَراً[2] بَحْرٌ تَقَاذَفُ مِنْ أمْوَاجِه الدُّرَرُ
قَامَ ابنُ تيمية في نَصْرِ شِرْعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ[3] إذْ عَصَتْ مُضَرُ
فَأَظْهَرَ الحَقَّ إذْ آثارُه دَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشَّرَّ إذْ طَارَتْ لَه الشَّرَرُ
كُنَّا نُحَدَّثُ عَنْ حَبْرٍ يَجِيءُ فَهَا أَنْتَ الإِمَامُ الذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظِرُ

وقال العلّامة ابنُ الورديّ[4]، ناظمُ «البهجة» في رحلته ـ لمّا ذكر علماء دمشق ـ:

«وتركتُ التَّعَصُّبَ والحَمِيَّة، وحضرتُ مجالسَ ابنَ تيمية، فإذا هو بيت القصيدة، وأوّل الخَرِيْدة[5]، علماء زمانه فَلَكٌ هُوَ قُطبُه، وجسمٌ هو قلبُه، يزيد عليهم زيادة الشّمس، على البَدْر، والبحر على القَطْر»[6].

بحثت بيْن يديْه يوماً فأصبْتُ المعنى فكنّاني، وقبّل بين عيني اليمنى، فقلت[7]:

إنَّ ابنَ تيمية في كُلِّ العلوم أوْحدُ
أحيَيْتَ دينَ أحمد وشَرْعه يا أحمدُ[8]

وقال الحافظ فتح الدّين أبو الفتح ابن سَيِّد النّاس اليعمريّ المصريّ[9]

---

(١) الحَبْر: العالم، ولقّب عبد الله بن عباس بحَبْرِ الأمة. المعجم الوسيط: ١/١٥٢.
(٢) حِبراً: جمع حبرة، وهو ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن. لسان العرب: ٤/١٥٩.
(٣) سيِّد تيم: هو أبو بكر الصديق، الخليفة الأول ـ رضي الله عنه ـ، والمقصود تشبيه ابن تيمية به لموقفه ـ رضي الله عنه ـ من المرتدين بعد وفاة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.
(٤) الإمام عمر بن مظفر الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩هـ (السبكي ـ طبقات الشافعية: ٦/٢٤٣، السيوطي ـ بغية الوعاة: ص ٣٦٥).
(٥) الخريدة: اللؤلؤة قبل ثقبها، والبِكْر من النساء. (لسان العرب ٣/١٦٢).
(٦) مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ورقة ٢ ب.
(٧) تاريخ ابن الوردي: ٢/٤٠٧.
(٨) مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ورقة ٢ ب.
(٩) الإمام محمد بن محمد المتوفى سنة ٧٣٤هـ صاحب المصنفات المفيدة (ابن حجر ـ الدرر الكامنة: ٤/٣٣٠، الشوكاني ـ البدر الطالع: ٢/٢٤٩).

ـ بعد أنْ ذكر ترجمة الحافظ المِزِّي ـ:

«وهو الذي حداني على رُؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، فألفيْته مِمّنْ أدرك من العلوم حَظاً، وكاد يسْتوعب السنّن والآثار حفظاً. إنْ تكلّم في التفّسير فهو حاملُ رايتِه، أوْ أفتى في الفقه فهو مُدرك غايَتِه، أو ذاكر بالحديث فهو صاحبُ عِلْمِه وذُو روايَتِه، أو حاضر بالنِّحَلِ والمِلَلِ لمْ يُرَ أوسعَ مِنْ نِحْلَتِه في ذلك ولا أرفع مِنْ دِرايته.

برّز في كلّ فنّ على أبناء جِنسه، ولم تَرَ عينُ مَنْ رآه مثلَه، ولا رأت عينُه مثلَ نفسه، كان يتكلم في / التّفسير فيحضر مجلَسه الجَمُّ الغفير، ويردون مِنْ بحر علمه العذب النَّمير، ويرتعون مِنْ ربيع فضله في روضة وغدير، إلى أنْ دبَّ إليه من أهل بلده داء الحسد، وأكبَّ أهل النّظر منهم على ما ينْتقدوه عليه مِنْ أُمور المُعتقد، فحفظوا عنه في ذلك كلاماً أوْسعوه بسببه مَلاماً، وَفَوَّقوا لتبديعه سِهاماً، وزعموا أنّه خالف طريقهم وفرّق فريقهم، يُسومونَه ريبَ المَنُونِ، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنّ صُدُورهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[1].

[٣/ب]

ولمْ يَزَلْ بمجلسه إلى حين ذهابه إلى رحمة الله، وإلَى اللَّهِ تُرجع الأمور، وهو المطلع على خائِنَةِ الأعيُنِ وما تُخفِي الصُّدور»[2].

ثمّ قال: «قرأتُ على الشّيخ الإمام، حامل راية العلوم، ومدرك غاية الفُهوم، تقي الدين أبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ـ رحمه الله ـ بالقاهرة قدم علينا، ثمّ ذكر حديثاً مِنْ جزء ابن عرفة»[3].

---

(١) سورة القصص، آية: ٦٩.

(٢) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٦ ـ ٢٧، ابن ناصر الدمشقي ـ الرد الوافر: ص ٢٦، ابن أبي يعلى ـ ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٣٩٠، مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ورقة ١ ب.

(٣) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٨.

وقال الشيخ عَلَم الدّين البِرْزالي[1] في «مُعجم شيوخه»[2]: «أحمد بن علي الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية، الحرّاني الشيخ تقي الدين أبو العباس الإمام المُجمعُ على فضله ونُبله ودينه، قرأ القرآن وبرع فيه، والعربية، والأصول وتميّز في عِلْمَيْ التّفسير والحديث، وكان إماماً لا يُلحق غباره في كلّ شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التّفسير أبْهتَ الناسَ مِنْ كثرة مَحفوظه، وحُسْن إيراده، وإعطاءِ كل قولٍ ما يستحقّه مِنَ التّرجيح والتّضعيف والإبطال، وخوضه في كلّ علم، كان الحاضرون يقضون منه العجب. هذا مع انقطاعه إلى الزهّد والعبادة، والاشتغال بالله تعالى، والتجرّد مِنْ أسباب الدّنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى، وكان يجلس في صبيحة كلّ جمعة يُفسّر القرآن العظيم، فانْتُفِعَ بمجلسه، وبركة دعائه، وطهارة أنفاسه، وصدْق نِيّته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأناب إلى الله خلق كثير، وجرى على طريقة واحدة مِنْ اختيار الفقر والتّقلّل مِنَ الدّنيا، رحمه الله تعالى»[3].

وقال العلاّمة ابن الزّملكاني[4] ـ أحد الأئمة الأعلام مِنَ الشافعية ـ[5]: لقد أُعطي ابن تيمية اليد الطُّولَى في حُسن التّصنيف / وجَوْدة العبارة والتّرتيب [٤/أ]

---

(١) الإمام الحافظ القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي، صاحب التاريخ الخطير، والمعجم الكبير، المتوفى سنة ٧٣٨ هـ. طبقات الشافعية: ٦/٢٤٦.

(٢) وهو معجم كبير قيم يقول الحافظ الذهبي في وصفه:

إنْ رُمتَ تفتيشَ الخزائنِ كلِّها ... وظهورَ أجزاءٍ حَوَتْ وعوالي
ونعوتَ أشياخِ الوجودِ وما رووا ... طالِعْ أو اسمعْ معجمَ البِرْزالي

(معجم الشيوخ للذهبي: ٢/ورقة ٢٥).

(٣) ابن ناصر الدمشقي ـ الرد الوافر: ص ١٢١، مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ص ٤٨.

(٤) الإمام، قاضي القضاة محمد بن علي بن عبد الواحد بن خطيب زملكا الشافعي، المتوفى سنة ٧٢٧هـ. (طبقات الشافعية: ٥/٢٥١ ـ ٢٥٩).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٢، والرد الوافر: ص ٥٨، والعقود الدرية: ص ٣٨٩، والشهادة الزكية: ورقة ٤ أ.

والتّقسيم والتّبيين، وقد ألَانَ اللَّهُ له العلومَ كما ألَانَ لداود الحديد[٤]، كان إذا سُئل عَنْ فنّ مِنَ العِلْم ظنّ الرّائي والسّامع: أنّه لا يعرفُ غير ذلك الفنْ، وحكم: أنَّ أحداً لا يعرف مثله، وكان الفقهاء مِنْ سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لَمْ يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعْرفُ أنّه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلّم في علم مِنَ العلوم ـ سواء كان مِنْ علوم الشّرع أو غيرها ـ إلاّ فاق فيه أهله والمُنسوبين إليه، وكانت له اليدُ الطّولى في حُسن التّصنيف، ووقعت مسألة فرعيّة في قسمة جرى فيها اختلاف بيْن المُفتين في العصر، فكتب فيها مجلّدة كبيرة، وكذلك وقعت مسألة في حدّ من الحدود، فكتب فيها مجلّدة كبيرة أيضاً، ولم يخرج في كل واحدة عَنِ المسْألة ولا طوّل بتخليط الكلام، والدّخول في شيء والخروج مِنْ شيء، وأتى في كل واحدة بما لَمْ يكُن يجْري في الأوهام والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها».

وقال[٢] عنْ كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل»[٣]: مِنْ مُصنّفات سيّدنا وشيخنا وقُدوتنا الشيخ السيّد الإمام العالِم العلاّمة الأوحد البارع الحافظ الزّاهد الوَرِع القُدوة الكامل العارف، تقي الدين، شيخ الإسلام، مُفتي الأنام، وسيّد العلماء، قُدوة الأئمّة الفضلاء، ناصر السنّة، قامع البدعة، حجة الله على العباد، راد أهل الزّيغ والعناد، أوحد العلماء العاملين، آخر الأئمّة المجتهدين أبي العبّاس أحمد بن تيمية حفظ الله على المسلمين طول حياته، وأعاد عليهم من بركاته، إنَّه علَى كُلّ شَيء قديرٌ.

---

(١) انظر تاريخ ابن الوردي: ٢/ ٤٠٦.

(٢) الكلام لابن الزملكاني.

(٣) هذا الكتاب موجود في مكتبة الأستاذ «زهير الشاوش» تحت رقم ٧١٤، وعليه تقريظ «ابن الزملكاني». والنسخة كتبت سنة ٧١٤هـ، أي قبل وفاة ابن تيمية وابن الزملكاني بثلاث عشرة سنة. ذكر ذلك الأستاذ زهير الشاوش في مقدمة تحقيقه للرد الوافر. وانظر الشهادة الزكية: ورقة ٤ ب.

وقال عنْ كِتاب[1] «رفعُ الملَام عنْ الأئمّة الأعْلام»: تأليف الشيخ الإمام العالِم العلّامة الأوحد الحافظ المجتهد الزّاهد العابد القُدوة إمام الأئمّة، وقدوة الأُمّة، علّامة العُلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدّين، بركة الإسلام، حجة الأعلام، برهان المتكلّمين، قامع المُبتدعين، محيي السنّة، ومَنْ عظمت به لله علينا المِنَّة، وقامت به على أعدائه الحُجّة، واستبانت ببركته وهَدْيه المَحجَّة تقيّ الدّين أحمد بن تيميّة أعلى الله مناره وشيّد به مِنَ الدّين أركانه»[2] ثم قال:

ماذا يقولُ الواصفونَ لَهُ   وصِفاتُهُ جلَّتْ عَنِ الحَصْرِ
هُوَ حُجةٌ للَّهِ قاهِرةٌ   هو بيننا أُعْجُوبَةُ الدَّهْرِ
هُو آيةٌ في الخلق ظاهرةٌ   أنوارُها أَرْبَتْ عَلَى الفَجْرِ[3]

وقال الشيخ الإمام القُدوة الزّاهد عماد الدّين أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيّ[4]: «شيخنا السيّد إمام الأُمّة، الهُمام مُحيي السنّة وقامعُ البِدْعة، ناصر الحديث، مُفْتي الفرق، الفاتق عيْن الحقائق، ومُوصِلُهما بالأصول الشرعيّة للطالب الذّائق، الجامع بيْن الظّاهر والباطن، فهو يقْضي بالحقّ ظاهراً وقلبُه في العُلى قاطن، نموذج الخُلفاء الراشدين والأئمّة المَهْديّين، الذين غابت عَنِ القلوب سِيَرُهم، ونَسِيَتْ الأمّةُ حَذْوَهم وسُبُلَهُم، فكان في دارس نهْجِهم سالكاً، ولأَعِنَّةِ قواعدهم مالكاً، الشيْخ الإمام تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلاّم بن تيميّة، فواللَّه ثُمّ والله ثُمَّ والله لَمْ يُر تحت أَديم السماء مِثْلُه علماً وحالاً وخُلُقاً وأتباعاً وكرماً

---

(١) وهو كتاب قيم حافل، وقد طبع بدمشق، المكتب الإسلامي سنة ١٩٦٤م.
(٢) ابن ناصر- الرَّد الوافر: ص ٥٧، مرعي الحنبلي ـ الشَّهادة الزَّكية: ص ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) تاريخ ابن الوردي: ٢/٤١٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٩٢، والرد الوافر: ص ١٦٠، والعقود الدرية: ص ٣٨٩، والشهادة الزكية ص ٣٨، وفي جميعها ما خلا العقود الدرية والشهادة الزكية، ذكروا بيتان فقط.
(٤) المتوفى سنة ٧١١هـ، انظر ترجمته في الدرر الكامنة: ١/٩١.

وحِلْماً في حقّ نفسه، وقيامه في حقّ الله عند انتهاك حُرماتـه، أصدق النّاس عقداً، وأصحهم علماً وعزماً، وأعلاهم في انتصار الحقّ وقيـامه هِمّـة، وأسخاهم كَفّاً وأكملهم اتباعاً لنبيّه محمد ـ ﷺ ـ ..» وأطال في ترجمـة الشيخ.

وقال الحافظ الناقد أبو عبد الله شمس الدّين الذّهبي[1]: «نشأ ـ يعني ـ الشيخ تقي الدين ـ رحمه الله ـ في تصوّن تامّ، وعفاف وتألّه وتعبّد، واقتصاد في المَلْبس والمَأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظرُ ويُفْحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة بلْ أقلّ، وشرع في الجمع والتّأليف من ذلك الوقت، وأَكَبَّ على الاشتغال ومات والدُه، وكان مِنْ كِبار الحنابلة وأئمتّهم، فَدَرَّسَ بعده بوظائفه وله إحِدى وعشرون سنة، واشْتهر أمـرُه، وبَعُدَ صِيتُه في العالَم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجُمَع ـ على كُرسّي ـ مِنْ حِفْظه، فكان يُورد المجلس ولا يتلعثم، وكان يورد الدّرس بتُؤَدة وصوت جهْوريّ فصيح، وكان آية مِنَ الذّكاء وسُرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسنّة والاختلاف، بحراً في النقّليات، هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء وأمراً بالمعروف ونهياً عنِ المُنكر، وكثرة تصانيف، وقرأ وحصّل وبرع في الحديث والفقه، وتأهّل للتدّريس والفتّوى وهو ابن سبع عشرة سنة، وتقدّم في علم التّفسير والأُصول وجميع علوم الإسلام، أصولها وفروعها ودقّها وجلّها فإن ذُكر التفسير فهو حامل لوائه، وإنْ عُدَّ الفقهاء فهو مجتهدهم المُـطلق، وإنْ حَضَرَ الحفّـاظ نطقَ وخـرسوا، وسـرد وأَبْلسوا، واستغْنى وأفْلسوا، وإنْ سُمِّي المتكلمّون فهوفَرْدُهم، وإليه مرجعُهم، فإنْ لاح ابنُ سينا يَقْدُمُ الفلاسفةَ فَلَّهم وَتَيَّسهم، وهتكَ أَستارهم، وكشف عَوارَهم، وله يد

---

(١) الإمام محمد بن أحمد المتوفى سنة ٧٤٨هـ. (انظر ترجمته الحافلة في مقدمة الجزء الأول من «سير أعلام النبلاء» للدكتور بَشّار عواد).

طُولى في معرفة العربية والصرف واللّغة، وهو أعظم مِنَ أَنْ تصفُه كَلِمي، أو يُنبِّه على شَأْوه قلمي، فإنَّ سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاتِه يحتمل أنْ تُوضع في مجلّدين، فالله تعالى يغفر له ويُسكنه أعلى جنّته، فإنّه كان ربانيَّ الأمة، وفريدَ الزّمان، وحاملَ لواء الشريعة / وصاحب مُعضلات المسلمين رأسا [٥/أ] في العلم يُبالغ في إطراء قيامه في الحقّ والجهاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر مبالغة ما رأيتُها ولا شاهدتُها مِنْ أَحد، ولا لحظتُها مِنْ فقيه»(١).

قال: «وكان له باعٌ طويلٌ في معرفة مذاهب الصّحابة والتّابعين، وقلَّ أنْ يتكلّم في مسْألة إلاّ ويذكر فيها مذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعةَ في مسائل معروفة، وصنَّفَ فيها واحتج لها بالكتاب والسنّة.

ولمَّا كان مُعْتَقَلاً بالإسكندرية، الْتمس منه صاحبُ سبته أَنْ يجيز له مروِّياته وَيَنُصَّ على أسماءِ جُملة منها، فكتب في عشْرِ ورقاتٍ جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه بحيث يعجز أَنْ يعملَ بعضَه أكبرُ مُحَدِّثٍ يكون.

وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب مُعَيَّن بل بما قام الدّليل عليه عنده.

ولقد نصر السُنَّة المحضة والطّريقة السّلفيـة، واحتجَّ لهـا ببراهين ومقدمات وأمور لم يُسْبق إليها.

وأطلق عباراتٍ أحجمَ عنها الأولّون والآخرون وهابوا، وجَسَـرَ هو عليها، حتى قـام عليه خلق مِنْ علماء مصر والشّام قياماً لا مزيد عليه، وَبَدَّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابتٌ لا يُداهن ولا يُحابي، بل يقول الحق المُرَّ الذي أَداهُ إليه اجتهادُه، وحِدَّةُ ذهنه، وَسَعَةُ دائرته في السنة والأقوال، مع ما اشتهر عنه مِنَ الورع وكمال الفكر وسرعة الإدراك والخوف مِنَ الله العظيم،

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدُّرِّيَّة: ص ٣٩ ـ ٤٠، مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ص ٤٢ ـ ٤٣.

والتّعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حَمَلات حَرْبِيَّة ووقعات شامِيَّة ومِصْرِيَّة، وكم مِنْ مرّةٍ قد رمَوْه عن قوس واحدة فَيُنَجِّيه اللَّهُ، فإنه دائمُ الابتهال كثيرُ الاستغاثة، قويُّ التوكّل، ثابتُ الجأْش، له أوراد وأذكار يُدْمِنُها [بكيفِّيْه][1] وجمعية، وله مِنَ الطّرف الآخر مُحِبُّون مِنَ العلماء والصّلحاء ومِنَ الجُنْد والأمراء ومِنَ التجار والكبراء، وسائرُ العامة تحبّه لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه.

وأمّا شجاعته[2] فبها تُضْرَبُ الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نَوْبَةِ غَازان[3]، والْتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين وبخَطْلوشَاه[4] وببُولاي وكان قبجق[5] يتعجّب مِنْ إقدامه وجرأته على المغول.

وله حِدَّة قوية تعتريه في البحث حتّى كأنه ليثُ حربٍ.

[٥/ب] وهو أكبر من أنْ / ينْبَهَ مِثْلي، على نُعُوته، فلو حلفتُ بين الركن والمقام: لحلفتُ أنّي ما رأيتُ بعيني مثلَه، ولا والله ما رأى هو مثلَ نفسه»[6].

وقال في مكان آخر في ترجمة طويلة:

«وله خِبرةٌ تامةٌ بالرجال وجرحِهم وتعديلِهم وطبقاتِهم، ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنّازل وبالصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه ـ الذي انفرد

---

(١) في الشهادة الزكية ص ٤٢: «بكيفية».
في الأصل: «بكفيه» وأظنها مصحفة، وقد أثبتنا ما في «الشهادة الزكية» ص ٤٢ و«العقود الدرية» ص ١٣٤.

(٢) انظر: الأعلام العلية: ص ٦٣ ـ ٦٦، والشهادة الزكية: ورقة ٥ أ.

(٣) وهو قائد جيوش التتار التي غزت بلاد الشام سنة ٦٩٩ ـ ٧٠٢هـ.

(٤) خطلوشاه، وبولاي: من أكبر قادة «غازان» ملك التتار.

(٥) هو سيف الدين قبجق المنصوري، والي دمشق سنة ٦٩٦هـ.

(٦) البزار ـ الأعلام العلية: ص ٢٣ ـ ٣٠، ابن ناصر ـ الرد الوافر: ص ٣٤، ١٣٢ ـ ١٣٤، مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ٤١ ـ ٤٣.

به ـ فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يُقاربه، وهو عجب مِنْ إستحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستّة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال: كلّ حديث لا يعرفه ابنُ تيمية فليس بحديث، ولكنَّ الإحاطة لله، غير أنّه يغترف فيه من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون مِنَ السَّواقي.

وأمَّا التفسير فمسلَّم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدّليل لها على المسألة قوّة عجيبة، وإذا رآه المُقرىء تحيّر فيه. ولِفرط إمامته في التفسير وعظمة اطّلاعه يُبيّن خطأ كثيرٍ من أقوال المفسرين، ويُوهي أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دَلَّ عليه القرآنُ والحديث، ويكتب في اليوم واللّيلة من التفسير أوْ مِنَ الفِقْه أو مِنَ الأصلين أو من الردّ على الفلاسفة والأوائل نحواً مِنْ أربعة كراريس أو أزْيد، وما أُبْعدُ أَنَّ تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد، ولـه في غير مسـألة مصنف مفـرد في مجلد»[1]. ثم ذكر بعض تصانيفه ـ رحمه الله ـ.

وكتب الذّهبي طبقته بخطه[2] يقول فيها: «سمع جميع هذا الكتاب على مؤلّفه شيخنا الإمام العالم العلاّمة الأوحد شيخ الإسلام، مُفتي الفرق قدوة الأُمّة أعجوبة الزمّان بحر العلوم حبر القرآن، تقي الدّين سيّد العبّاد أبي العباس أحمد بن تيمية الحرّاني ـ رضي الله عنه ـ»[3].

وقال الشيخ عَلَم الدين[4]: «رأيت إجازة بخطّ الشيخ تقي الدين، وقد كتب تحتها الشيخ شمس الدّين الذّهبي[5]: هذا خطّ شيخنا الإمام شيخ

---

(١) مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ص ٤١ ـ ٤٢.
(٢) وهي طبقة سماع كتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».
(٣) الرد الوافر: ص ٣٢، الشهادة الزكية: ورقة: ٥ أ.
(٤) وهو الإمام الحافظ قاسم بن محمد البِرْزالي المتوفى سنة ٧٣٨هـ.
(٥) الرد الوافر: ص ٣٣، والشهادة الزكية: ورقة: ٥ أ.

الإسلام فرْدُ الزّمان وبحر العلوم تقيّ الدين، مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدلّ ـ وهو دون البلوغ ـ وبرع في العلم والتّفسير وأفتى ودرّس ـ وله نحو العشرين سنة ـ وصنّف التصانيف وصار مِنْ كبار العلماء في حياة شيوخه، وله المصنّفات الكبار التي سارت بها الرُّكبان، ولعلّ تصانيفه في هذا/الوقت تكون أربعة آلاف كرّاس [٦/أ] وأكثر، وَفَسَّرَ كتاب الله مدّة سنين مِنْ صدره أيّام الجُمَع. وكان يتوقّد ذكاءً، وسماعاته مِنَ الحديث كثيرة وشيوخه أكثر مِنْ مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المُنتهى، وحفْظُه للحديثِ ورجاله وصحّتِه وسقمِه فما يُلْحق فيه.

وأمَّا نقْلُه للفقه ومذاهب الصّحابة والتّابعين، فضلاً عن مذاهب الأربعة فليس له فيه نظر.

وأمّا معرفته بالمِلل والنِّحل والأُصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً.

وعربيته قوية جداً.

ومعرفته بالتاريخ والسّير فعجب عجيب.

وأما شجاعتُه وجهادُه وإقدامُه فأمر يتجاوز الوصف ويفُوق النَّعْت، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذّين يُضرب بهم المثلُ، وفيه زهد وقناعة باليسير بالمَأْكل والمَلْبس»[١] وانتهى كلام الذّهبي، وقد أنْصف ـ رحمه الله ـ.

وقال بعضُ قدماء أصحاب الشيخ ابن تيمية، وقد ذكر نُبذة مِنْ سيرته[٢]: «أمّا مبدأ أمْره ونشْأته فإنّه نشأ مِنْ حين نشأ في حجور العلماء، راشفاً كؤوس الفُهوم، راتعاً في رياض التفقّه، ودوْحات الكُتب الجامعة لكلّ فنّ مِنْ الفُنون، لا يلْوي إلى غير المُطالعة والاشْتغال والأخذ بمعالي الأمور، وخصوصاً الكتاب العزيز والسّنّة النبوية ولوازمها، ولمْ يزلْ على ذلك خَلفاً صالحاً

---

(١) ابن ناصر ـ الردالوافر: ص ٣٣، مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ص ٤٠.

(٢) العقود الدرية: ص ٢١ ـ ٢٢.

سلفياً مُتَأَلِّهاً عنِ الدنيا، صَيِّناً تقيّاً، بَرّاً بأُمّه، ورِعاً عفيفاً، عابداً ناسكاً، صواماً قواماً، ذاكراً لله تعالى في كلامه وعلى كل حال، راجعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وَقّافاً عند حدود الله تعالى، وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر بالمعرُوف، لا تكاد نفسه تشبعُ من العلم ولا تَرْوى مِنَ المُطالعة وَلاَ تَملُّ مِنَ الاشتغال، ولا تَكِلُّ مِنَ البحْث، وقلَّ أنْ يدخُلَ في عِلْم مِنَ العلوم مِنْ باب مِنْ أبوابه إلاّ ويُفتحُ له مِنْ ذلك الباب أبواب، ويستدركُ مستدركاتٍ في ذلك العلم على حُذّاق أهْله معضودةً بالكتاب والسنّة. ولقد سمعتُه في مبادىء أمره يقول: إنّه ليقف خاطري في المسألة أو الشّيء أو الحالة التّي تَشْكُلُ عليَّ فأستغفر الله تعالى ألْف مرّة أو أكثر وأظلّ حتى ينْشرحَ الصّدر، وينْحَلَّ إشْكالُ ما أشكل. قال: وأكون إذْ ذاكَ في السّوق أو المسجد أو الدّرب أو المدرسة لا يمنعني ذلك مِنَ الذّكر والاستغفار إلَى أنْ أنالَ مطلُوبي. قال: ولقدْ كنتُ في تلك المُدّة، وأوّل النّشأة إذا اجتمعت بالشيخ/ - ابن تيمية - في ختمة أو مجلس ذكر خاص مع المشايخ، وتذاكروا وتكلّم مع حداثة سنّه أَجِدُ لكلامه صولةً على القلوب، وتأثيراً في النفوس، وهيمنة مقبولة ونفعاً يظهر أثره وتنفعل له النّفوس، سمعته أياماً كثيراً حتى كانَ مقاله بلسان حاله، وحاله ظاهرٌ في مقاله، ولقد شَهدْتُه منه غيرة مرة. [٦/أ]

وقال الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد عبد الهادي ابن قدامة المقدسي(١) في كتابه المناقب(٢): «لم يبرح شيخنا في ازدياد من العلوم، وملازمة للاشتغال، وبثّ العلم، ونشره والاجتهاد في سبيل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزّهد والورع والشجاعة والكرم والتّواضع والحلم والإنابة والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهّي عنِ

(١) المتوفى سنة ٧٤٤هـ.
(٢) العقود الدرية: ص ٢٢ - ٢٣.

المُنكر وسائر أنواع الجهاد؛ مع الصّدق والأمانة والعِفّة والصِّيانة، وحُسْنِ القصْد والإخلاص والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه وكثرة المراقبة له، وشدّة التمسّك بالأثر والدّعاء إلى الله، وحُسْن الأخلاق، ونفع الخلق، والإحسان إليهم، والصّبر على مَنْ آذاه، والصّفح عنه، والدّعاء له، وسائر أنواع الخير.

وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المُخالفين، وَشَجّاً في حقوق أهل الأهواء والمُبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحقّ ونُصرة الدّين، وكان بحراً مِنَ الذّكاء، وَحَبْراً يَقْتَدِي به الأخيار الألباء، طَنّت بذكره الأمصار، وضَنَّت بمثله الأعصار، واشتغل بالعلوم وكان ذكيّاً كثير المحفوظ، إماماً في التّفسير وما يتعلّق به، عارفاً بالفقه واختلاف العلماء، والأصلين والنّحو واللُّغة وغير ذلك من العلوم النّقلية والعقلّية، وما تكلّم معه فاضل في فنّ إلاّ ظنّ أنَّ ذلك الفنَّ فنُّه ورآه عارفاً مُتقناً له.

وأمّا الحديث فكان حافظاً له، مُميّزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله مُضْطَلِعاً مِنْ ذلك. وله تصانيفُ كثيرة، وتعاليقُ مفيدة في الفروع والأصول، وأثنى عليه وعلى فضائله جماعة مِنْ علماء عصره.

وقال الشيخ الإمام الفاضل الأديب أحمد شهاب الدّين بن فضل الله العمري الشافعي[١] في تاريخه المسمّى «بمسالك الأبصار في ممالك الأمصار» في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية وهي طويلة تبلغ كَراسة[٢]: «ومنهم أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن عبد الله بن أبي القاسم

(١) الإمام أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٧٤٩هـ. (انظر ترجمته في فوات الوفيات ١/٧، النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٤، شذرات الذهب ٦/١٦٠).

(٢) كتاب «مسالك الأبصار» طبع جزء منه بتحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤م، وبقية الكتاب لم تزل مخطوطة، وقد فحصت الأجزاء الخطية المتوفرة لديّ فلم أجد فيها ترجمة ابن تيمية، فلعلها في القسم الباقي الذي لم يتوفّر لديّ.

الحرّاني العلاّمة الحافظ الحجّة المجتهد المفسّر شيخ الإسلام نادرة/العصر [٧/أ]
عَلَم الزهّاد تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ:

هـو البحرُ مِنْ أيِّ النـواحي جِئْتَهُ والبَـدْرُ مِنْ أيِّ الضَّـواحي رَأَيْتَـهُ

رضع شذى العلم منذُ فُطِم، وطلع وجه الصباح ليحاكيه فلُطم، وقطع اللّيل والنهار ردائين، واتّخذ العلم والعمل صاحبيْن، إلى أنْ أنْسى السّلفَ بهُداه، ونأى الخَلف عنْ بلوغ مداه؛ على أنّه مِنْ بيتٍ نشأت منه علماء في سالف الدّهور، ونشأت منه عظماء على المشاهير الشّهور، فأجْبى معالِمَ بيته القديم إذْ درسَ، وجنى فننه الرطيب ما غرس، وأصبح في فضله آية، إلاّ أنّه آية الجرس.

عرضت له الكُدَى فزخرفها، وعارضته البحار فضَحْضَحها، ثُمّ كان أُمةً وحده، وفرداً حتّى نزل لَحْدَه، جاء في عصر مأْهول بالعلماء، مشحون بنُجوم السمّاء، تموج في جانبيه بحور خضارم، وتطير بين خافقيه نسور قشاعم، وتشرف في أنديته بدور دجنة، وصدور أسنة، إلاّ أنَّ شمسه طمس تلك النجوم، وبحره طمّ على تلك الغيوم، ففأت سمرته على تلك التّلاع وأطلت قسورتُه على تلك السّباع، ثم عُبِّئَت له الكتائب فحطَّمَ صفوفَها وخطم أنوفَها، وابتلع غديرُه المطمئن جداولَها، واقتلع طودُه المُرَجْجَنُ جنادلَها، وأخمدتْ أنفاسَهم ريحُهُ، وأكمدتْ شرارَتهم مصابيحُهُ.

تقـدّم راكبـاً فيهم إمـامـاً ولولاه لـما ركبـوا وراءه[1]

فجمعَ أُشتاتَ المذاهب، وشِتات الذّاهب، ونقل عن أئمة الإجماع فَمَنْ سواهم، مذاهبَهم المختلفة واستحضرهـا، ومثَّلَ صُورهم الذاهبـة وأحضرها، فلو شعر أبو حنيفة بزمانه، وملك أمره، لأدنى عصره إليه مُقْتَرباً، أو مالك لأجرى ورآه أشهبه وكوكباً، أو الشافعيّ لقال: ليت هذا كان للأُمِّ

(١) انظر: الرد الوافر: ص ٨٣.

ولد، أو ليتني كنتُ له أباً، أو الشّيباني أحمد لما لام عذاره إذ غدا منه لفرط العجب أشيباً، لا بل داود الظّاهري أو سِنان الباطنيّ لظنّا تحقيقه مِنْ مُنْتحله، وابنُ حَزْم والشّهرستاني لحشَر كلاً منهما ذِكْره في نحله، أو الحاكم النّيسابوري والحافظ السِّلَفي، لأضافه/هذا إلى مُستدركه، وهذا إلى رحله، [٧/ب] ترد إليه الفتاوي ولا يردُّها، وتفد عليه فيجيب عنها بأجوبة كأنه كان قاعداً لها يُعِدُّها.

أبداً على طَرَفِ اللّسانِ جوابُهُ فكأنَّما هي دفعةٌ مِنْ صَيِّبِ[١]

وكان مِنْ أذكى الناس، كثير الحفظ، قليل النسّيان، قَلَّما حفظ شيئاً فنسيه، وكان إماماً في التفسير وعلوم القرآن، عارفاً بالفقه، واختلاف الفقهاء والأُصوليّين، والنحّو وما يتعلق به، واللّغة، والمنطق، وعلم الهيئة، والجبر، والمقابلة، وعلم الحساب، وعلم أهل الكتابين، وأهل البدع وغير ذلك مِنَ العلوم النقلّية والعقليّة، وما تكلّم معه فاضل في فنّ مِنْ الفُنون إلاّ ظن أنَّ ذلك الفنّ فنُّه.

وكان حافظة للحديث، ممّيزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله، متضلّعاً مِنْ ذلك، وله تصانيفُ كثيرة، وتعاليقُ مفيدة، وفتاوي مشبعة في الفروع والأصول، والحديث وردّ البدع بالكتاب والسنة...»[٢]. وأطال في ترجمة الشيخ. فاقتصرنا على ذلك خوفَ التطويل.

قال الشيخ الإمام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزّار[٣] في كتابه «الأعلام العليّة في مناقب ابن تيمية»[٤]: أما غزارة

---

(١) الرد الوافر: ص ٨٣، وفيه أيضاً:

يغدو مساجِلَه بغرة طامعٍ ويروحُ معترفاً بِذِلَّةِ مُذْنبِ

(٢) مرعي الحنبلي ـ الشهادة الزكية: ص ٥٤ ـ ٥٦.

(٣) المتوفى سنة ٧٤٩هـ. (انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٣/٢٥٦، وإيضاح المكنون للبغدادي ١/١٠٣).

(٤) الأعلام العلية: ص ٢٢.

علومه، فمعرفته[1] بعلوم القرآن المجيد، واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه، وفُنون حِكَمِه وغرائب نوادره، وباهرِ فصاحَتِه، وظاهرِ ملاحَتِه، فإنّه فيه مِنَ الغاية التّي يُنْتهى إليها، والنّهاية التي يُعوّلُ عليها.

ولقد كان إذا قرىء في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقضي المجلس بجُملته، والدرس برمَّته وهو في تفسير بعض آية منها.

وأما[2] معرفتُه وبصرُه بسنّة رسول الله ـ ﷺ ـ وأقواله وأفعاله وقضاياه، ووقائعه وغزواته وسراياه، وبعوثه، وما خصّه الله ـ تعالى ـ مِنْ كراماته ومُعجزاته، ومعرفته بصحيح المنْقول عنه وسقيمه. والمنقول عن الصّحابة ـ رضي الله عنهم ـ في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم، وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم في دين الله، وما خُصّوا به مِنْ بين الأمة، فإنه كان ـ رضي الله عنه ـ من أضبط الناس لذلك وأعرفِهم فيه، وأسرعِهم استحضاراً /لما يُريده منه. فإنه قَلَّ أنْ ذكر حديثاً في مُصنّف، أو فتوى، أو استشهد به، [٨/أ] أو استدل به، إلّا وعزاه في أيّ دواوين الإسلام هو، ومِنْ أيّ قسم مِنَ الصّحيح، أو الحسن أو غيرهما، وذكر اسم راوية مِن الصحابة، وقلَّ أنْ يُسأل عنْ أثر إلّا وبيّن في الحال حاله، وحال أمره وذاكره.

[3]ومنحه الله ـ تعالى ـ مِنْ معرفة اختلاف العلماء ونصوصهم، وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل، وما رُوي عن كُل منهم مِنْ راجح ومرجوح، ومقبول ومردود، في كلّ زمان ومكان، ونظره الصّحيح الثّاقب الصّائب للحقّ ممّا قالوه ونقلوه وَعَزْوُهُ ذلك إلى الأماكن التي بها أودعوه، حتى كان إذا سُئل

---

(١) في الأعلام العلية: «ذكر معرفته».
(٢) الأعلام العلية: ص ٢٣ ـ ٢٤.
(٣) الأعلام العلية: ص ٢٤ ـ ٢٥.

عن شيء من ذلك كان كأنَّ جميع المنقول فيه عن الرسول وأصحابه والعلماء فيهِ من الأوّلين والآخرين متصور ومسطور بإزائه، يقول منه ما يشاء ويذر ما يشاء، وهذا قد اتّفقَ عليه كلّ مَن رآه.

[1]وقلّ كتاب مِن فنون العلم إلّا وقف عليه، وكأنّ الله قد خصّه بسرعة الحفظ وإبطاء النسّيان لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء ـ غالباً ـ إلّا ويبْقى على خاطره، إمّا بلفظه أو بمعناه، وكان العلم كأنّه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره، فإنّه لم يكن له مستعاراً، بل كان له شعاراً ودثاراً، جمع الله له ما خرق بمثله العادة، ووفقه في جميع عمره لأعلام السّعادة، وجعل مآثره لإمامته مِن أكبر شهادة. حتى اتفق كلّ ذي عقل سليم أنّه ممّن عُني نبينا المصطفى ـ ﷺ ـ بقوله: «إنَّ الله يَبْعَثُ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لهذه الأمة أمر دِينِها»[2]. فلقد أحيا الله به ما كان قد دَرَسَ مِنْ شرائع الدّين، وجعله حُجة على أهل عصره أجمعين، والحمد لله رب العالمين».

وبالجملة فكلام الأئمة بالثّناء عليه ممّا يطول، وفيما ذكرناه كفاية، تدلّ على عُلُوّ رتبته، ورفيع شأنه، ومرتبته ـ رضي الله تعالى عنه ـ، وأثنى عليه كثيرٌ من الفضلاء بالقصائد في حالة حياته، فمِنْ ذلك قصيدة نجم الدين إسحاق بن أبي بكر التّركي[3]، وهي قصيدة، سبعة وستون بيتاً[4].

(١) الأعلام العلية: ص ٢٠ ـ ٢١.
(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»: ١٠٩/٤ كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة رقم ٤٢٩١.
وأحمد في «المسند»: ٨٨/٢.
والحاكم في «المستدرك» ٥٢٢/٤ كتاب الملاحم، وأقره الذهبي.
(٣) وهو الإمام المُحَدِّث الفقيه، ولد سنة ٦٧٠هـ، له قصيدة مدح بها مذهب الإمام أحمد، وذكر فيها مدح الشيخ تقي الدين ابن تيمية، بقيَ إلى بعد ٧٢٠هـ، وانقطع خبره. (انظر ترجمته في الرد الوافر: ص ٩٠).
(٤) العقود الدرية: ص ٣٩٢ ـ ٣٩٩، والرد الوافر: ٩٠ ـ ٩١، وقد أورد عشر أبيات منها في ترجمة الناظم.

ذراني مِنْ ذكـري سُعـادٍ وزينب ... ومِنْ ندبِ أطلالِ اللِّوى والمُحَصَّبِ

/ومِنْ مدحِ آرام[١] سَنَحْنَ بـرامـةٍ ... ومِنْ غَزَلٍ في وصفِ سِرب[٢] وَرَبْربِ[٣] [٨/ب]

ولا تُنْشِداني غيرَ شِعـرٍ إلى العُلا ... يـظلّ ارتيـاحـاً يـزْدهيني وَيـطّبي

وإن أنتمـا طـارحتمـاني، فلْيكُنْ ... حـديثُكما في ذكـر مجد ومنصبِ

بحبِّ المعالي لا بحبِّ أم جُنْدب ... أقضي لُبـانـاتِ الفؤادِ المُعـذَّبِ

خلقت امرءاً جَلْداً على حمْلِ الهوى ... فلسْت أُبـالي بـالقِلَى والتـجنّبِ

سواءٌ أرى بالوَصْل تعريضَ جُؤْذُرٍ[٤] ... وإعراضَ ظَبْي العَس[٥] الثَّغرِ أشْنَبِ[٦]

ولم أَصْبُ في عصْر الشّبيبة والصِّبا ... فهـلْ أَصْبُـوَنْ كهـلاً بِلَمَّـة أَشْيبِ

يُعَنِّفُنـي في بُـغْـيتي رُتَـبَ العُـلا ... جَهـولٌ أراه راكبـاً غيـرَ مَـرْكبي

لـه هِمَّـةٌ دونَ الحضيضِ مَحلُّها ... ولي هِمَّةٌ تسمو على كـلِّ كَوْكَبِ

فَلَو كـان ذا جَهْلٍ بسيطٍ عَـذَرْتُـه ... ولكنـه يُـدْلي بجهْـلٍ مُـركَّبِ

يقول علامَ اخترتَ مذهبَ أحمدٍ[٧] ... فقلت له: إذ كان أحمدَ مَذْهب[٨]

وهل في ابن شيبانَ[٩] مقالٌ لقائلٍ ... وهلْ فيهِ من طعْنٍ لصاحِبِ مَضْرَبِ

أليسَ الذي قدْ طارَ في الأرضِ ذِكرُه ... فـطبَّقَهـا مـا بين شـرقٍ ومغـربِ

إمامُ الهدى الداعي إلى سُنَن الهُدي ... وقد فاضتِ الأهواءُ مِنْ كُـلِّ مَسْغَبِ

إلى أن قـال:

---

(١) آرام: جمع ريم: وهو ولد الظبية.

(٢) السرب: القطيع من الظباء، والجماعة من النساء.

(٣) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٤) الجؤذر: ولد بقرة الوحشة.

(٥) اللّعس: سواد مستحسن في الشفة.

(٦) الشنب: رقة الأسنان وعذوبتها.

(٧) وهو الإمام المبجل أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ.

(٨) «أحمد مذهب» أفعل تفضيل، أي أكثر صفات يحمد من أجلها.

(٩) ابن شيبان: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.

وأصحابُه أهـلُ الهُدى لا يَضُـرّهُمْ / على دينهم طعنُ أمرىء جاهل غَبِي
همُ الـظّاهرونَ القـائمـونَ بِـدِيْنِهم / إلى الحشْـر لمْ يغلبهُم ذو تَغْلُبِ
لنـا منهمُ في كـلّ عصـر أئمـةٌ / هداةٌ إلى العُلْيا، مصابيحُ مُـرقِبِ
فَـأَيَّـدهم ربُّ العـلا مِنْ عصـابةٍ / لإظهـارِ دينِ الله أهـلِ تعصُّبِ
وقـد علم الـرحمٰن أنَّ زمـاننـا / تَشَعَّبَ فيـه الـرأي أيَّ تـشعُّبِ
فجـاء بِحَبْـر عـالم مِنْ سَرَاتِهم / لسبـع مِئينٍ بعـد هجـرةِ يَثْـرِبِ
يُقيمُ قنـاةَ الدينِ بعـدَ اعْوجـاجهـا / ويُنقـذهـا مِنَ مـذْهبِ المتعصّبِ
فـذاك فتَى تيميّـةٍ خيـرُ سيّـدٍ / نجيبٌ أتـانـا من سُـلالـةِ مُنْجبِ
عليمٌ بـأدْواء النّفـوس يَسُـوسُهـا / بحكمتـه، فعْلَ الـطّبيبِ المُجَرِّبِ
بعيـدٍ عنِ الفحشاء والبغْي والأذى / قريبٍ إلى أهل التّقى، ذو تَحَبُّبِ
يغيب، ولكنْ عن مسـاوٍ وغيبـة / وعنْ مشهـد الإحسـان لم يتغيَّبِ
[٩/أ] /حليم كريـم مُشفق، بَـيْـدَ أنّـه / إذا لم يُطَعْ في اللّهِ، لله يغْضبِ
يـرى نُصرةَ الإسـلام أكرم مغْنَمٍ / وإظهـار دَينِ الله أربـحَ مكْسَبِ
وكم قدْ غدا بالقَوْلِ والفعْل مُبطِلاً / ضـلالَـة كَـذَّاب ورأيَ مُكـذِبِ
ولم تَلْقَ مَنْ عـاداه غيـرَ منـافقٍ / وآخـرَ عن نهْـج السّبيـل مُنَكِّبِ
لقد حاولُـوا منه الـذي كان رامَـهُ / مِن المصْطفى قِدْماً حُيَيُّ بن أَخْطَبِ[١]
ولكنْ رأى مِنْ بـأْسـه مثلمـا رأى / مِن المرتضي في حربْه رأسُ مرْحَبِ[٢]

---

(١) زعيم يهود خيبر، كان من ألدّ أعداء النبي ـ ﷺ ـ قتل يوم خيبر، وتزوج الرسول الكريم ـ عليه السلام ـ ابنته السيدة صفية ـ رضي الله عنها ـ بعد عتقها وإسلامها.

(٢) مرحب: أحد فرسان اليهود وشجعانها: قتله علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في غزوة خيبر. وقد أوردت كتب الصحاح قصته، حينما طلب مرحب المبارزة، وانبرى له الفارس الشجاع علي ـ رضي الله عنه ـ فقال مَرْحب:

أنـا الـذي سمّتني أمي مَـرْحبُ / شـاكي السـلاحِ بـطلٌ مجـربُ

فقال علي ـ رضي الله عنه ـ: =

تَمَسَّكْ أبا العباس بالدِّين واعتصمْ | بحبل الهُدى، تقهرْ عِداك وتَغْلبِ
ولا تَخْشَ مِنْ كيد الأعادي فما هُمُ | سوى حائرٍ في أمره ومُذَبْذبِ
جنودُهم منْ طامعٍ ومُضلِّلٍ | مُسَيْلَمةُ منهم يلوذُ بأَشْعَبِ
وجندُك منْ أهل الماء ملائكُ | يُمِدُّكَ منهم موكبٌ بعد مَوْكبِ
لئن جَحَدَتْ علياءَ فضلِكَ حُسَّدٌ | لعمرُ أبي، قدْ زادَ منهم تعجُّبِي
وهلْ مُمْكنٌ في العقلِ أنْ يُجْحَدَ السَّنا | ضُحىً وضياءُ الشَّمسِ لَمْ يَتَحَجَّبِ؟!
أيا مَطْلباً حُزناه مِنْ غيرِ مَهْلَكٍ | وكمْ مَهْلكٍ صَدَّ الورى دُونَ مَطْلَبِ
ربيبَ المَعالي، يافعَ الجُود والنَّدى | فتَى العلم، كَهْل العِلْم، شيخَ التأدُّبِ
بسيطَ مَعَانٍ في وجيزِ عبارةٍ | بتهذيبه تعجيزُ كُلِّ مُهَذَّبِ
وليس لَه في الزّهدِ والعلمِ مُشبِهٌ | سوى الحسنِ البصري وابنِ المُسَيَّبِ
ومنْ رام حَبْراً دونه اليومَ في الوَرى | فذاك الذّي قَدْ رَامَ عَنْقاءُ مُغْربِ
أليس هو الحَبْرُ الذي بانتصاره | حبَا الدينُ حتّى بالإمامَة قَدْ حُبِي
وجاهدَ في ذاتِ الإلَهِ بنفسه | وبالمالِ والأهلينَ والأمِّ والأبِ
وما جئتُ في مدْحي[1] له مُتطلّعاً | به عَرَضاً يفْنَى ولا نيلَ منْصبِ
ولكنّني أبْغي رضا اللَّهِ خالِقِي | وأرجُو به غفرانَ زَلَّةِ مُذْنِبِ[2]

= أنا الذي سمّتني أمي حَيْدَرَة | كَلَيْثِ غاباتٍ كريهِ المَنْظَرَة
أكيلهم بالصَّاع كيلَ السَّنْدَرَة
وحيدرة: اسم من أسماء الأسد. ثم بارزه علي وقتله شرّ قتلة. وفي «العقود الدرية» ص ٣٩٨: «من المصطفى» وهو تصحيف.

(١) في العقود الدرية: ص ٣٩٩:
وما جئتُ في مدحيهما متطلعاً | به عرضاً يفنى، ولا نيلَ منصبِ
وهو الصواب لأنه مدح بهذه القصيدة اثنين من الجهابذة، وهما:
الإمام أحمد بن حنبل، وتقي الدين ابن تيمية.

(٢) خاتمتها في العقود الدرية: ص ٣٩٩:
وأجعله لي في المِعاد ذخيرة | أفوز بها في الحَشْرِ من خَطْبِهِ الوَبي

وقال القاسم بن محمود بن عساكر[1]:

تقيّ الـدّين أضحى بحْـرَ عِـلْمٍ يُـجيـبُ السـائـلينَ بـلا قُـنُـوطِ
أحـاطَ بـكُـلِّ علمٍ فيـه نفـعٌ فَقُلْ ما شِئتَ في البحرِ المحيطِ[2]

وقصائدُ مدحهِ في حياته كثيرة، وكذلك بعد وفاته، كما سيأتي ـ إنْ شاء الله ـ.

= ويبدو أن الإمام مرعي قد تَصَرَّفَ في إيراد القصيدة، تقديماً وتأخيراً، وقد أورد نصفها تقريباً، وأسقط النصف الآخر اختصاراً.

(1) القاسم بن المظفر بن محمود بن عساكر الدمشقي، بهاء الدين، طبيب، عالم بالحديث، كان يعالج المرضى مجاناً، وكتبت له «مشيخة في سبع مجلدات» تشتمل على ٥٧٠ شيخاً، وله نظم، لزم بيته في أعوامه الأخيرة، منقطعاً إلى تدريس الحديث، توفي سنة ٧٢٣ هـ. (الدرر الكامنة: ٣/٢٣٩).

(2) العقود الدرية: ص ٤١٢، والرد الوافر: ص ١١٠، أنشدهما سنة ٧٢٠هـ بمنزله بدمشق ـ رحمه الله ـ.

فصلٌ في تصانيفِ ابن تيمية وسعةِ حفظِه وقُوَّةِ مَلَكتِه

قد مَرَّت الإشارة لذلك في كلام الأئمّة وقول العلاّمة ابن الزّملكاني:

«لقد أُعطي ابنُ تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف، وجوْدة العبارة /والتّرتيب والتقسيم والتبيِّين، وقد أُلان الله له العلوم كما أُلان لداود الحديد». [٩/ب]

وتقـدم قول الحافظ الذّهبي:

«وما أُبْعِدُ أنَّ تصانيفه إلى الآن تبلُغُ خمسمائة مجلد».

وقال الشيخ ابن عبد الهادي بن قدامة: [١]«وللشيخ ـ رحمه الله ـ مِنَ المُصنّفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرّسائل وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط».

قال: ولا أعلم أحداً مِن متقدمي الأئمة ولا مُتأخريها جمع مثل ما جمع، ولا صنّف نحو ما صنّف، ولا قريباً مِن ذلك، مع أنّ أكثر تصانيفه إنّما أملاها مِن حِفظه، وكثير مِنها صنّفه في الحَبْس، وليس عِنْده ما يُحتاج إليه مِنَ الكتب.

فمِن ذلك ما جمعه في تفسير القرآن العظيم، وما جمعه مِنْ أقوال مُفسري السّلف الذّين يذْكرون الأسانيد في كتبهم، وذلك في أكثر مِن ثلاثين مجلداً (ولو كتب كله لبلغ خمْسين مجلداً)[٢]، وقد بَيَّض أصحابه بعض ذلك

---

(١) العقود الدرية: ص ٤٢.

(٢) ما بين القوسين سقط من النسخة المطبوعة لكتاب «العقود الدرية».

وكثيراً منه لم يكتبوه، وكان ـ رحمه الله ـ يقول:

«ربما طالعتْ على الآيةُ الواحدة نحو مائة تفسير، ثُمّ أسأل اللّهَ الفَهْم، وأقول:

يا مُعَلِّم إبراهيم[1] علِّمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأُمرّغُ وجْهي بالتّراب وأسأل الله ـ تعالى ـ وأقول يا معلم إبراهيم فَهِّمْنِي».

وقال أبو حفص عمر البزّار في «المناقب»[2]:

«وأمّا مؤلفاته ومُصنّفاته فإنّها أكثر مِن أنْ أقدر على إحصائها، بلْ هذا لا يقدر عليه أحد لأنّها كثيرة جدّاً، كباراً وصغاراً وهْيَ مُنتشرة في البلدان فَقَلَّ بلد نزلته إلّا ورأيتُ فيه مِنْ تصانيفه.

فمِنها ما يبلغ عشرين مجلداً «كتخليص التلبيس مِنْ تأسيس التقديس»[3].

وما يُبلغ سبع مجلداتٍ «كالجمع بين العقل والنقل».

وما يبلغ ستَّ مجلدات ككتاب «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية».

وما يبلغ خمس مجلدات «كمنهاج الاستقامة والاعتدال» ونحوه.

ومما يبلغ أربعَ مُجلدات ككتاب «الردّ على طوائف الشّيعة» «والقدر» «والرّد على ابن مطهر الرافضّي» وَبَيَّنَ جهل الرافّضة، وَضَلالهم وكفرهم.

وما يبلغ ثلاثَ مجلدات «كالردّ على النّصارى»[4].

ومجلدين «كنكاح المحلل» «وإبطال الحِيَل» و«شرح عقيدة الأصبهانيّة».

---

(١) في العقود الدرية: ص ٤٢: يا معلم آدم وإبراهيم....

(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: ص ٢٥.

(٣) الأعلام العلية: ص ٢٦.

(٤) طبع بالقاهرة باسم «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح».

وما يبلغ مجلداً واحداً فكثير جداً، فكتاب «تفسير سورة الإخلاص» مجلد، وكتاب «الكلام على قوله سبحانه الرحمن على العرش استوى» مجلد، نحو خمس وثلاثين كراسة و«الصّارم المسلول على شاتم الرسول» مجلد، و«تنبيه الرّجل العاقل على تمويه الجدل الباطل» مجلد، وكتاب «المسائل الإسكندريّة في الردّ على الملاحدة الإتحادّية». وله في الردّ على الفلاسفة مجلّدات.

وقال: الفروع أمرُها قريب، فمن قلَّد أحداً من الأئمة جاز له العمل بقوله، ما لمْ يتبيّن خطأه، وأمّا الأصول فقد رأيت أهل البدع والضّلالات تجاذبوا فيها، وأوقعوا النّاس في التّشكيك في أصول دينهم. ولذلك أكثرت مِنَ التّصنيف في أمر الرّد عليهم. وبالجُملة فذكر أسماء كتبه ممّا يطول وله مِن الرّسائل والقواعد والتّعاليق ما لا يمكن حصره.

وقد ذكر كثيراً منها/الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة[1]: «وأمّا فتاويه [١٠/أ] ونصوصه وأجوبته على الملل فهي أكثر مِنْ أنْ تُحصى، لكنْ دُوِّن منها بمصر على أبواب الفقه سبعة عشر مجلداً وهذا ظاهر مشهور، وقلَّ أن وقعت واقعة وسُئل عنها إلاّ وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر، وصار ذلك الجواب كالمصنّف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمن طويل ومطالعة كتب، وقد لا يقدر مع ذلك على إبراز مثله»[2].

وقال الشّيخ الصالح تاج الدين محمد: «حضرت مجلس الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وقد سأله يهوديّ عنْ مسألة في القدر قد نظمها شعراً في ثمانية أبيات، فلمّا وقف عليها فكّر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها، وجعل يكتب ونحن نظنُّ أنه يكتب نثراً، فلمّا فرغ تأمّلَه منْ حضر مِن أصحابه، وإذا هو نظم مِنْ بحر أبيات السؤال وقافيتها، تَقْرب من مائة وأربعة وثمانين بيتاً،

---

(١) العقود الدرية: ص ٢٦ ـ ٨٠.

(٢) الأعلام العلية: ص ٢٨ ـ ٢٩.

وقدْ أبرز فيها مِن العلوم ما لو شُرح ليبلغ مُجلدَيْن كبيْرين، وهذا مِن جملة بواهره، وكم مِن جوابِ فتوى لمْ يُسبق إلى مِثْله.

وقال: مَنَّ الله ـ تعالى ـ على الشيخ بسرعة الكتابة ويكتب مِنْ حفظه مِنْ غير نقْل.

قال: وأخْبرني غير واحد أنّه كتب مجلداً لطيفاً في يوم وكتب غير مرّة أربعين ورقة في جلسته وأكثر، وأحصيتُ ما كتبه في يوم وَبَيَّضَهُ فكان ثمان كراريس في مسألة مِنْ أَشكلِ المسائل. وكان يكتب على السّؤال الواحد مجلداً. وأمّا جـوابٌ يكتُب فيه خمسين ورقة وستين فكثيرٌ جداً.

وأمّا سعة حِفظه وقوّة ملَكَتِه فقدْ تقدّم التنّبيه عليه كثيراً في كلام الأئمة وقد أذْعن له بذلك المخالفُ والموافقُ.

وقال ابن عبد الهادي بن قُدامة: «بلغني أنَّ بعض مشايخ حلب قدم إلى دمشق وقال سمعت في البلاد بصبّي ـ وابن تيمية صبيٌّ ـ يقال لـه: أحمد بن تيمية، وأنّه كثير الحفظ وقد جئت قاصداً لعلّي أراه. فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عنْدنا السّاعة يمرّ ذاهباً إلى الكُتَّاب، فلمّا مَرَّ قيل ها هو الذّي معه اللّوح الكبير، فناداه الشيخ وأخذ منه اللّوح، وكتب من متون الحديث أحد عشراً أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له إقرأ هذا، فلم يزد على أن نظر فيه مرة بعد كتابته إياه، ثمّ دفعه إليه، وقال: اسمعه عليّ، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما يكون، ثم كتب عدة أسانيد إنتخبها، فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها، فقام الشيخ وهو يقول: إنْ عاش هذا الصبي ليكوننّ له شأن عظيم فإنَّ هذا لم يُرَ مثلُه. فكان كما قال»[1].

وقال الحافظ أبو حفص[2]: «كان ابن تيمية إذا شرع في الدرّس

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٠.

(٢) الأعلام العلية: ص ٢٩.

يفتحُ اللّهُ عليه إيرادَ العلوم وغوامضَ ولطائفَ ودقائقَ وفنونَ ونقولَ واستدلالاتٍ بآياتِ وأحاديثَ، وأقوالِ العلماءِ، ونصرِ بعضِها، وتبيينِ صحّته أو تزييف بعضها، وإيضاح حجّته، واستشهاد بأشْعار العرب، وربما ذكر اسم ناظمِها، وهو مع ذلك يجري كما يجري السَّيلُ، ويفيضُ كمَا يفيضُ البحر، ويصير منذ يتكلّم إلى أنْ يفرغ، كالغائب عن الحاضرين مُغْمضاً عينيه، ويقع عليه إذْ ذاك/من المهابة ما يُرعب القلوب، ويُحيّر الأبصار والعقول. [١٠/ب]

ومِنْ أعجب الأشياء في حفظه أنّه لمّا سُجن صنَّف كُتباً كثيرة، وذكر فيها الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء، وأسماء المحدثين، والمؤلفين ومؤلفاتهم، وعزا كلَّ شيء مِنْ ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم، وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها، وفي أي موضع هو منها، كل ذلك بديهة مِنْ حفظه، لأنّه لم يكن عنده حينئذ كتاب يُطالعه. ونقّبتُ واختبرتُ فلم يُوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغيّر(١).

وأمّا معرفته بصحيح المنْقول وسقيمه فإنّه في ذلك مِن الجبال التي لا تُرتقى ذروتُها، ولا يُنال سنامُها، وقَلَّ أَنْ ذُكر له قول إلاّ وقد أحاط علمُه بمُبتكِره، وذاكِره، وناقِله، وأثرِه، أو راوٍ إلاّ وقد عرف حاله مِنْ جرح، وتعديل، بإجمال وتفصيل(٢).

وأما ما وهبه الله ـ تعالى ـ ومنحه به مِن استنباط المعاني مِن الألفاظ النبوية والأخبار المروية، وإبراز الدّلائل منها على المسائل، وتبيين مفهوم اللّفظ ومنطوقه، وإيضاح المُخَصّص للعام، والمُقيّد للمطلق، والنّاسخ للمنسوخ، وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها، وما يترتب عليها وما يحتاج فيه إليها. فإنّه لا يُوصف(٣)، حتى كان إذا ذكر آية أو حديثاً وَبَيَّنَ معانيه وما أُريد

(١) الأعلام العلية: ص ٢٤.
(٢) الأعلام العلية: ص ٣٢.
(٣) الأعلام العلية: ص ٣٢ ـ ٣٣.

به، يعجب العَالِم الفطن مِن حسن استنباطه، ويُدهشه ما سمعه، أو وقف عليه منه.

ولقد سُئل يوماً عن الحديث: «لَعَنَ اللَّهُ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ له»[1] فلم يزل يُورد فيه وعليه، حتى بلغ كلامه فيه مجلداً كبيراً.

وقلّ أن كان يُذكر له حديث أو حكم فيشاء أنْ يتكلم عليه يومه أجمع إلّا فعل، أو يقرأ بحضرته آية من كتاب الله تعالى، ويشرع في تفسيرها، إلّا وقطع المجلس كلّه فيها.

وأمّا ما خصّه الله ـ تعالى ـ به من معارضه أهل البدع في بدعهم، وأهل الأهواء في أهوائهم، وما ألّفه في ذلك مِن نقض أقوالهم، وتزْييف أمثالهم وأشكالهم، وإظهار عوارهم وانتحالهم، وتبدْيد شملهم، وقطع أوصالهم، وأجوبته عنْ شبههم الشيطانيّة ومعارضتهم النفسانيّة، بما منحه الله ـ تعالى ـ به من البصائر الرحمانيّة، والدلائل النقليّة، والتوضيحات العقليّة فمن العجب العجيب. ذكر هذا كلّه الحافظ أبو حفص عمر البزار[2] وقال:

«الحمد لله الذي مَنَّ علينا بمحبته واعتقاد أنّه ممّن تمسك بالكتاب والسنّة والقيام بنصرهما والذبّ عنهما، فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة وينفعنا به آمين».

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»: ٢/٢٢٧ كتاب النكاح، باب في التحليل، رقم ٢٠٧٦.
وابن ماجه في «سننه»: ١/٣٥٦ كتاب النكاح؛ باب المحل والمحلل له.
والإمام أحمد في «المسند»: ٢/٣٢٣.
والدارقطني في «سننه»: ٣/٢٥١ باب المهر.
والبيهقي في «السنن الكبرى»: ٧/٢٠٨ كتاب النكاح، باب ما جاء في نكاح المحلل.

(٢) الأعلام العَلِية: ص ٣٧ وفيه: «فالحمد لله منّ علينا برؤيته وصحبته، فلقد جعله الله حجة على أهل هذا العصر، المعرض غالب أهله عن قليله وكثيره، لاشتغالهم بفاني الدنيا عما يحصّل به باقي الآخرة، فلا حول ولا قوة إلّا بالله». انتهى بنصه.
والحق أن المصنف يورد كثيراً من النقولات متصرفاً فيها، فلينتبه لذلك. فإنها كثيرة جداً، ولذا فإني لم أنبه عليها جميعاً.

/فصل في بعض مآثره الحميدة على سبيل التلخيص وإلَّا فبسطها يستدعي طولاً[1]

[١١/أ]

أَمَّا تعبّده ـ كما قال الأئمة الناقلون عنه ـ : قَلَّ أَنْ سُمع بمثله، لأنه كان قد قطع جُلّ وقته وزمانه في العبادة، حتّى أنّه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عـن الله، وما يُراد له لا من أهل ولا مال، وكان في ليله مُنفرداً عن الناس كلهم خالياً بربّه ـ عزّ وجلّ ـ ضارعاً إليه، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم، مُكرراً لأنواع التعبّدات اللّيلية والنّهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتّى يميل يَمْنَة وَيَسْرَة، وكان[2] إذا رأى في طريقه مُنكراً أزاله، أو سمع بجنازة سارع إليها للصلاة عليها، أو تأسَّف على فواتها[3]، ولا يزال تارة في إفتاء النَّاس، وتارة في قضاء حوائجهم، حتَّى يصلِّي الظّهر مع الجماعة، ثمّ كذلك بقية يومه، وكان مجلسه عامّاً للكبير والصّغير والجليل والحقير ويرى كلٌ منهم في نفسه أَنْ لم يُكْرِم أَحداً بِقَدرِه.

ثمّ يصلي المغرب، وتُقرأ عليه الدّروس، ثمّ يصلي العشاء ثم يُقبل على العلوم إلى أن يذهب هَوِيٌّ من اللّيل، وهو في خلال ذلك كلّه في اللّيل والنهار، لا يزال يذكر الله ـ تعالى ـ ويوحده ويستغفره.

وأمّا ورعُه: فكان مِن الغاية التي يُنتهي إليها في الورع، لأنّ الله ـ

---

(١) الأعلام العلية: ص ٣٨.

(٢) الأعلام العلية: ص ٤١.

(٣) وفي الأعلام العلية: ص ٤١: «وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث فصلى عليه.

تعالى ـ أجراه مُدّه عمره كلّها على الورع، فإنّه ما خالط النّاس في بيع، ولا شراء، ولا معاملة ولا تجارة، ولا مشاركة ولا مزارعة ولا عمارة، ولا كان ناظراً أو مباشراً لمال وَقْفٍ. ولم يقبل جراية ولا صِلة لنفسه من سلطان، ولا أمير ولا تاجر، ولا كان مَدَّخِراً ديناراً ولا درهماً ولا متاعاً ولا طعاماً، وإنّما كانت بضاعته مدّة حياته وميراثه بعد وفاته ـ رضي الله عنه ـ العلم، إقتداء بسيد المرسلين ـ ﷺ ـ.

فإنّه قال: «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء إنَّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظّ وافر»(١).

وأمّا(٢) **زهده**: فقد جعله الله له شعاراً مِن صغره ولقد اتفق كلُّ مَنْ رآه، خصوصاً مَنْ أَطال ملازمته، أنه ما رأى مثله في الزهد في الدنيا، واشتهر عنه ذلك، حتى لو سُئل عاميّ من أهل بلد بعيد مَن أزهد أهل هذا العصر، وأكملهم في رفض فضول الدُّنيا وأحرصهم على طلب الآخرة؟ لقال: ما سمعت بمثل ابن تيمية.

وما اشتهر له ذلك إلاَّ لمبالغته في الزّهد، مع تصحيح النيّة، لم يُسمع أنه رغب في زوجة حسناء، ولا سريّة حوراء، ولا شدَّ على دينار ولا درهم، ولا رغب في دوابّ ولا نَعَمٍ، ولا ثياب فاخرة، ولا حَشَمٍ، ولا زاحم في طلب الرئاسات، ولا رُئي ساعياً في تحصل المُباحات، [١١/ب] /مع أَنَّ الملوك والأُمراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره، خاضعين لقوله، وادِّين أنْ يتقربوا إلى قلبه مهما أمكنهم، مُظهرين لإجلاله. فأين حاله هذه من حال مَنْ أغراهم الشّيطانُ بالوقيعة فيه؟! أما نظروا ببصائرهم إلى صفاتهم وصفاته، وسِماتهم وسِماته، وتحاسدهم في طلب الدّنيا وفراغه عنها، ومبالغته في الهرب منها،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل عن أبي الدرداء، فتح الباري ١/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب النهي عن المسألة: ٢/ ٧١٨ ـ ٧١٩.

(٢) الأعلام العلية: ص ٤٧.

وخدمتهم الأمراء واختلافهم إلى أبوابهم، وذلّ الأمراء بين يديه، وعدم اكتراثه بهم، وقوّة جأشه في محاورتهم؟! بلى والله ولكن قتلتهم الحالقة، حالقة الدِّين لا حالقة الشّعر.

وأمَّا[1] إيثاره مع فقره فكان: ـ رضي الله عنه ـ مع رفضه للدّنيا، وتقلّله منها، مُؤثراً بما عساه يجده منها قليلاً كان أو كثيراً، ولا يحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصدُّق به، ولا الكثير فيصرفه النَّظرِ إليه إلى الإسعاف به، فقد كان يتصدَّق حتى إذا لم يجد شيئاً نزع بعض ثيابه فيصل بها الفقراء، وكان يستفضل مِن قُوتِه الرَّغيف والرَّغيفين فيُؤثر بذلك على نفسه.

وذكر الشيخ الصالح زين الدين علي الواسطي[2]: أنَّه أقام بحضرة الشيخ مُدَّة طويلة. قال: فكان قوتنا أنَّه يأتيني بُكرة النَّهار ومعه قُرص قدْره نصفُ رطل بالعراقيّ فيكْسِرُه بيده لقماً، ونأكل، ثم يرفع يده قبلي، ولا يرفع باقي القرص مِنْ بين يديّ حتى أشبع إلى اللّيل، وكنت أرى ذلك مِن بركة الشيخ، ثُمّ بعد عشاء الآخرة يأتي بعشائِنا فيأكل هو معي لُقيْمات، ثم يُؤْثرني بالباقي، وكنت أَسأله أَنْ يزيد على أكله فلا يفعل، حتّى أنِّي كنت في نفسي أتوجع له مِنْ قِلَّة أكله، وكان هذا يأتينا في غالب مدة إقامتنا عنده، وما رأيتُ نفسي أغْنى منها في تلك المدة، ولا رأيتني أجمع[3] هَمًّا منِّي فيها.

وحكى غيرُ واحد ما اشتهر عنه مِن كثرة الإيثار، وتفقّد المحتاجين والغرباء، واجتهاده في مصالحهم وصِلاتهم ومساعدته لهم، بل ولكلّ أحد مِن العامّة والخاصّة مِمَّن يُمكنه فعل الخير معه، وإسداء المعروف إليه بقوله وفعله وجهده وجاهه.

---

(١) الأعلام العلية: ص ٥٠ ـ ٥٢.

(٢) وهو علي بن الحسن بن أحمد الشافعي المتوفي سنة ٧٣٣ هـ، كان زاهداً، حج ستين حجة، ومات مُحْرِماً ببدر. (ابن حجر ـ الدرر الكامنة: ٣/٣٧).

(٣) ويعني بذلك: إنشراحُ صدره للعبادة، واجتماعُ هَمِّه عليها، وقوة عزمه على ذلك الأمر. وقد رَجَّح الأستاذ الشاويش: «أفقرهما»، وقال عن عبارة «أجمع هما»: لا معنى لها. وهو بعيد. (الأعلام العلية: ص ٥٢).

وأمَّا(1) كرمه: فكان ـ رضي الله عنه ـ مجبولاً على الكرم، ولا يتطبّعه، ولا يتصنّعه، بل هو له سجيّة، وكان لَا يَرُدّ مَنْ يسأله شيئاً يقْدرُ عليهِ من دراهم ودنانير/وثياب وكتب، بل كان إنْ لَمْ يقْدر يعمد إلى شيء مِنْ لباسه فيدفعُه إلى السائل، وذلك مشهور عند الناس من حاله. [١٢/أ]

وقال الحافظ ابن فضل الله العمري: كانت تأتيه القناطر المقنطرة مِن الذهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعَام والحرْثِ، فيهَبُ ذلك بأجمعه ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه لا يأخذ منه شيئاً إلَّا ليهبه، ولا يحفظه إلَّا ليُذهبه.

وقال في موضع آخر: كان يجيئه مِن المال في كلّ سنة ما لا يكاد يُحصى، فيُنفقه جميعَه آلافاً ومئين، لا يلْتمس منه درهماً، ولا يُنفقه في حاجته.

حكى مَنْ يُوثَقُ به قال: «كنت يوماً جالساً بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رضي الله عنه ـ فجاء إنسان فسلَّم عليه فرآه الشيخ محتاجاً إلى ما يعتّم به فنزع الشيخ عمامته ـ من غير أن يسأله الرّجُل ـ فقطعها نصفين واعْتَمَّ بنصفها، ودفع النّصف الآخر لذلك الرجل، ولم يحتشم للحاضرين عنْده»(2).

وَحَدَّثَ مَنْ يُوثَقُ به: أَنَّ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ كان ماراً في بعض

(1) الأعلام العلية: ص ٦٥.
(2) قال الإمام عمر البزار في «الأعلام العلية» ص ٦٦ ـ ٦٧:
وقد روي مثل ذلك عن سيِّد الأنام، وأكمل الخلق مروءة وعقلاً وعلماً، محمد المصطفى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: أنّه لبِسَ يوماً شملة سوداء، لها حواش بيض، وخرج إلى المسجد، وجماعة من المسلمين حضور. فرآه إنسان فقال: يا رسول الله أعطني هذه الشملة. وكان رسول الله ـ ﷺ ـ لا يمنع سائلاً يسأله. فنزعها رسول الله ـ ﷺ ـ عن كريمة المكرم، ودفعها إلى ذلك الرجل، وطفق الناس يلومون ذلك الرجل على ما فعل، وكونه سأل النبي ﷺ ـ وكان محتاجاً إلى ما لبسه، وقد علم أنّه لا يمنع شيئاً يسأله. فقال الرجل معتذراً إليهم: إني لم أطلبها لألبسها، ولكن لأجعلها لي كفناً عند موتي.
قال الراوي: فأمسكها عنده حتى كانت كفنه.

الأَزِقَّة، فدعا له بعض الفقراء، وعرف الشيخ حاجته، ولم يكن مع الشيخ ما يُعطيه فنزع ثوباً مِنْ على جلده ودفعه إليه، وقال بِعْهُ بما تَيَسَّر وأنفقه، واعتذر إليه مِنْ كونه لم يحضُرْ عنده شيء من النَّفَقَة»[1].

وسأله إنسانٌ كتاباً ينتفع به فقال: خذْ ما تختار فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفاً قد اشتُرِيَ بدراهم كثيرة فأخذه ومضى، فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك، فقال: أكان يحسن بي أنْ أمنعه بعد ما سأله، دعه فلينتفع به.

وكان ـ رضي الله عنه ـ يُنكر إنكاراً شديداً على مَنْ يُسأل شيئاً مِن كتب العلم التي يملكها ويمْنَعُها مِن السَّائل، ويقول: «لا ينبغي أَنْ يُمنع العلم ممّن يطلبه»[2].

وأمّا[3] لباسه فكان ـ رضي الله عنه ـ متوسّطاً في لباسه، لا يلبس فاخر الثياب بحيث يُرمق ويُمدُّ النَّظرُ إليه، ولا أطماراً ولا غليظة تشهر لابسها من عالم وعابد. بل كان لباسه وهيئته كغالب النَّاس ومتوسطهم، ولم يكن يلزم نوعاً واحداً مِن اللّباس، بل يلبس ما اتفق وحضر، بل ويأكل ما حضر. وكانت بذاذة الإيمان عليه ظاهرة، لا يرى متصنعاً في عِمامة، ولا لباس، ولا مِشْية، ولا قيام، ولا جُلوس، ولم يُسمع أَنَّه أَمَرَ أنْ يُتّخذ له ثوبٌ بعينه، بل كان أهله يأتونه بلباسه وقت حاجته لبذْلِ ثيابه الّتي عليه، ورُبَّما اتّسخت ولا يأمر بغُسلها، حتَّى يسأله أهله ذلك، وكذا كان في المأكل، فما سُمِعَ أَنَّه طلب طعاماً قطّ، ولا عشاء، ولا غداء، ولو بقي مهما بقي لشدّة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل، بل كان ربما يُؤتى بالطعام، وربما يُترك عنده فيبقى زماناً حتى يلتفت إليه، وإذا أكل يأكل شيئاً يسيراً، وما ذَكَرَ شيئاً مِنْ ملاذ الدُّنيا ونعيمها، ولا كان يخوض في شيء مِن حديثها، ولا/يسأل عن شيء مِن [١٢/ب]

(١) الأعلام العلية: ص ٦٧.
(٢) الأعلام العلية: ص ٦٨.
(٣) الأعلام العلية: ص ٥٥.

معيشتها، بل جُلّ هِمّتِه وحديثه في طلب الآخرة، وما يُقَرِّب إلى الله - تعالى -.

وأمَّا تواضعه[1]: فكان يتواضع للكبير والصغير، والجليـل والحقير والفقير، ويدنيه[2]، ويكرمه، ويباسطه بحديثه زيادة على الغني، حتّى أنَّه رُبّما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبراً لقلبه.

وكان لا يسْأم ممّن يستفتيه أو يسأله، بل يُقبل عليه ببشاشة وجه، ولينِ عريكةٍ، ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه، ولا يُحرجُه، ولا ينقده بكلام يُوحشه، بل يجيبه ويُفْهمه، ويُعرِّفُه الخطأ مِن الصَّواب بلُطف وانْبساطٍ.

وكان يلْزَمُ التَّواضُعَ - في حضوره مع الناس، ومغيبه عنهم - في قيامه وقعوده ومشيه، ومجلسه ومجلس غيره.

وأمَّا كرامته وفراسته: فقال الشيخ الحافظ أبو حفص عمر: «جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدَّة مسائل، وطال كلامنا فيها، وجعلنا الشيخَ المرجع، فلمَّا حضر هممْنا لسُؤاله عنها فسبقنا هو وشرع يذْكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه، ويذكر أقوال العلماء فيها، ثم يُرَجِّح منها ما رَجَّحَه الدليلُ، حتَّى أتى على آخر ما أردنا. فبقينا ومن حضر مبْهوتين مُتعجّبين.

وكنتُ في صُحبتي له إذا خطر لي بحث يشرع يورده ويذكر الجواب عنه مِنْ عِدَّةِ وجوه، فما سُمعَ بأحد مِنْ أهل عصره مثله في ذلك - رحمه الله[3] -».

قال: «وحدَّثني الشيخ الصالح المقريء أحمد قال: لما قدمت دمشق لم يكن معي شيء من النَّفقة البتَّة، وأنا لا أعرف أحداً مِن أهلها، فجعلت

---

(١) الأعلام العلية: ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) في الأعلام العلية: ص ٥٢: «وكان يدني الفقير الصالح، ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلي، زيادة على مثله من الأغنياء» وقد أشرنا - سابقاً - إلى أنَّ المُصَنِّف - رحمه الله - يتصرف بإيراد النصوص، تصرفاً كبيراً، فليتنبه لذلك.

(٣) الأعلام العلية: ص ٥٨ - ٥٩.

أمشي في زُقاق كالحائر، وإذا بالشيخ أقبل نحوي مسرعاً فسلَّم وهشَّ في وجهي ووضع في يدي صُرَّة فيها دراهم، وقال لي أنفق هذه الآن وخلِّي خاطِرَك ممَّا أنت فيه فإنَّ الله لا يُضَيِّعُكَ، ثمَّ انصرف فسألت من هذا؟ فقيل: ابن تيمية، وله مدة ما اجتاز بهذا الدَّرب.

وكان جلَّ قصْدي مِن سفري إلى دمشق لقاءه فتحقَّقت أنَّ الله أظهره عليَّ، وعلى حالي، فما احتجت بعدها إلى أحد مدة إقامتي بدمشق، بل فتح الله عليَّ مِنْ حَيْثُ لَمْ أحتسب»[1].

قال: «وحدَّثني الشيخ العالم المقرىء تقي الدين بن عبدالله قال: لمَّا سافرت إلى مصر حين كان الشيخ مقيماً بها ـ فقَدِمْتُها ليلاً ـ وأنا مريض مُثْقَلٌ ـ فَأُنْزِلْتُ في بعض الأمكنة، فلم ألبث أَنْ سمعت مَنْ يناديني بُاسمي وكُنْيتي فأجبتُه ـ وأنا ضعيف ـ فدخل إليَّ جماعة من أصحاب الشيخ فقلت: كيف عرفتم بقدومي هذه الساعة؟ /قالوا: أخبرنا الشيخ أنَّك قدمت وأنت [١٣/أ] مريض، وأمرنا أن نُسرع بنقلك، وما رأينا أحداً جاءه، ولا أخبره بشي»[2].

قال: «ومرضت بدمشق، فلم أشعر إلاَّ والشيخ عند رأسي، ـ وأنا مُثقل بالحمى والمرض ـ فدعا لي، وقال: جاءت العافية. فما هو إلاَّ أَنْ فارقني. وجاءت العافية وشُفيت مِنْ وقتي»[3].

وقال الشيخ عِماد الدين المقريء[4] المُطَرِّز[5]: «قدمت على الشيخ

---

(١) الأعلام العلية: ص ٥٩.

(٢) الأعلام العلية: ص ٦٠.

(٣) الأعلام العلية: ص ٦٠.

(٤) قال الأستاذ زهير الشاويش في تحقيقه «الأعلام العلية»: «في النسخة «ب» ضرب على اسمه، وكتب في الهامش: «لعله محمد بن عبدالله المطرز الكتبي». قال: «والأول لم أجده في الكتب التي راجعتها، ولكن وجدت ترجمة لصاحب الإسم المستدرك في «غاية النهاية في طبقات القرَّاء» للجزري ٢/ ١٧٩ . . . «وذكر أنَّه توفي سنة ٧٤٩ هـ بالطاعون. وهو كلام جيد، بَيْدَ أنَّه ذكر أنَّ في نسخته الخطية من «الكواكب الدرية» لفظة «العياد». أما في نسختنا الأم والتي هي بخط مؤلفها ففيها «عماد الدين». ولذا فترجيحه الثاني ضعيف. والأول أقرب، والله أعلم.

(٥) الأعلام العلية: ص ٦١ ـ ٦٢.

ومعي حينئذٍ نفقة، فسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ ورحَّب بي وأدناني، ولم يسألني هل معك نفقة أم لا، فلمَّا كان بعد أيام ـ وقد نفذت نفقتي ـ أردت أن أخرج مِن مجلسه بعد أنْ صلَّيت مع النّاس وراءه، فمنعني وأجلسني دونهم، فلمَّا خلا المجلسُ دفع إليَّ جملة دراهم، وقال: أنْت الآن بغير نفقة، فعجبت مِنْ ذلك.

ولمَّا[1] نزل المغلُ بالشام لأخْذ دمشق، رجف أهلُها وجاء إليه جماعة منهم، وسألوه الدُّعاء للمسلمين، فتوجَّه إلى الله ثم قال: أبشروا فإنَّ الله يأتيكم بالنّصر في اليوم الفُلاني بعد ثالثة تروْن الرُّؤوس معبّأة بعضها فوق بعض.

قال الذي حدَّث: فوالذي نفسي بيده ما مضى إلَّا ثلاث منذ قوله حتى رأينا رؤوسهم ـ كما قال الشيخ ـ على ظاهر دمشق معبّأة بعضها فوق بعض».

وكان الشيخ يعُود المرضى بالبيمارسْتَان بدمشق في كلّ قليل أيام، فجاء يوماً لشاب فدعا له فشُفي سريعاً، وقال له عاهد الله أن تعجل الرّجوع إلى بلدك، أيجوز أن تتْرك زوجتك وبناتِك ضيعة وتُقيم ههنا.

قال الشاب فَقَبَّلْتُ يده، وقلت: يا سيدي إني تائب إلى الله، وعجبت ممَّا كاشفني به، وكنْت قد تركتهنَّ بلا نفقة ولم يكن عرِف بحالي أحدٌ مِن أهل دمشق[2].

ومضى بعض القُضاة متوجّهاً إلى مصر المحروسة ليُقَلد القضاء، وعزم على قتلِ رجل صالح بها إذا وصل، فلمَّا بلغ ذلك الشيخ قال: إنَّ الله لا يُمكّنه ممَّا قصد، ولا يصل إلى مصر حياً. فبقي بين القاضي وبين مصر قدرٌ يسير وأدركه الموت[3].

---

(١) الأعلام العلية: ص ٦٢.
(٢) الأعلام العلية: ص ٦٢ ـ ٦٣.
(٣) الأعلام العلية: ص ٦٣.

وذكر الحافظُ ابن عبد الهادي بُن قدامة: أنَّ الشيخ لَمَّا أفتى بمسألة شدِّ الرِّجال للقبور، اجتمع جماعة معروفون بدمشق، وضربوا مشورة في حقِّ الشيخ، فقال أحدُهم: يُنْفى فَنُفِي القائلُ. وقال الآخرُ: يُقْطَعُ لسانُه. فقُطِعَ لسانُ القائل»[1].

قال: «وأخبرني بذلك مَنْ حضر هذه المشورة وهو كاره لها بالجملة»[2].

[١٣/ب] /فكرامات الشيخ رحمه الله ـ تعالى ـ كثيرة جداً.

قالوا: «ومِنْ أظهرِ كرامَاتِه أنَّه ما سُمع بأحد عاداه أو تَنَقَّصه إلَّا وابتُلي بعدَّة بلايا غالبُها في دينه.

قالوا: وهذا ظاهر مشهور لا يحتاج فيه إلى شرحِ صِفتِهِ، والله أعلم»[3].

قالوا: وَمَنْ أمعن النظر ببصيرته لم ير عالماً مِن أهل أي بلد شاء موافقاً له مَثْنِيًّاً عليه، إلَّا ورآه مِنْ أتبع علماء بلده للكتاب والسّنة، وأشغلِهم بطلب الآخرة والرَّغبة فيها، وأبلغهم في الإعراض عن الدّنيا والإهمال لها، ولا يرى عالماً مخالفاً له منحرفاً عنه إلَّا وهو مِن أكبرهم نَهْمَةً في جميع الدُّنيا، وأكثِرهم رياءً وسمعة»[4].

وأمَّا شجاعته وجهاده: فأَمْرٌ متجاوز الوصف فكان ـ رضي الله عنه ـ كما قال الحافظ سراج الدين أبو حفص في «مناقبه»[5]: «من أشجع النّاس وأقواهم قلباً، ما رأيت أحداً أثبت جأشاً منه، ولا أعظم في جهاد العدوّ منه.

كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم.

---

(١) العقود الدرية: ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.
(٢) العقود الدرية: ص ٣٤٥.
(٣) الأعلام العلية: ص ٦٤.
(٤) الأعلام العلية: ص ٨١ ـ ٨٢، وهو كلام البزار ـ رحمه الله ـ.
(٥) الأعلام العلية: ص ٦٩ ـ ٧٠.

وأخبر غير واحد: أنَّ الشيخ كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقِيَتهم[1]، وقُطْبَ ثباتهم. إنْ رأى مِن بعضهم هلعاً أو جبناً شجَّعه وثبَّته وبشَّره، ووعده بالنَّصر والظَّفر والغنيمة، وَبَيَّنَ له فضل الجهاد والمجاهدين، وكان إذا ركب الخيل يتحنَّك[2] ويجول في العدّو كأعظم الشّجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، [ويكبّر تكبيراً أنكى في][3] العدو مِن كثير من الفتك بهم، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت.

وحدَّثوا: أنَّهم رأوا منه في فتح «عكة» أموراً مِن الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها[4].

قالوا: ولقد كان السبب في تملّك المسلمين إياها بفعله ومُشورته، وحُسن نظره.

ولمَّا[5] ظهر السّلطان غازان[6] على دمشق المحروسة جاءه ملك الكرج وبذل له أموالاً جزيلة على أن يُمكِّنه مِن الفتك بالمسلمين مِنْ أهل

(١) من الوقاية. أي يتقون به إذا حمي الوطيس.

(٢) التحنك: وضع العمامة تحت الذقن، ولف طرفيها على الرأس.

(٣) ساقطة من «الأصل» والتصويب من «الأعلام العلية» ص ٦٩.

(٤) وكان له ـ وقتها مِن العمر ـ ٢٨ عاماً، وقد اشترك في هذه المعركة جمهور عظيم من الفقهاء والمدرسين والصلحاء، وخرج الناس من كل صوب حينما سمعوا المنادي ينادي في دمشق: «الغزاة في سبيل الله إلى عكة» انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٣٢٠.

وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون المتوفي سنة ٦٩٣ هـ قد استفتح ملكه بالجهاد، فقصد البلاد الشامية، وقاتل الإفرنج واستردَّ منهم مدينة «عكة»، وهي من أكبر حصون الساحل، وأشدها منعة، في معركة مباركة، اشترك فيها ابن تيمية وفضلاء الأمة من العلماء والصلحاء، واستردوا أيضاً صوراً وصيدا وبيروت وقلعة الروم، وبيسان، وجميع الساحل، وتوغل الجيش الإسلامي في الداخل، حتى أنزل بالصليبيين ضربة قاصمة. مما دعى ووليم موير أن يقول في «كتابه» ص ٦٢: إنَّ الضربة القاتلة التي قضت على جنود الصليب كانت على يد السلطان خليل. والسلطان الأشرف بن قلاوون ـ رحمه الله ـ كان شجاعاً مهيباً عالي الهمة جواداً، قتل غدراً بمصر، قتله بعض المماليك. (ابن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات: ١/ ١٥١، الزركلي ـ الأعلام: ٢/ ٣٢١).

(٥) الأعلام العلية: ص ٧١.

(٦) وهو أحد ملوك التتار.

دمشق فوصل الخبر إلى الشيخ فقام من فوره وشجّع المسلمين ورغّبهم في الشّهادة، ووعدهم على قيامهم بالنّصر والظّفر والأمن وزوال الخوف، فانْتُدِبَ منهم رجال من وجوههم وكبرائهم وذوي أحلامهم، فخرجوا معه إلى حضرة السّلطان غازان، فلمّا أنْ رأى الشيخَ أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة، حتّى أدناه وأجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام معه في عكس رأيه عن تسْليط المخذول ملك الكرج على المسلمين، وأخبره بحرمة دماء المسلمين، وذكّره ووعظه، فأجابه إلى ذلك طائعاً، وحُصّنت دماء المسلمين، وحُميت ذراريهم، وصِين حريمُهم.

وقال الشيخ وجيه الدين بن المنجّا(1) - قدس الله روحه -: كنت(2) حاضراً مع الشيخ، فجعل يحدث السلطان ويقول: الله ورسوله في العدل وغيره - يرفع صوته على السّلطان - ويقرب منه في أثناء حديثه، حتى لقد قرب أنْ يُلاصق/ركبته ركبة السّلطان، والسّلطان مع ذلك مقبلاً عليه بكليّته، [١٤/أ] مُصغٍ لِما يقول، شاخص إليه لا يُعرض عنه وأنّ السلطان من شدة ما أوقع الله له في قلبه من المحبَّة والهيبة سأل: مَنْ هذا الشيخ؟ فإنِّي لم أر مِثْلَه، ولا أثبتَ قلباً منه، ولا أوقع مِنْ حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم إنقياداً لأحدٍ منه، فأُخبر بحاله، وما هو عليه مِن العلم والعمل.

وقال الشّيخ للترجمان: قلْ للسّلطان أنْت تزعم أنّك مسلم، ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون - علي ما بلغنا - فغزوتنا، وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما عملا الذي عملت، عاهدا فوفَيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت وَجُرْتَ.

ثُمّ خرج مِن بين يديه مُكَرَّماً معزَّزاً بحسن نيته الصَّالحة مِن بذله نفْسَه

---

(1) وهو الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجّا، أبو المعالي التنوخي الحنبلي، وكان عالماً فاضلاً، كثير المعروف والصدقات والبر والتواضع للفقراء، بنى داراً للقرآن بدمشق، وحدّث وروى عنه جماعة، توفي سنة ٧٠١ هـ. (شذرات الذهب ٣/٦).

(2) الأعلام العلية: ص ٧٢ - ٧٤.

في طلب حقْن دماء المسلمين، فبلَّغه الله ما أراده، وكان أيضاً سبباً لتخليص غالب أسارى المسلمين مِن أيديهم، وردّهم على أهليهم، وحِفْظ حريمهم. وهذا مِن أعظم الشجاعة والثبات وقوَّة الجأش، وكان يقول: لنْ يخاف الرجل غير الله إلاَّ لمرض في قلبه»[1].

قال: «إنَّ رجلاً شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة. فقال: «لو صَحَحْتَ لم تخف أحداً». أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك.

وأخبر قاضي القضاة أبو العباس بن حصري أنَّهم لمَّا حضروا مجلس غازان قُدِّم لهم طعام فأكلوا منه إلاَّ ابن تيمية فقيل له: لمْ تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نَهَبْتُم مِن أغنام النَّاس، وطبختموه بما قطعتم مِن أشجار النّاس. ثم إنَّ غازان طلب منه الدّعاء، فقال في دعائه: اللهمَّ إنْ كنت تعلم أنّه إنما قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا، وجهاداً في سبيلك فأنْ تؤيده وتنْصُره. وإنْ كان للملك والدنيا والتكاثر، فأنْ تفطر به وتصنع - يدعو عليه - وغازان يؤمن على دعائه، ونحن نجمع ثيابنا خوفاً أن يُقتل فنطرطر بدمه، ثُمّ لمّا خرجنا من عنده قلنا له: كدت أنْ تُهلكنا معك، ونحن ما نَصحبُكَ مِن هُنا.

فقال: وأنا لا أصحبكم. فانطلقنا عصبة، وتأخَّرَ فتسامعت به الخواتينُ والأمراءُ فأتوه مِن كُلّ فجّ عميق، وصاروا يتلاحقون به ليتركوا برؤيته، فمّا وصل إلاَّ في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، وأما نحن فخرج علينا جماعة فشلحونا». فانظر كما قال الحافظ ابن فضل الله العمري: «إلى قيامه في رفع حجّة التتار، واقتحامه وسيوفهم تتدفّق لجة البحار، حتى جلس إلى السلطان محمود غازان حيث تجم الأسد في آجامها، وتسقط القلوب في دواخل أجسامها، خوفاً من ذلك السبع المغتال والنمروذ المختال، والأجل الذي لا

(١) البزار: الأعلام العلية: ص ٧٤.

يدفع بحيله محتال، فجلس إليه وأومأ بيدهِ إلى صدره وواجهه ودرا في نحره، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ودعا دعاء منصف، أكثره عليه، وغازان يؤَمِّنُ على دعائه وهو مُقبل إليه، ثُم كان على هذه المواجهة القبيحة والمُسلّمة الصريحة/أعظم في صدر غازان والمغلِ من كُلّ من طلع معه مِن سلف [١٤/ب] العلماء في ذلك الصّدر، وأهل الاستحقاق لرفعة القدر.

هذا مع ما له مِنْ جهادٍ في الله لم يفزعه فيه طللُ الوشيح، ولم يجزعه فيه ارتفاعُ النشيج، مواقف حروب بأسرها، وطوائف ضروب عاشرها، وبوارق صفاح كاشرها، ومضايق رماح حاشرها، وآصناف خصوم ليقطع جِدالها، قويُّ لسانه، وجلادها سبا سِنانِه، وجرت له مع غازان وقطلوشاه وبولاي أمور ونُوَبٌ، قام فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلاَّ الله.

ولمَّا قدم بعد ذلك ـ عام سبعمائة ـ التتار مع غازان لفتح الشام، والإستيلاء على مَنْ بها مِن المؤمنين، ركب الشيخُ البريدَ إلى الجيش المصري، فدخل القاهرة في ثامن يوم حادي عشر جمادي الأولى، فاجتمع بأركان الدولة، وحضَّهم على الجهاد، وتلا عليهم الآيات والأحاديث، وأخبرهم بما أعدَّ الله للمجاهدين مِن الثواب فاستفاقوا، وقويت هِممُهم، وأبْدَوا له عذر المطر والبرد، ونُودي بالغزاة وقوي العزم، وعظموه وأكرموه، وتردَّد الأعيان إلى زيارته، واجتمع به في هذه السَّنَة ابنُ دقيق العيد، ثمَّ في اليوم السابع والعشرين مِن شهر جمادي المذكور، وصل الشيخ إلى دمشق على البريد وأرسل الله على العدوّ من الثلج العظيم، والبرد الشديد، والرِّيح العاصف والجوع المُزعج، ما الله به عليم، فأصاب غازان وجنوده وأهلكهم وكان سببَ رحيلهم، وفرق الله بين قلوب العدوّ المغلّ والكرجِ والفُرْسِ والمُستعربة، وألقى بينهم تعادياً وتباغضاً كما ألقى ـ سبحانه ـ عام الأحزاب بين قريش وغطفان واليهود، وأرسل الشيخ كتاباً مُطوَّلاً يقول فيه: لما ثبَّتَ الله قلوب المسلمين صرف العدوّ وجرى منه بياناً أنَّ النيّة الخالصة والهمَّة الصادقة ينصر الله بها، وإنْ لم يقع الفعل، وإنْ تباعدت الدِّيار.

وحكي مِن شجاعة الشيخ في مواقف الحروب «نوبة شقحب» سنة اثنين وسبعمائة، ونوبة كسروان ما لم يُسمع إلَّا عن صناديد الرّجال وشجعان الأبطال فكان تارة يباشر القتال، وتـارة يحرّض عليه، قائماً بظهوره وجهاده، شاكاً في سلاحه ولأمّة حربه، يُوصي النَّاس بالثّبات، ويعدهم بالنّصر، ويُبشـرهم بالغنيمـة. وركب البريـد إلى مهنى بن عيسى واستحضره إلى الجهاد، وركب بعدها إلى السلطان واستنفره وواجهه بالكلام الغليظ أُمراءه وعسكره. ولما جاء السلطان الملك الناصر بجيوش الإسلام للقاء التتار، وشقحب جعل الشيخ يشجع السلطان ويُثبّته.

فلما رأى السلطان كثرة التتار قال: يا خالد بن الوليد. فقال له: لا تقل هذا بل قُلْ: يا الله. واستعن بالله ربّك، ووحِّدْهُ وَحْدَهُ تُنْصر، وقل يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين. ثم صار تارة يقبل على الخليفة، وتارة على السلطان ويربط جأشهما، حتّى جاء نصرُ الله والفتح، وحكي أنَّه قال للسلطان: إثبت فأنت منصور.

فقال له بعض الأمراء: قل إن شاء الله.

فقال: إنْ شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. فكان كما قال.

وحكى بعضُ الحُجَّاب الأمراء قال: قال لي الشيخ يوم اللقاء وقد تراءى الجمعان: يا فلان أوقفني موقف المَوْت. قال: فسبقته إلى مقابلة العدوّ وهُم مُنحدرون كالسّيل تلوح أسلحتهم من تحت الغُبار، وقلت له: هذا موقف الموت فدُونك وما تريد. قال: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص بصره وحرَّك شفتيه طويلاً، ثم انبعث، وأقدم على القتال، وقد حصل لي أنَّه دعا عليهم وأنَّ دعاءه استُجيب منه في تلك الساعة[1] قال: ثم صار القتال بيننا والإلتحام، وما عدت رأيته حتى فتح الله ونصر، ودخل جيش الإسلام إلى دمشق المحروسة، والشيخ في أصحابه شَاكاً في سلاحه عالية كلمتُه،

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

قائمة حجَّتُه، ظاهرة/ولايتُه، مقبولة شفاعته، مجابة دعوته، ملتمسة بركته، [١٥/أ] مكرماً معظماً ذا سلطان وكلمته نافذة، وهو مع ذلك يقول للمدَّاحين له: أنا رجلُ مِلَّةٍ لا رجل دولة.

قال بعض أصحابه ـ وقد ذكر هذه الوقعة وكثرة مَنْ حضرها مِن جيوش المسلمين ـ: وقد اتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقي الدين، ومحبَّته، وسماع كلامه ونصيحته واتعظوا بمواعظه، ولم يبق مِن ملوك الشام تركي ولا عربي إلَّا واجتمع بالشيخ في تلك المدَّة واعتقد خيره وصلاحه ونُصحه لله ورسوله والمؤمنين. ثمَّ لم يزل الشيخ ـ رحمه الله ـ قائماً أتمَّ قيام على قتال أهل جبل كِسروان، وكتب إلى أطراف الشام في الحثّ على قتالهم وأنَّها غَزاةٌ في سبيل الله. ثم توجه هو بمن معه لغزوهم بالجبل، صحبته وليّ الأمر نائب المملكة، وما زال مع وليّ الأمر في حصارهم حتّى فتحَ الله الجبلَ وأجلى أهله.

وكان توجُّه الشيخ إلى الكسروانيين أول ذي الحجة سنة أربع وسبعمائة، وردَّ على شيوخِ روافِضِهم في دعواهم عصمة عَلِّي وقال: إنَّ عليّاً وعبدَالله بن مسعود اختلفا في مسائل وقعت، وفتاوي أفتيا بها، وعرض ذلك على النبي ﷺ ـ فصوَّبَ فيها قولَ ابن مسعود[١].

ثم كتب الشيخُ للسّلطان يُخبره بأمر الفتح، وعن عقائدهم وهي: أنَّهم يعتقدون كفر الصحابة، وكفر مَنْ ترضى عنهم، أو حَرَّم المُتعة، أو مسح على الخُفَّين، ولا يُقرُّون بصلاة ولا صوم، ولا جَنَّة ولا نار، ولا يحرَّمون الدَّم والميتة ولحم الخنزير، يشتملون على إسماعيلية، ونُصَيْريَّة، وحاكميَّة، وباطنيَّة، وهم كفار أكفر من اليهود والنَّصارى.

ثم قال: وتمام هذا الفتح أمر السُّلطان بحسم مادّة أهل الفساد مِن مشايخهم الذين يُضِلُّونهم. ويتقدم إلى قُرَاهم بأعمال دمشق وصَفَد وطرابلس

(١) المصدر السابق ص ١٩٧.

وحِمْص وحَماة وحلب، بأن تقام فيهم شرائع الإسلام والجمعة والجماعة، وقراءة القرآن، ويكون لهم خطباء ومؤذّنون، ويقرأ فيهم الأحاديث النبويّة، وتُنشر فيهم المعالم الإسلامية[١].

وأطال الكلام في كتابه[٢]، وحثَّ السلطان على ذلك، وقال:

إنَّ غزوهم اقتداء بعليّ بن أبي طالب في قتاله للحَرَوْرِية المارقين الذين تواتر عن النبيّ ـ ﷺ ـ الأمر بقتالهم، ونَعَتَ حالَهم، وقال ـ ﷺ ـ فيهم: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وصيامَهُ مَعَ صيامِهِمْ، وقراءَتَهُ مع قراءتِهِمْ، يَقْرَأُونَ القرآنَ لَا يُجَاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ من الإسلام كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ. لئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ[٣]. لو يعلمُ الذينَ يُقاتلونَهم ماذا لهم على لسان محمدٍ لن يَكُفُّوا عنِ العملِ، يقتلونَ أهلَ الإسلامِ، وَيَدَعُوْنَ أهلَ الأوثانِ، يقرءُونَ القرآنَ يَحْسَبونَ أنَّه لهم وهو عليهم، شرُّ مَن تحتَ أديمِ السماءِ خيرُ قتيلٍ مَنْ قَتَلُوهُ»[٤].

وكان ـ رضي الله عنه ـ قائماً في نصر الدِّين، وإظهار الحقِّ بأدلَّة أظهر من السيوف، وأجمع مِن السُّجوف، وأجلى من فَلَقِ الإصباح، وأجلب من فِلَق الرماح. إذا وثبتْ في وجهه خطب تمزقت على كتفيه الدرع، وانتثر السَّرد.

ولقد ناقشتْ ملوك جنكسخان عليه، ووجهت دسائس رسلها إليه.

ولمَّا[٥] وشوا به إلى السّلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله، وأحضره بين يديه، قال من جملة كلامه: «إنّني أُخبرت أنَّك قد أطاعك الناسُ، وأنَّ في نفسك أخذ المُلْك». فلم يكْترث به، بل قال له بِنفس

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨.

(٢) انظر رسالة الشيخ كاملة في «المصدر السابق» ص ١٩٨ ـ ٢٠٧.

(٣) أي قتلا عاماً مستأصلاً. كما قال تعالى: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ (سورة الحاقة/٨).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» ٢/٧٤٤ كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم.

(٥) الأعلام العلية: ص ٧٤ ـ ٧٥.

مُطمئنة، وقلب ثابت، وصوت عال سمعه كثير ممّن حضرَ: «أَنا أَفعلُ ذلك؟! والله إنَّ مُلكك، ومُلْك المُغْل لا يساوي عندي فَلْسَين».

فتبسّم السّلطان لذلك. وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه مِن الهيبة العظيمة: إنَّك والله لصادق فإنَّ الذي وشى بك إليَّ لكاذب.

واستقر له في قلبه مِن المحبّة الدّينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل؛ مِن كثرة ما يُلقى إليه في حقِّهِ من الأقاويل الزور والبهتان، ممّن ظاهرُ حاله العدالةُ، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة.

فصل في تمسّك ابن تيمية بالكتاب والسُّنَّةِ

قال الشيخ الإمام العالم العامل الأوحد الفاضل الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزّار ـ رحمه الله تعالى ـ :[1] كان الشيخ تقي الدين بن تيمية ـ رضي الله عنه ـ مِن أعظم أهل عصره قوَّةً ومقاماً، وثبوتاً على الحقِّ، وتقريراً لتحقيق توحيد الحق، لا يصدُّه عن ذلك لومة لائم، ولا قول قائل، ولا يرجع عنه بحجة محتج، بل كان إذا وضع له الحق يعضُّ عليه بالنواجذ.

[١٥/ب] قال:[2] وإذا نظر المُنصف إليه بعين العدل: يراه واقفاً/مع الكتاب والسّنة، لا يميله عنها قول أحد كائناً مَنْ كان، ولا يراقب في الأخذ بمعلومها أحداً، ولا يخاف في ذلك أميراً ولا سلطاناً ولا سوطاً ولا سيفاً، ولا يرجع عنها لقول أحد وهو مُتمسّك بالعُروة الوُثقى، واليد الطولى، وعامل بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فإنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوه إلى اللَّهِ والرَّسُول. . . ﴾[3] الآية، وبقوله تعالى: ﴿ وما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيءٍ فَحُكْمُهُ إلى اللَّهِ ﴾[4] وما سمِعنا أنَّه اشتهر عنْ أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه مِنْ كثرة المتابعة للكتاب والسنّة، والإمعان في تتبّع معانيهما، والعمل بمُقتضاهما، ولهذا لا يرى في

(١) الأعلام العلية: ص ٧٧.
(٢) الأعلام العلية: ص ٨٠ـ ٨١.
(٣) سورة النساء: ٥٩.
(٤) سورة الشورى: ١٠.

مسألة أقوالٌ للعلماء، إلاّ وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنّة، وتحرَّى الأخذ بأقومِها مِنْ جهة المنْقول والمعْقول.

قال:[1] وهذا أمر قد اشتهر وظهر، فإنَّه ـ رضي الله عنه ـ ليس له مؤلَّف مُصَنَّف، ولا نصّ في مسألة، ولا أفتى إلاَّ وقد اختار فيه ما رجَّحه الدليل النّقلي والعقلي على غيره، وتحرَّى قول الحقّ المحض، وبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة، بحيث إذا سَمِعَ ذلك ذو الفطرة السليمة يثْلَجُ قلبه عليها، ويجزم بأنَّها الحق المبين، وتراه في جميع مؤلفاته إذا صحَّ الحديث عنده يأخذ به، ويعمل بمقتضاه ويقدِّمه على قول كل قائل مِن عالِمٍ ومجتهد، وقد سبقه الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ إلى ذلك، حيث قال: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي». ولمَّا مَنَّ الله عليه بذلك، جعله حجَّة في عصره لأهله، حتى أنَّ أَهل البلاد البعيدة كانوا يرسلون إليه بالاستفتاء عن وقائعهم، ويعوِّلُون عليه في كشف ما الْتبس عليهم حُكْمُه، فيُشفي غليلهم بأجوبته المُسَدَّدة، ويُبرهن على الحقِّ من أقوال العلماء المتعدّدة، حتَّى إذا وقف عليها كُلّ مُحِقٍّ ذي بصيرة أذعن بقبولها، وبان له حقُّ مدلولها.

---

(١) الأعلام العلية: ص ٨٠.

فصل في محنة ابن تيمية وتمسكه بطريق السَّلَف

قَلَّ مَنْ يَسْلَم مِنَ أهل الفضل والدِّين في هذه الدنيا بلا محنة، وابتلاء، وخوض فيه، حيث لم يُداهن الناس ويصانعهم، وإلاَّ قلَّ صديقه على حدّ قوله: «ما ترك الحق من صديق لعمر».

وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ : «إذا رأيت الرجل يُثني عليه جيرانُه فاعلم أنَّه مُداهن».

[١٦/أ] وما وقع مِن المحنة للأئمة/كأبي حنيفة ومالـك والشافعي وأحمـد والبخاري وغيرهم مشهور، كما بيَّنته في كتابنا «تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين».

وأكثر الناس من الخوض في أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ حتّى أنَّه رُؤي بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: «غفر لي بكلام الناس فِيَّ ما ليس فِيَّ».

هذا وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أُمْتحِنَ بمحن، وخاض فيه أقوام ونسبوه للبدع والتجسيم، وهو من ذلك بريء. فأوَّل مِحنته ـ كما نقل الثِّقاة ـ في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة، بسبب عقيدتـه الحَمَوِّيَّة الكبرى، وهي جواب سؤال ورد مِن حماة، فوضعها ما بين الظُّهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي، فجرى له بسبب تأليفها أُمور ومحن، رَجَّحَ مذهب السَّلف على مذهب المُتكلِّمين، وشَنَّع عليهم، فمن

بعض قوله في مقدمتها: «ما قاله الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورسوله ـ ﷺ ـ ﴿والسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِن المُهاجِرين والأَنْصَارِ والَّذِين اتَّبعُوهُم بإحْسَانٍ﴾[1] وما قاله أئمة الهُدىٰ بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب، وفي غيره، ومن المُحال أنَ يكون خير أمّته قدوتها قَصَّروا في هذا الباب، زائدين فيه أو ناقصين عنه، ثمَّ مِن المُحال أيضاً أَنْ تكون القرون الفاضلة كانوا غيرَ عالمين، وغير قابلين في هذا الباب بالحقِّ المبين، فلا يجوز أن يكون الخلف أعلم مِن السَّالفين، كما يقوله بعض الأغبياء، ممَّن لم يَقْدرُ قَدْرَ السَّلف، بل ولا عرف اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين به حقيقة المعرفة: مِن أَنَّ طريقة السَّلف أَسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. ظنُّوا أنَّ طريقة السّلف هي مجرّد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث مِن غير فقه لذلك بمنزلة الأُمّيّين، فإنَّ طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عنْ حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللّغات. فهذا الظنّ الفاسد أوجب اعتقاد أنَّهم كانوا أميّين بمنزلة الصّالحين مِن العامة، لم يتبَحَّروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطّنوا لدقيق العلم الإلَهيّ، وأنَّ الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كلِّه.

وهذا القول إذا تدبَّره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضَّلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لا سيَّما والإشارة بالخلف إلى ضرب مِن المتكلمين الذين كَبُرَ في باب الدِّين إضطرابهم، وغلظ/عن معرفة [١٦/ب] الله حجابُهم، وأخبروا الواقف على نهايات أقدامهم بما انتهى إليه مِنْ مرامهم، حيث يقول[2]:

لعمري لقدْ طفتُ المَعَاهِدَ كلَّها ... وَسَيَّرتُ طَرْفِي بين تِلْكَ المعالمِ

---

(١) سورة التوبة/ ١٠٠.

(٢) ويعني به: الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ. فقد نسبهما له الشيخ بالتصريح في كتابه «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» المطبوع بهامش كتاب «منهاج السنّة» ص ٨٩. وانظر مجموع الفتاوى ٥/ ١٠.

وفي هامش «الأصل»: (يعني الإمام فخر الدين الرازي). وما ذكرناه يخالفه.

فَلَمْ أَرَ إلاَّ واضعـاً كَفَّ حـائِـرٍ   على ذقنٍ أو قـارعـاً سِنَّ نـادِمِ

وأقرُّوا على نفوسهم بما قالوه متمثّلين به أو مُنشئين له فيما صنَّفوه، كقول بعض رؤسائهم[1]:

نهـايـةُ إقـدامِ العُقُـولِ عِقَـالُ   وأكثـرُ سعْي العـالـميـنَ ضَـلالُ
وأرواحُنـا في وَحْشةٍ مِنْ جُسـومنـا   وحـاصـلُ دُنْيـانـا أذىً وَوبـالُ
ولم نستفد في بحثنا طولَ عُمرنـا   سوى أَنْ جمْعنا فيه قيلَ وقـالُ[2]

«لقد تأمّلت الطُّرُقَ الكلاميّة، والمناهجَ الفلسفية فما رأيتُها تُشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطُّرق: طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات[3]: ﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[4] ﴿الرَّحْمَنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾[5]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾[6] ﴿ولا يُحِيطُوْنَ بِهِ عِلْماً﴾[7].

قال: «وَمَنْ جرَّب مثل تجربتي عرفَ مثْلَ معرفتي»[8].

ويقول الآخر منهم[9]: «لقد خضتُ البحرَ الخضم، وتركت أهلَ الإسلام وعلومهم، وخُضت في الَّذي نهوْني عنه، والآن إنْ لَمْ يتداركني ربّي برحمته. فالويل لفلان، وها آنذا أَموتُ على عقيدة أُمي»[10].

---

(١) يعني به الإمام محمد بن عمر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ. وقد نسبها له الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» ص ١٢١.
(٢) مجموع الفتاوي: ٥/ ١٠.
(٣) مجموع الفتاوي: ٥/ ١١.
(٤) سورة فاطر ١٠.
(٥) سورة طه/ ٥.
(٦) سورة الشورى/ ١١.
(٧) سورة طه/ ١١٠.
(٨) مجموع الفتاوى: ٥/ ١١، والذهبي ـ سير النبلاء: ٢١/ ٥٠١.
(٩) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله الجويني إمام الحرمين. وقد عزا هذا القول له الشيخ في كتابه «التسعينية» ص ٢٥١.
(١٠) مجموع الفتاوى: ٥/ ١١.

ويقول الآخر منهم: «أكثر الناس شَكّاً عند الموت أصحابُ الكلام»[1].

ثُمّ هؤلاء المتكلّمون المخالفون للسّلف إذا حُقّق عليهم الأمر لمْ يُوجد عندهم مِن حقيقة العلم بالله، وخالصِ معرفته خبرٌ، ولم يقعوا مِن ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون المفْضُولون الحيارى أعلمَ بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته مِن السابقين الأوّلين مِن المهاجرين والأنصار، والذين اتّبعوهم بإحسان مِن ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدُّجى، الذين قام بهم الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله مِن العلم والحكمة، وأحاطوا مِن حقائق المعارف، وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا مَنْ يطلب المقابلة؟!.

ثم كيف يكون خير قرون الأمّة أنقص في العلم والحكمة ـ لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته ـ مِنْ هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟! أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة، /وأتباع الهنْد واليونان وورثة المجوس والمُشركين، [١٧/أ] وضلّالِ اليهود والنّصارى والصّابئين، وأشكالِهم وأشباهِهم أعلم بالله مِنْ ورثة الأنبياء، وأهل القرآن والإيمان؟!

وإنما قَدَّمتُ هذه المقدّمة لأنَّ مَنْ استقرت عنده: «علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره»[2]. وأطال الكلام.

ثم قال: «إنْ كان الحق فيما يقوله هؤلاء السَّالبونَ النَّافونَ للصفاتِ الثَّابتةِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، دونَ ما يُفهم مِن الكتاب والسُّنّةِ، إما نصاً وإما ظاهراً، فكيف يجوز على الله ـ تعالى ـ، ثمّ على رسوله، ثمّ على خيرِ الأُمّةِ، أنهم يتكلّمون دائماً بما هو نصٌّ، أو ظاهرٌ في خلافِ الحقِّ، ثُمَّ الحقُّ

---

(١) المصدر السابق: ٥/١١.

(٢) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٥/١٠ ـ ١٢.

الذي يجبُ اعتقاده لا يبوحون به قطّ، ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً، حتَّى يجيء أنباطُ الفُرسِ والروم، وفروخُ اليهود والفلاسفة يُبَيِّنُونَ للأمَّةِ العقيدةَ الصَّحيحةَ، فإن كان الحقُّ ما يقوله هؤلاء المُتكلمون المُتكلفون، لقد كان تَرْكُ الناسُ بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع، بل كان وجود الكتاب والسنَّة ضرراً محضاً في أصل الدين، فإنَّ حقيقة الأمر ـ على ما يقوله هؤلاء ـ: أنَّكم يا معشرَ العباد لا تطلبوا معرفة الله وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لا مِن الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سَلف الأمَّة، ولكن أنظروا أنتم، فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات في عقولكم فصفوه به، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة، أو لم يكن، وما لم تجدوه مُستحقاً في عقولكم فلا تصفوه به»[1].

«وقد صرَّح طائفةٌ منهم بما مضمونه: أنَّ كتاب الله لا يُهتدَى به في معرفة الله، وأنَّ الرسول معزولٌ عن التعليم والإخبار بصفات مَنْ أرسله..»[2] وأطالَ الكلام، ثُمَّ قال:

«يا سبحان الله كيف لم يقل الرسولُ يوماً مِنَ الدَّهرِ، ولا أحدٌ مِنَ سَلفِ الأُمَّة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلَّت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم...»[3].

«ثمَّ الرسول أخبر: «أنَّ أُمَّتَهُ ستفترقُ ثلاثاً وسبعينَ فرقةً[4]». فقد علم ما سيكون[5].

(١) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٥/١٥ ـ ١٧.
(٢) المرجع السابق ٥/١٧.
(٣) المرجع السابق ٥/١٧.
(٤) ولفظه: «تفرَّقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً، أو اثنتين وسبعين فرقةً، والنَّصارى مثلُ ذلك، وتفترقُ أُمتي على ثلاث وسبعين فِرقةٍ».
أخرجه أبو داود في «سننه»: ٤/١٩٧ ـ ١٩٨ كتاب السُّنَّة؛ باب شرح السُّنَّة، رقم ٤٥٩٦.
والترمذي في «جامعة» (تحفة الأحوذي: ٧/٣٩٧) كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
وأحمد في «المسند»: ٣/١٤٥.
(٥) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٥/١٩.

ثمّ قال: «إني تارك فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا، كتاب الله»[1].

وقال في صفة الفرقة النّاجية: «هو[2] مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم، وأصحابي[3]».

فهل قال: وإنَّما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يُحْدِثُهُ المتكلِّمون منكم بعد القرون الثلاثة، وإن كان قد نبع أصل هذه المقالة في أواخر عصر التَّابعين.

ثمَّ أصل مقالة التعطيل/للصفات، أنَّما هو مأخوذ من تلامذة اليهود [١٧/ب] والنصارى، فإنَّ أول مَنْ قالها في الإسلام[4]: الجَعْدُ بن درهم[5]، وأخذها عنه جهم بن صفوان[6]، والجعد أَخذ[7] مقالته عن أبان بن سمْعان، وأبان عن طالوت، وطالوت عن خاله لَبِيد بن أعصم اليهودي الساحر، الذي سَحَرَ النبيَّ - ﷺ - ».

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعة» (تحفة الأحوذي) باب مناقب أهل بيت النبي - ﷺ -. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٥/٢١: «هم».

(٣) أخرجه الترمذي في «جامعة» (تحفة الأحوذي: ٧/٣٩٩ - ٤٠٠) كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب مفسر» وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف، فلعلَّ تحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب. وله شاهد عند مسلم في «الصحيح» ولفظة: «وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله..» انظر صحيح مسلم ٤/١٨٧٣ كتاب فضائل الصحابة.

(٤) ويعني مقالته بأن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأنَّ معنى «استوى» بمعنى استولى ونحو ذلك.

(٥) من الموالي مبتدع له أخبار في الزندقة. قال الذهبي: «مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النَّحْر». (ميزان الاعتدال ١/١٨٥).

(٦) فتبناها وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه.

(٧) لقد نبهنا مِراراً بأنَّ المصنف يتصرف في النص الذي يورده من غير أن ينبه. فهنا مثلاً جزم على لسان ابن تيمية بأن الجَعْد أخذ مقالته عن أبان. مع أن أصل عبارة الشيخ جاءت بصيغة التضعيف: إذ قال. «وقد قيل أنَّ الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان..» (انظر مجموع الفتاوى ٥/٢٠).

قال: ثُمّ القول الشامل في جميع هذا الباب: أَنْ يوصفَ الله بما وصف به نفسَه، أو وصفه به رسولُه، وبما وصفه به السَّابقون الأولون، لا نتجاوز القرآن، والحديث. ومذهبُ السلف أَنَّهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسولُه مِن غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل..»[1].

ثُمَّ ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ جُمَلاً نافعة وأُصولاً جامعة في إثبات الصفات، والرّد على الجهميّة، وذكر مِن النقول عنْ سلف الأمة، ما يطول ذكره[2]. ثم قال في آخر كلامه:

«وجماعُ الأمر أَنَّ الأقسام المُمكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستَّة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة:

قسمان يقولون: تجري على ظواهرها.

وقسمان يقولون: هي على خلاف ظواهرها.

وقسمان يسكتون.

أما الأولون فقسمان:

أحدهما مَنْ يُجريها على ظاهرها من جنس صفات المخلوقين. فهؤلاء المُشَبِّهَة، ومذهبهم باطل أنكره السَّلف وإليهم توجَّه الردّ بالحقِّ.

الثاني مَنْ يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله ـ تعالى ـ كما يجري اسم العليم والقدير والرب والإلّه والموجود والذَّات، ونحو ذلك على ظاهره اللائق بجلال الله ـ تعالى ـ، فإنَّ ظواهر هذه الصفات في حق المخْلوقين: إمَّا جوهر مُحْدث وإما عرض قائم به، فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرَّحمة والرضى والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض، والوجه واليد والعين في حقّه أجسام، فإذا كان الله موصوفاً عند عامَّة أهل الإثبات؛ بأنَّ له

(١) مجموع الفتاوى ٢٦/٥.

(٢) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٥/٢٦ ـ ١١٢.

علماً وقدرةً وكلاماً ومشيئة، وإن لم تكن أعراضاً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين، فكذلك الوجه واليد والعين صفات له تعالى لا كصفات المخلوقين، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخَطَّابي وغيرُه عن السَّلَف، وعليه يدلُّ كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإنَّ الصفات كالذَّات، فكما أَنَّ ذات الله ثابتة حقيقة مِن غير أَنْ تكون من جنس ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته ثابتة مِن غير أَنْ تكون مِن جنس صفات المخلوقين. فمَن قال: لا أعقل علماً ويَداً إلَّا من جنس العِلم واليد المعهودتين. قيل له: فكيف/تعقل ذاتاً مِنْ غير جنس ذوات المخلوقين. ومن [١٨/أ] المعلوم أَنَّ صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمَن لم يفهم مِنْ صفات الربِّ - الذي ليسَ كمثلِهِ شيء - إلَّا ما يناسب المخلوق فقد ضلَّ في عقله ودينه، وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجَهْمي كيف استوى؟، أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا؟ أو كيف يداه؟ ونحو ذلك؛ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال لا يعلم ما هو إلَّا هو، وكنه الباري غير معلوم للبشر. فقل له: فالعلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، فكيف يُمكن أَنْ تعلم كيفيَّة صفةٍ الموصوف، فكيف يُمكن أَنْ تعلم كيفيّة صفةٍ لموصوف، لم تعلم كيفيّته، وإنَّما تعلم الذّات والصّفات مِنْ حيثُ الجُملة على الوجه الذي ينبغي لك، بل هذه المخلوقات في الجنَّة قد ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّه قال: (ليس في الدنيا ممَّا في الجنة إلَّا الأسماء)(١) وقد أخبر الله - تعالى - أنَّه: ﴿لا تعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ لهم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن﴾(٢)(٣). فإذا كان نعيم الجنة وهو خلْق مِن خلق الله كذلك، فما الظنُّ بالخالق - سبحانه - .

وهذه الرُّوح قد علم العاقل اضطراب النَّاس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عنْ الكلام في كيفية الله - تعالى - ؟

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» ١/٢٤٠ في قوله تعالى: «وأُتوا به متشابهاً».
(٢) سورة السجدة/ ١٧.
(٣) وفي الصحيح: «إنَّ في الجَنَّةِ ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذنٌ سمعت ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَر».

مع أنّا نقطع بأنّ الرُّوح في البدن، وأنّها تخرج منه، وتعرج إلى السماء، وأنّها تُسَلُّ منه وقت النَّزْع، كما نطقت بذلك النصوصُ الصحيحة، لا نُغالي في تجريدها غلوّ المتفلسفة، ومَن وافقهم؛ حيث نَفَوْا عنها الصّعود والنّزول، والإتّصال بالبدن والإنفصال عنه، وتخبَّطوا فيها حيث رأوْها مِن غير جنس البدن وصفاته. فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها»[1].

وأما القسمانِ اللذانِ [يقولانِ][2]: هي على خلافِ ظواهرها، فقسمانِ:

«قسم يتأولونها، ويعيّنون المراد، مثلُ قولهم: «إستوى» بمعنى: استولى؛ أو بمعنى: علوّ المكانة والقدر؛ أو بمعنى: ظهور نوره للعرش؛ أو بمعنى: انتهاء الخلق إليه؛ إلى غير ذلك من معاني المتكلفينَ.

وقسم يقولون: الله أعلمُ بما أراد بها؛ لكنّا نعلمُ أنّه لمْ يردْ بها إثباتُ صفةٍ خارجةٍ عمّا علمناه.

وأما القسمانِ الواقفانِ:

فقسم يقولون: يجوز أن يكون المرادُ ظاهرَها اللائقَ بالله ـ تعالى ـ؛ ويجوز أن لا يكون صفةً لله. وهذه طريقة كثيرٍ من الفقهاءِ وغيرِهم.

[١٨/ب] وقسم يُمْسكون عن هذا كلّه، ولا يزيدُون على تلاوةِ القرآنِ/وقراءةِ الحديثِ، مُعْرضين بقلوبِهم وألسنتِهم عَنْ هذه التقديرات.

فهذه «الأقسامُ الستةُ» لا يمكن أن يخْرج الرجلُ عن قسمٍ منها.

والصوابُ في كثيرٍ من آياتِ الصفاتِ وأحاديثِها؛ القطعُ بالطريقة الثانية[3].

---

(١) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى ٥/١١٣ ـ ١١٥.

(٢) في «الأصل» (يقولون).

(٣) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٥/١١٦ ـ ١١٧.

ثم قال: «فأما المتوسّط من المتكلّمين: فيخُاف عليه ما لا يُخاف على من لم يدْخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته، فإنَّ مَنْ لم يدخل فيه فهْو في عافية، ومَنْ أنهاه فقَدْ عرف الغايةَ، فما بَقِيَ يخاف مِنْ شيء آخر، فإذا ظهر له الحقُّ وهو عطشان اطمأنَّ إليه قلبه.

وأمَّا المتوسط فمتوهّم بما تَلَقّاه من المقالاتِ المأخوذةِ تقليداً، وقد قال النَّاسُ: أكثر ما يُفْسِدُ الدنيا: نصفُ متكلمٍ، ونصفُ متفقةٍ، ونصفُ متطببٍ، ونصفُ نحْويّ، هذا يُفسد الأديانَ، وهذا يُفسد البُلدَان، وهذا يُفْسد الأبدانَ، وهذا يُفسد اللّسَانَ.

ومَنْ عَلِمَ أنَّ المُتَكَلِّمينِ مِنَ المُتفلسفةِ وغيرِهم ـ في الغالب ـ ﴿لفي قَولٍ مُخْتَلِفٍ[1]، يُؤْفَكُ عنهُ مَنْ أُفِكَ﴾[2]» يعلمُ الذكيُّ منهم والعاقلُ: أنَّه ليسَ هُوَ فيما يقُوله عَلى بصيرةٍ وأنَّ حُجَّتَه ليست بَيِّنَةً، وإنَّما هي كما قيل فيها:

حُججٌ تهافتُ كالزجاجِ تخالُها حقاً وكلٌ كاسرٌ مكسورُ

ويعلم البصيرُ العالم أنَّهم مِنْ وجه مُستحقون ما قاله الشَّافعيّ ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: حُكمي في أهلِ الكلام أَنْ يُضربوا بالجَريد والنِّعال، ويُطاف بهم في القَبائِل والعَشائِر، ويُقال: هذا جزاءُ من ترك الكتاب والسنَّة، وأقْبل على الكلام.

وَمِنْ وجه آخر إذا نظرْت إليهم بعيْن القَدَرِ ـ والحيرةُ مستوليةٌ عليهمْ، والشيطانُ مستحوذٌ عليهم ـ رحِمْتهُم ورفقْتَ بِهم. أُوتوا ذكاء، وما أُوتوا زكاء، وأُعطوا فهوماً وما أُعطوا علوماً، وأُعطوا سمْعاً وأبصاراً وأفئدةً ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيءٍ إذْ كَانُوا يَجْحدُون بآياتِ اللَّهِ

= والطريقة الثانية هي ما كان عليه السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وخلاصتها: إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها اللائق بجلال الله.

(١) في الأصل (مؤتفك) وهي في مجموع الفتاوى ١١٩/٥ على الصواب على أساس الاستشهاد بها كآية من كتاب الله.

(٢) سورة الذاريات/ ٨ ـ ٩.

وحاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾[١].

وَمَنْ كان عالماً بهذه الأمور، تبيَّن له بذلك حذق السّلف، وعلمهم وخبرتهم، حيث حذّروا عن الكلام وَنَهَوْا عنْه، وذمّوا أهله وعابوهم، وعلم أَنَّ مَنْ ابتغى الهُدَى في غير الكتاب والسنَّة لم يزْدَدْ[٢] إلاَّ بعداً. «فنسأل الله العظيم: أَنْ يهدينا الصراط[٣] المستقيم، صراط الذين (أنعم)[٤] عليهم، غيرِ المَغْضُوب عليهم ولا الضالين، آمين»[٥].

هذا آخر «الحمويّة الكبرى» ألفها الشيخ - رحمه الله - وعُمُره دون الأربعين سنة، ثم انْفتح له - بعد ذلك - مِنَ الرَّد على الفلاسفة والجهميّة، وسائرِ أهل الأهواء والبِدع ما لا يُوصفُ، ولا يُعبَّرُ عنه، وجرى له مِنَ المناظرات العجيبة، والمباحثات/ الدقيقةِ - مع أقرانه وغيرهم - في سائر أنواعِ العلوم ما تضيق عنْه العبارة، ولا يُعرف أنَّه ناظر أَحداً فانْقطع معه. [١٩/أ]

قال الحافظُ الذهبيّ - في أثْناء كلامه في ترجمة الشيخ ابْن تيمية -: «ولما صَنَّفَ المسألةَ الحموية في الصفات، سنة ثمانٍ وتسعين[٦]، تحزَّبوا له، وآل بهم الأمر إلى أَنْ طافوا بها على قصبة مِنْ جملة القاضي الحنفي، ونُودي عليه: بأَنْ لا يستفتي، ثم قام بنصرته طائفة آخرون، وسلَّم الله».

فلما كان سنة خمس وسبعمائة جاء الأمر مِنْ مصر: بأن يُسْأل عن معتقده، فجُمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم، ثم وقع الإتفاق على أنَّ هذا المعتقد سلفيّ جيِّد»[٧]. انتهى.

---

(١) سورة الأحقاف/ ٢٦.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٥/ ١٢٠: «من الله».

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٥/ ١٢٠: «صراطه».

(٤) في الأصل (أنعمت) وقد أثبتنا الذي في «مجموع الفتاوى».

(٥) ابن تيمية - مجموع الفتاوى: ٥/ ١١٨ - ١٢٠.

(٦) أي وستمائة.

(٧) ابن عبد الهادي - العقود الدرية: ص ٢١١ - ٢١٢.

وقال الشيخ علم الدين[1]: «وفي شهر ربيع الأول مِنْ سنة ثمان وتسعين وستمائة، وقع بدمشق محنة الشيخ الإمام تقيّ الدين بن تيمية، وكان الشروع فيها من أول الشهر، واستمرت إلى آخر الشهر.

وملخّصها: أنَّه كتب جواباً سُئِلَ عنه مِنْ حماة في الصفات، فذكر فيه مذهب السلف وَرَجَّحَهُ على مذهب المُتكلمين، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمْرَ المنجّمين، واجتمع به سيفُ الدين جاغانَ في حال نيابته بدمشق وقيامه مقام نائب السلطنة، وامتثل أمره، وقبل قوله، والتمس منه كثرة الاجتماع به، فحصلَ بسببِ ذلك ضيقٌ لجماعةٍ، مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهيّة الشيخ وتألّمهم لظهوره وذكره الحسن، فانضاف شيء إلى أشياء، ولم يجدوا مساغاً إلى الكلام فيه لزُهده، وعدم إقباله على الدنيا، وترك المزاحمة على المناصب، وكثْرة علمه، وجودة أجوبته وفتاويه، وما يظهر فيها من غزارة العلم وَجَوْدة الفهم، فعمدوا إلى الكلام في العقيدة؛ لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف ويعتقدون الصواب.

فأخذوا الجواب الذي كتبه، ثم سعوْا السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء واحداً واحداً، وأَغْرَوْا خواطرهم، وحرَّفوا الكلام، وكذبوا الكذب الفاحش، وجعلوه يقول بالتجسيم - وحاشاه من ذلك - ووافقهم على ذلك جلالُ الدين الحنفي، قاضي الحنفية يومئذٍ ومشى معهم إلى دار الحديث الأشرفيَّة وطلب حضوره وأَرْسلَ إليه، فلمْ يحضر.

وأرسل إليه في الجواب: «إنَّ العقائد ليس أمرها إليك وإنَّ السلطان إنما ولّاك لتحكم بين الناس، وإنَّ إنكار المنكرات ليس ممّا يختصّ به القاضي». فوصلت إليه هذه الرسالة فأَوْغروا[2] خاطرَه، وشَوَّشوا/ قلبه، [١٩/ب]

---

(١) البِرْزالي.

(٢) في «العقود الدرية» ص ٢١٦: «فأغرو».

وقالوا: لم يحضر. وردَّ عليك. فأمر بالنِّداء على بُطلان عقيدته في البلدة، فنُودي في بعض البلد، ثم بادر سيف الدين جاغان وأرسل طائفة، فضُرب المنادي وجماعةٌ ممَّن حوله، وأخرق بهم، فرجعوا مضروبين في غاية الإهانة.

ثمّ طلب سيف الدين مَنْ قام في ذلك، وسعى فيه، فدارت الرُّسلُ والأعوان عليهم في البلد فاختفوا.

ثم اجتمع الشيخ ابنُ تيمية بالقاضي إمام الدين الشَّافعي وواعده بقراءة «العقيدة الحمويّة» فاجتمعوا يوم السَّبت رابع عشر الشهر من بكرة النَّهار إلى نحو الثُّلث من ليلة الأحد ميعاداً طويلاً، وقُرئت فيه جميع العقيدة، وَبَيَّن مراده من مواضع أُشكلت ولم يحصل إنكار عليه من الحاكم، ولا مِمَّنْ حضر المجلس، بحيث انفصلوا والقاضي يقول: كلُّ مَنْ تكلمَ في الشَّيخ فأنا خصمُه. وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد: كل مَنْ تكلم في الشيخ نُعَزِّرُهُ. وخرج والناس ينتظرون ما يسمعون من طيِّب أخباره، فوصل إلى داره في ملأ كثير من الناس، وعندهم إستبشار وسرور به، وكان سعيهم في حقه أتمَّ السعي، وتكلموا في حقّه بأنواع الأذى وبأمور يستحي الإنسان من الله ـ تعالى ـ أَنْ يحكيها، فضلاً أَنْ يَخْتَلفها ويُلفِّقها، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله. ورأى جماعة من الصالحين في هذه الواقعة وعقيبها للشيخ مرآئي حسنة جليلة، لو ضُبطت لكانت مجلداً تاماً[1]. انتهى.

ثم سكنت هذه الفتنة، ثم بعد ذلك بمدة طويلة ظهر الشيخ نصر المنبجيّ بمصر واستولى على أرباب الدَّولة القاهرة وشاع أمره وانتشر، فقيل لابن تيمية: إنَّه اتحاديّ، وإنه ينصر مذهب ابنِ العربيّ وابنِ سبعين. فكتب إليه نحو ثلاثمائة سطر يُنكر عليه، فتكلم نصر المنبجيّ مع قضاة مصر في أمره، وقال: هذا مُبتدع وأضاف على الناس من شرّه. وقام معه في ذلك

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢١٤ ـ ٢١٨.

القاضي ابن مخلوف المالكيّ، واستعانوا بُركن الدين انجاشنكير فحسَّنَ القضاة للأمراء طلبة إلى القاهرة، وأن يُعقد له مجلس بدمشق. فلم يرض نصر المنبجي، وقال لابن مخلوف: قُلْ للأمراء إنَّ هذا يُخشى على الدولة منه كما جرى لابن تُومرت في بلاد المغرب[1].

«فورد مكتوب السلطان إلى دمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته».

فلما كان ثامن رجب من سنة خمس وسبعمائة، طُلب القضاة والفقهاء، وطُلب الشيخُ تقيّ الدين إلى القصر إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم، فلما اجتمعوا عنده، سألَ الشيخَ تقيّ الدين وحده عن عقيدته، وقال: هذا المجلس عُقِد لك وقد ورد مرسوم السلطان؛ أنْ أسألكَ عنِ اعتقادك. فأحضَرَ الشيخُ عقيدتَه الواسطيَّة، وقال: هذه كتبتها من نحو سبع سنين، قبل مجيء التتار إلى الشام. فقُرِّبت في المجلس، وبحث فيها، وبقي مواضع أُخِّرت إلى مجلس آخر.

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور، وحضر المُخالفون، ومعهم الشيخ صفي الدين الهنديّ واتفقوا على أن يتولّى المناظرة مع الشيخ تقي الدين، فتكلّم معه ثُمّ إنَّهم رجعوا عنه واتفقوا على الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلِكاني فناظر الشيخ، وبحث معه. وطال الكلام وخرجوا من هناك والأمر قد انفصل.

«وقد أظهر الله/مِنْ قيام الحجَّةِ ما أعزَّ به الشيخَ ابن تيمية»[2]. [٢٠/أ]

واختلفت نقول المخالفين للمجلس وحرَّفوه ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها، وشنَّع ابنُ الوكيل وأصحابُه بأَنَّ الشيخَ قد رجع عنْ عقيدته، فالله المُستعان.

---

(١) انظر ترجمته في الدراسة التي صنعها د. النجار بعنوان: «المهدي بن تومرت حياته وآثاره» دار الغرب الإسلامي.

(٢) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

ثمَّ بعدَ ذلك عزَّرَ بعضُ القضاة بدمشق شخصاً يلوذُ بالشيخ، وطلب جماعة ثُمَّ أُطلقوا، ووقع هَرْجٌ في البلد، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصّيد، وغاب نحو جمعة ثمّ رجع، فحضر عنده الشيخ وذكر له ما وقع في غيبته في حقّ بعض أصحابه من الأذى، فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل، وأمر فَنُوديَ في البلد: إنَّه مَنْ تكلم في العقائد حلّ ماله ودمه، ونُهبت دارُه وحانوتُه. وقصد بذلك تسكين الفتنة.

وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عُقد للشيخ مجلس ثالث بالقصر، ورضي الجماعة بالعقيدة. وفي هذا اليوم عَزَلَ قاضي القضاة نجم الدين بن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزِّمْلكاني.

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان إلى القاضي بإعادته إلى الحكم وفيه: إنَّا كنا رسمنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين وقد بلغنا ما عُقد له من المجالس، وأنَّهُ على مذهب السلف وما قصدنا بذلك إلاَّ براءة ساحته»[1].

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢.

ذكر بعض ألفاظ ما وقع في المناظرة

قال الشيخ تقي الدين بن تيميّة ـ يحكي عَنْ نفسه ـ : «فأمر الأمير بجمع القضاة والمشايخ وقال لي: هذا المجلس عُقد لك، فقد ورد مرسوم السلطان أنْ أسألك عنْ اعتقادِك، وعمَّا كتبت به إلى الديار المصرية من الكتب التي تدعو الناس إلى الاعتقاد.

فقلت: أمَّا الاعتقاد فلا يُؤخذ عني ولا عمَّنْ هُو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمَّة.

وأمَّا الكتب فما كتبت إلى أحد كتاباً إبتداء أدعوه إلى شيء من ذلك، ولكنْ كتبت أجوبة أجبت بها منْ يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم وكان قدْ بلغني أنَّه زُوّر عليَّ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ دار السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرَّفة، ولمْ أعلم بحقيقته، ولكنْ علمت أنَّ هذا مكذوب. وكان يرد عليَّ مِنْ مصر وغيرها مَنْ يسألني عن مسائل في الاعتقاد أو غيره، فأجيبه بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

ثم قلت للأمير والحاضرين: أنا أعلم أن أقْواماً كذبوا عليَّ غير مرة وقالـوا للسلطان أشياء، وتكلمت بكلام احتجت إليه مثل أن قلت:

مَن قام بالإسلام أوقات الحاجة غيري؟ ومَن الذي أوضح دلائله وبيّنه، وجاهد أعداءه، وأقامه لما حال، حين تخلَّى عنه كلّ أحد، فلا أحد ينطق بحجته، ولا أحد يجاهد عنه، وقُمت مظهراً بحجَّته مجاهداً عنه مُرغّباً فيه؟

[٢٠/ب] وقلت: كلّ مَن خالفني في شيء ممَّا كتبتُه فأنا أعلم بمذهبه/منه.

ثم أرسلتُ فحضرت[١] «العقيدةُ الواسطية».

وقلت: كان سبب كتابتها بعض قضاة واسط من أهل الخير والدِّين شكى ما الناس فيه ببلادهم في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة، فقلت له: قدْ كتب الناس عقائد أئمة السنة. فألحّ في السؤال، وقال: ما أحبّ إلاَّ عقيدة تكتبها أنت. فكتبتُ له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر. فأشار الأمير لكاتبه فقرأها على الحاضرين حرفاً حرفاً، فاعترض بعضهم على قولي فيها: «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسولُه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل».

ومقصوده؛ أن هذا ينفي التأويل، الذي هو صرف اللَّفظ عن ظاهره إمَّا وجوباً وإمَّا جوازاً.

فقلت: إني عَدَلْتُ عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف، لأن التحريف جاء القرآن بذمِّة، وأنا تحرَّيتُ في هذه العقيدة اتِّباع الكتاب والسنة فنفيت ما ذمَّه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل لأنَّه لفظ له عدَّة معان، كما بيَّنته في مَوْضعه من «القواعد»[٢] فإنَّ معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير مِنْ أهل التفسير والسَّلف.

وقلت لهم: ذكرت في النَّفي التمثيل ولم أذكر التَّشبيه لأنَّ التمثيل نفاه الله بنصّ كتابه حيث قال: «ليس كمثله شيء»[٣] وأخذوا يذكرون نفْي التَّشبيه

(١) وتمام النص ـ كما هو في «العقود الدرية» ص ٢٢٦: «ثم أرسلتُ مَن أحضرها ـ ومعها كراريس بخطي ـ من المنزل. فحضرت العقيدة الواسطية».

(٢) وهو كتاب «قواعد التفسير» وقد طبع.

(٣) سورة الشورى/ ١١.

والتَّجسيم ويُطنبون في هذا ويُعرّضون، مما ينبه بعض الناس إلينا من ذلك.

فقلت: قَوْلي «من غير تكييف ولا تمثيل» ينفي كلّ باطل، وإنما اخترتُ هذين الإسمين: لأنَّ التَّكييف مأثور نفْيُه عنِ السلف، كما قال ربيعةُ ومالكٌ وابنُ عُيينةَ وغيرُهم ـ المقالة الّتي تلقّاها العلماء بالقَبول ـ : «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسّؤال عنه بدعة».

فاتَّفق هؤلاء السّلف على: أَنَّ الكيف غير معلوم لنا. فنفيت ذلك اتّباعاً لسلف الأمة، وهْو أيضاً منفيّ بالنص. فإنَّ تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف، وحقيقة صفاته غير معلومة، وهذا مِنَ التأويل الذي لا يعلمه إلَّا الله. كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى. والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله.

وكذلك «التمثيل» منفي بالنص والإجماع القديم، مع دلالة العقل على نفيه، ونفي التكييف، إذ كُنْه الباري غير معلوم للبشر.

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطّابي ـ الذي نقل أنَّه مذهب السلف ـ وهو «إجراء آيات الصفات وأحاديثها/على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه [٢١/أ] عنها، إذْ الكلام في الصّفات فرع على الكلام في الذّات يحتذى حذوه، ويتّبع فيه مثاله. فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف».

فقال أحد كبراء المخالفين: فحينئذٍ يجوز أن يقال: هُوَ جسم لا كالأجسام؟

فقلت له ـ أنا وبعض الفضلاء ـ : إنّما قيل: أنَّه يُوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، وليس في الكتاب والسنة أَنَّ الله جسمٌ حتى يلزم هذا، وأول من قال أَنَّ الله جسمٌ: هشام بن الحكم الرافضي.

وأمّا قولنا: فهو فهم الوسط في فرق الأمة؛ كما أنَّ الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة.

فقيل لي[1]: أنت صنّفت اعتقاد الإمام أحمد. - وأرادوا قطع النزاع لكَوْنه مذهباً متبوعاً - .

فقلتُ: ما خَرَّجتُ[2] إلاَّ عقيدة السَّلف الصالح جميعهم، وليس للإمام أحمد اختصاص بهذا.

وقلت: قد أمهلت مَنْ خالفني في شيء منها ثلاث (سنين. فإذا جاء بحرف واحد)[3] عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته، فأنا أرجع (عن ذلك. وعليّ أَنْ آتي بنقول)[4]. جميع الطَّوائف مِنَ القرون الثلاثة يوافق ما (ذكرته: من الحنفيـة، والمالكيـة)[5] والشافعيـة، والحنبلية، والأشعـريـة، وأهـل الحديث[6]، وغيرهم.

ثم طلب المنازع[7] الكلام في مسألة الحرف والصوت.

فقلت: هذا الذي يُحكى عن أحمد وأصحابه: أَنَّ صوت القارئين، ومداد المصاحف قديمٌ أزليّ: كذب مفتري، لمْ يقلْ ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين.

وأخرجت كرَّاساً وفيه ما ذكره أبو بكر الخلاّل في «كتاب السنّة» عَنِ الإمام أحمد؛ وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي مِنْ كلام أحمد، وكلام أئمة زمانه في: أَنَّ مَنْ قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومَنْ قال: غير مخلوق فهو مبتدع».

قلت: فكيف بمَنْ يقول: لفظي قديم أزلي؟ فكيف بمَنْ يقول: صوتي قديم؟.

---

(١) في «العقود الدرية» ص ٢٣٤ أنَّ القائل هو الحاكم العدل.

(٢) في «العقود الدرية» ص ٢٣٥: «ما جمعت».

(٣) و (٤) و (٥) مطموسة في «الأصل» بسبب الرطوبة. واستدركناها من «العقود الدرية» لابن عبد الهادي ص ٢٣٥.

(٦) في «العقود الدرية» لابن عبد الهادي ص ٢٣٥: «والصوفية».

(٧) في «العقود الدرية» ص ٢٣٧: «ثم طلب الأمير الكلام في مسألة...».

فقال المنازع: إنَّه انتسب إلى أحمد أناس من الحشويّة والمشبَّهة ونحو هذا الكلام. فقلت: المُشَبِّهَة والمُجَسِّمَة في غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم، هؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية وفيهم مِنَ التّشبيه والتّجسيم ما لا يُوجد في صنف آخر، وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية. وأمَّا الحنبلية المحضة فليس فيهم مِنْ ذلك ما في غيرهم، والكَّراميَّة المجسّمة كلهم حنفية.

وقلتُ له: مَنْ في أَصحابنا حشويٌّ بالمعنى الذي تريده؟! الأثرم(١)؟! أبو داود؟!(٢) المروزي؟!(٣) الخلال؟!(٤) أبو بكر بن عبد العزيز؟! أبو الحسن التميمي؟!(٥) ابن حامد القاضي؟!(٦) أبو يعلى؟!(٧) أبو الخطاب؟!(٨) ابن عقيل؟!(٩).

---

(١) أحمد بن محمد أبو بكر الطائي، من حفاظ الحديث، أخذ عن الإمام أحمد، وله مصنفات طيبة، توفي سنة ٢٦١ هـ. (الذهبي ـ تذكرة الحفاظ: ١٣٥/٢، ابن أبي يعلى ـ طبقات الحنابلة: ٦٦/١ ـ ٧٤).

(٢) سليمان بن الأشعث السجستاني، صاحب السنن الإمام المحدث المتوفى سنة ٢٧٥ هـ. (ابن أبي يعلى ـ طبقات الحنابلة ١١٨/١، الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ٥٥/٩).

(٣) أحمد بن علي أبو بكر القاضي، الإمام الحافظ المتوفى سنة ٢٩٢ هـ. (ابن أبي يَعْلَى ـ طبقات الحنابلة: ٥٢/١، الذهبي ـ سير النبلاء: ١٣/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨).

(٤) أحمد بن محمد أبو بكر المفسر، عالم بالحديث واللُّغة، من كبار الحنابلة، توفي سنة ٣١١ هـ. (ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٤٨/١١، الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ٧/٣).

(٥) عبد العزيز بن الحارث الفقيه الحنبلي الكبير المتوفى سنة ٣٧١ هـ. (الخطيب ـ تاريخ بغداد ٤٦١/١٠، ابن الجوزي ـ المنتظم: ١١٠/٧).

(٦) الحسن بن حامد أبو عبدالله البغدادي، إمام الحنابلة في زمانه ومدرسهم ومفتيهم، توفي سنة ٤٠٣ هـ. (ابن أبي يعلى ـ طبقات الحنابلة: ١٧١/٢ ـ ١٧٧، ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة: ٢٣٢/٤).

(٧) محمد بن الحسين ابن الفراء، عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. (ابن أبي يعلى ـ طبقات الحنابلة: ١٩٣/٢ ـ ٢٣٠، الصفدي ـ الوافي بالوفيات: ٧/٣).

(٨) محفوظ بن أحمد، إمام الحنبلية في عصره، مولده ووفاته ببغداد، توفي سنة ٥١٠ هـ. (ابن الأثير ـ اللّباب في تهذيب الأنساب: ٤٩/٢، ابن رجب ـ ذيل طبقات الحنابلة: ١٤٣/١).

(٩) علي بن عقيل أبو الوفاء البغدادي، عالم العراق، وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، توفي سنة ٥١٣ هـ. (الذهبي ـ غاية النهاية: ٥٥٦/١، اليافعي ـ مرآة الزمان: ٨٣/٨).

ورفعت صوتي وقلت: سمّهم؟ قلْ لي: مَنْ هم؟ أبكذب ابن الخطيب(١) وافترائه على النَّاس في مذاهبهم تبطل الشريعة، وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم ما لم يقولون: القرآن الكريم هُو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وأنَّ الصوت والمداد قديم أزليّ. مَنْ قال هذا؟ وفي أيّ كتاب وُجد عنهم هذا؟! قلْ لي؟! أوْ كما نُقل عنهم: أنَّ الله لا يرى في الآخرة باللّزوم الذي ادَّعاه والمقدمة التي نقلها عنهم؟!

[٢١/ب] /ولما جاءت مسألة القرآن وأنَّه «كلام الله غير مخلوقٍ. منه بدأ وإليهِ يعودُ» نازع بعضُهم في كونه منه بدأ وإليه يعود، وطلبوا تفسير ذلك.

فقلت: أمَّا هذا القولُ فهو المأثور والثَّابت عنِ السلف مِثْل ما نقله عمرو بن دينار قال: «أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق إلاَّ القرآن، فإنَّه كلام الله غير مخلوق، منْه بدأ وإليه يعود».

ومعنى «منه بدأ»: أي هو المتكلِّمُ به، وهُو الذي أُنزله مِنْ لَدُنِه. لَيْس هُوَ كما تقُوله الجهميةُ: أنَّه خلق في الهواء أو غيره، وبدأ مِنْ عِنْد غيره.

وأمَّا «إليه يعُود» فإنَّه يسري به في آخر الزّمان مِنَ المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منْه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف.

ووافق على ذلك غالب الحاضرين.

فقلت: هكذا قال النبي ـ ﷺ ـ: «ما تقرّب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه»(٢) ـ يعني القرآن ـ.

---

(١) هو الفخر الرازي.

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعة»: (تحفة الأحوذي: ٨/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) كتاب أبواب فضل القرآن، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك، وتركه في آخر أمره. وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢/ ١٥٤. والخطيب في «التاريخ» ٧/ ٨٨ و١٢/ ٢٢٠ والمنذري في «ترغيب الترهيب» ٢/ ٣٥٠. والمتقي الهندي في «كنز العمال» رقم ٢١٣٣٠. وانظر ابن عراق ـ تنزيه الشريعة ٢/ ١٨٣.

وقال خبَّاب بن الأرت: «يا هنتاه تقرّب إلى الله بما استطعت، فلنْ يتقرَّب إلى الله بشيء أحبّ إليه مِمَّا خرج منه».

وقلْت: وإنَّ الله تكلَّم به حقيقة، وإنَّ هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ـ ﷺ ـ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنَّه: حكاية عنْ كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأ النَّاس القرآن، أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عَنْ أنْ يكون كلام الله فإنَّ الكلام إنَّما يضاف حقيقة إلى مَنْ قاله مبتدئاً لا إلى مَنْ قاله مبلّغاً مؤدياً».

فامْتعض بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه أنَّ الله تكلم به حقيقة ثم إنَّه سلم ذلك لما بُيِّن له أن المجاز يصح نفيُه، وهذا لا يصح نفيه. إذ أن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم، وسعة الشعر المضاف إليهم هو كلامهم حقيقة.

ولمَّا ذكر فيها «أنَّ الكلام إنَّما يُضاف حقيقة إلى مَن قاله مبتدئاً لا إلى مَنْ قاله مبلّغاً». استحسنوا هذا الكلام وعظَّموه.

ولما ذكرت ما أجمع عليه سلف الأمة مِنْ أنه ـ سبحانه ـ فوْق العرش، وأنَّه معنا حقّ، على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يُصان عنِ الظّنون الكاذبة.

وليس معنى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[1] أنَّه مختلط بالخلق، فإنَّ هذا لا تُوجبه اللُّغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق. بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، /وهو مع المسافر[2] أينما كان[3]. [٢٢/أ]

(١) سورة الحديد/ ٤.

(٢) في «العقود الدرية» ص ٢٤٣: «وغير المسافر».

(٣) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢١٩ ـ ٢٤٣ وقد نبهنا إلى أنَّ المصنف يتصرف كثيراً في النصوص اختصاراً وتقديماً وتأخيراً.

ولمَّا ذكرت أنَّ جميع أسماء الله التي يُسمّى بها المخلوق، كلفظ الوجود الذي هو مقُول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كبيران: هل هو مقُول بالاشتراك، أو بالتَّواطىء؟.

فقال أحدُهما: هو متواطىءٌ. وقال آخـرُ: هو مشتـرك، لئلا يلزم التركيب. وقال هذا: قد ذكر فخر الدين: أنَّ هذا النِّزاع مبنيّ على أنّ وجوده هل هو عين ماهيته، أم لا؟

فمن قال: أنَّ وجود كلّ شيء عين ماهيته، قال: إنه مقول بالاشتراك.

ومن قال: إن وجوده قدر زائد على ماهيته، قال: إنَّه مقول بالتواطىء.

فأخذ الأول يرجح قول من يقول أنَّ الوجود زائد على الماهية، لينصر أنَّه مقول بالتواطىء.

فقال الثاني: مذهب الأشعريّ، وأهل السّنة: أنَّ وجوده عين ماهيته.

فأنكر الأول ذلك.

فقلت: أمَّا متكلموا أهل السنة فعِندهم: أنَّ وجود كلّ شيء عين ماهيته، وأمَّا القول الآخر؛ فهو قولُ المعتزلة: إن وجود كلّ شيء قدر زائد على ماهيته. وكلّ منهما أصاب من وجه، فإنَّ الصواب أنَّ هذه الأسماء مقولة بالتواطىء، كما قد قرّرته في غير هذا الموضع.

وأثبتنا ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته، أو ليس، فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب[1]. فإنَّا وإنْ قلنا: «أنَّ وجود الشيء عين ماهيته» لا يجب أنْ يكون الإسم مقولاً عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللَّفظي فقط، كما في جميع أسماء الأجناس، فإنَّ اسم «السّواد» مقول على هذا السّواد، وهذا السّواد بالتَّواطىء، وليس عين هذا السّواد هو عين هذا السّواد، إذ الإسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المُطلق الكلي، لكنّه لا يُوجد مُطلقاً بشرْط الإطلاق إلاَّ في الذِّهن، ولا يلزَم من ذلك نفي القدر المُشتَرك

(١) أي الفخر الرازي محمد بن عمر المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.

بين الأعيان الموجودة في الخارج، فإنّه على ذلك تنْتفي الأسماء المتواطئة، وهي جمهور الأسماء الموجودة في اللّغات، وهي أسماء الأجناس اللّغوية، وهي الإسم المعلّق على الشيء وما أشبهه، سواء كان إسم عين أو إسم صفة جامداً أو مشتقاً، وسواء كان جنساً منطقياً أو فقهياً، أو لم يكن، بل إسم الجنس في اللّغة يدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ونحو ذلك، وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة»[1] هذا آخر بعض ما علقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وغيرهم.

قال الحافظ الذهبي: «ثم وقع الاتفاق على أنَّ هذا مُعتقدٌ سَلَفِيٌّ جَيِّد»[2].

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ٢٥٩ . ٢٦٢ .
(٢) المرجع السابق: ص ٢١٢ .

فصلٌ فِي تَوجُّهِ الشَّيخ لِمصر، ومحنتُه بها

وسبب محنته وابتلائه، قيامه في الله والردّ على أهل البدع والعقائد الفاسدة. فقد حثَّ على غزْو الكسروانيين الروافض وغيرِهم من الدُّروزِ والنُّصيرية، وغزاهم بمَنْ معه مِنَ المُسلمين، وفتح بلادَهم، وكاتب السلطان فيهم بحسْم مادة شُيوخهم الَّذين يُضِلّونهم، والأمر بإقامة شعائر الإسلام، وقراءة الأحاديث، ونشر السّنة ببلادهم، كما مرّ ذكره.

وكان استئصالهم في المحرَّم، سنة خمس وسبعمائة.

ولمّا كان تاسع جمادي الأولى مِنْ سنة خمس بالغ الشيخ في الردِّ على الفقراء[1] الأحمدية والرِّفاعية[2] بسبب خُروجهم عن الشريعة، بعد أن حضروا لنائب السلطنة، وشكوْا من الشيخ، وطلبوا أنْ يسلم لهم حالهم. وأن لا يعارضهم ولا ينكر عليهم، وطلبوا حضور الشيخ.

فلما حضر وقع بينهم كلام كثير فقال الشيخ - في كلام طويل - :

«إنَّهم وإنْ كانوا منتسبين إلى الإسلام، وطريقة الفقر والسّلوك، ويوجد في بعضهم من التعبد والتألُّه والوجْد، والمحبَّة والزُّهد والفقر، والتَّواضع ولين الجانب، والمُلاطفة في المخاطبة والمعاشرة، والكشف والتصرُّف، فيوجدُ أيضاً في بعضهم من الشّرك، وغيره من أنواع الكفر والبِدع في الإسلام.

(١) أي الصوفية.

(٢) طريقتان صوفيتان تَنْتَسِبان إلى الشيخ أحمد الرِّفَاعِي.

والإعراض عَنْ كثير ممَّا جاء به الرَّسول، والكذب والتَّلبيس، وإظهار المخارق الكاذبة مثل ملامسة النَّار والحيّات، وإظهار الدّم واللّادن والزّعفران وماء الورد والعسل وغير ذلك.(١) وإنَّ عامة ذلك عَنْ حيل معروفة وأسباب مصنوعة كَطَلِيْ أجسامهم لدُخول النَّار بدُهن الضَّفادع، وباطِن قِشْر النَّارنْج، وحجر الطّلق وغير ذلك مِنَ الحيل.

وقال لهم بحضرة نائب السلطنة: أدخُلُ أنا وهم النار، ومن احْترق فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار بالحمام. فلما زيّفهم الشيخ، وأظهر تلْبيسهم قال:

حتّى ولوْ دخلتم النّار وخرجتم منها سالمين، وطرتم في الهواء، ومشيتم على الماء لا عبرة بذلك مع مخالفة الشَّرع. فإنَّ الدَّجال الأكبر يقول للسَّماء: أمْطري. فتُمطر وللأرض. أنْبتي. فتُنبت، وللخِرْبة أخرجي كنوزَك: فتخرج، ومع هذا فهو دجَّال كذَّاب مَلْعُون، وليس لأحد الخروج عَنِ الشريعة، ولا عَنْ كِتابِ الله وسنّة رسوله. وذكر لهم قولَ أبي يزيد البسطاميّ: لوْ رأيتمْ الرَّجل يطيرُ في الهواء ويمشي على الماءِ فلا تغترّوا به، حتى تنظروا وقوفه عِنْد الأمر والنهي. وقول الإمام اللّيث: لو رأيتَ صاحبَ هوىً يطيرُ في الهواء فلا تغترّ به. وأطال الكلام في ذلك بحيث انفصل الأمر من عند نائب السلطنة: أنَّ كُلَّ مَنْ خَرجَ منهم عَنِ الكتابِ والسُّنَّةِ ضُربت عُنقُهُ»(٢).

ثم ظهر الشّيخ نصر المنبجيّ بمصر وشاع أمرُه، فقيل للشيخ ابن

---

(١) يلاحظ القارىء الكريم الأدب الجمّ والإنصاف الذي كان يتحلى به شيخُ الإسلام في محاوراته مع المخالفين. فإنّه هنا في تصدِّيه لإصلاح تجاوزات الصوفية. ابتدأ حديثه معهم بذكر محاسنهم وفضائلهم. بل وأطنب في ذلك. ثمَّ عَمَدَ إلى مساوئهم وبدعهم فذكرها أيضاً. وهكذا فإنّه جمع بين المَدْح والقَدْحِ لهم. وقدَّم الأقرب إلى نفوسهم، وما مِن شأنه يعينُ على صفاء القلوب، وتهيئتها لسماع كلمة الحق وقبولها. خلاف مبدأ التبكيت والإهانة والسخرية الذي مِن ثماره قطع طريق الحِوار بين «الأخوة» المتنازعين. ويُفوّت على المُصْلِحِ الوصول إلى هدفه الكريم.

(٢) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢١٠ ـ ٢١١.

تيمية: إنَّه اتحادّي فكتب إليه الشيخ نحو ثلاثمائة سطر بالإنكار عليه، فأغرى الشيخ نصر قضاة مصر وعلماؤها على ابن تيمية، وقال: إنَّه سيّء العقيدة مبتدع معارض للفقراء وغيرهم. وطعنوا فيه عنْد السلطان.

فورد مرسوم السلطان لدمشق بسؤال الشيخ عنْ عقيدته، فعقد المجلس للمناظرة ثامن رجب سنة خمس وسبعمائة بحضرة العُلماء والقضاة، /كما مرَّ[1]. [٢٢/ب]

ولا يبعد أن يكون الروافض وغيرهم قد برطلوا[2] عليه.

ثم لمْ يقنع ذلك الشيخ نصر، بل اجتمع مع طائفة مِنْ علماء مصر للجاشنكير - الذي تسلطن بمصر - فأوْهمه الشيخ نصر أنَّ ابن تيمية يخرجهم مِنَ الملك ويُقيم غيرهم[3]، وأنَّه مبتدع.

فَوَرَدَ مرسومُ السُّلطان إلى دمشق بإحضار ابنِ تيمية إلى مصر خامس شهر رمضان، سنة خمس وسبعمائة.

فلما طُلب إلى الدّيار المصريّة مانع نائبُ الشّام، وقال: قد عُقِدَ له مجلسان بحضْرتي، وحضرة القضاة، والفقهاء، وما ظهر عليه شيءٌ!!

فقال الرَّسول لنائب دمشق: أنا ناصح لك، وقد قيل: أنَّه يجمع النَّاس عليك، وعقد لهم بيعة. فجزع من ذلك، وأرسله إلى القاهرة على البريد.

---

(١) مرَّ قريباً في الفصل السابق لهذا.

(٢) أي أرشوا.

(٣) وكذلك يفعلون. فكلما ظهر بأرض قائمٌ لله بحجة يرشد الناس ويأخذ بأيديهم إلى الهدى، ويجمع شتاتهم المبعثر، وينفخ فيهم روح أسلافهم، إلَّا وتحرَّكت بطانات السوء، وأغروا الحاكم بأنَّ هؤلاء يريدون أنْ يخرجوك مِن مُلْكِكَ، ويَتآمروا عليك. وأنَّهم يسيسون الدين ليبلغوا مآربهم، إلى غير ذلك مِن الافتراء والكذب. ويظل هؤلاء المصلحون - في كل عصر ومصر - يجهرون بما جهر به شيخُ الإسلام بكل صدق وبراءة وهو يدفع هذه الفِرية بين يدي السلطان: «أنا أفعل ذلك؟! والله إنَّ ملكك، وملك المُغل لا يساوي عندي فِلْسَيْن» وصدق الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُم عليه مِن أجر، وما أنا من المُتَكَلِّفِين * إنْ هو إلَّا ذِكْرٌ للعالمين * ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بعدَ حين﴾ (سورة ص/ ٨٦ - ٨٨).

(ذكر خروجه لمصر)

قالوا: ولما توجّه الشيخُ من دمشق المحروسة إلى مصر في يوم الإثنين ثاني عشر رمضان سنة خمس وسبعمائة كان يوماً مشهوداً، غريب المَثَل في كثرة ازدحام النَّاس لوداعه ورؤيته، حتَّى انْتشروا من باب داره إلى قريب الجورة ـ فيما بين دمشق والكسوة ـ الَّتي هي أول مَنزلة منها، وهم ما بين باك وحزين، ومُتعجب ومُتنزِّه، ومُزاحم مُتغال فيه، ودخل الشيخ مدينة غزَّة يوم السَّبت، وعمل في جامعها مجلساً عظيماً.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين مِنْ رمضان وصل الشيخ والقاضي إلى القاهرة.

وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة، جُمع القضاة وأكابرُ الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ، وأراد الشيخُ أن يتكلّم فلمْ يُمكّن مِنَ البحْث والكلام على عادته، وانْتُدب له الشمسُ بن عدلان خصماً احتساباً. وادَّعى عليه عنْد القاضي بنِ مخلوف المالكي أنَّه يقول:

أنَّ الله فوق العرش حقيقة، وأنَّ الله يتكلَّم بحرف وصوت، وزاد الحافظ الذّهبي: وأنَّ الله يشارُ إليه الإشارة الحسيّة.

وقال: أطلب عقوبته على ذلك.

فقال القاضي: ما تقول يا فقيه؟.

فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه.

فقال له القضاة: أجبْ ما جئنا بك لتخطُبَ.

فقال: وَمن الحاكم فيّ؟.

قيل له: القاضي المالكيّ.

قال: كيْف يَحكمُ فيّ وهو خصْمي، وغضب غضباً شديداً وانزعج.

فأُقيمَ مرسّماً عليه، وحُبس في برج أياماً[1].

ثُمَّ نُقل منْه ليلة عيدِ الفطر إلى الحبس المعروف بالجُبِّ، هو وأخواه: شرف الدين عبدالله وزين الدِّين عبد الرحمن.

ثمَّ إنَّ نائب السَّلطنة ـ سيف الدين سلاراً ـ بعْد أكثر مِن سنة، وذلك ليلة عيد الفِطْر مِنْ سنة ست وسبعمائة، أحضر القضاة الثلاثـة الشافعي والمالكي والحنفي. ومِنَ الفُقهاء الباجي والجزري والنّمراوي وتكلم في إخراج الشّيخ مِنَ الحَبْس.

فاتَّفقوا على أنْ يُشترط عليه أمورٌ، ويُلزَم بالرُّجوع عنْ بعض العقيدة، فأرْسلُوا إليه مَنْ يحضُره ليتكلّموا معه في ذلك. فلمْ يجب إلى الحُضور.

[٢٣/أ] وتكرَّر الرسولُ إليه في ذلك ستّ مرات/وصمّم على عدمِ الحُضور، فطال عليهم المجلس وانصرفوا عنْ غير شيء[2].

وفي شهر ذي الحجة سنة ستّ وسبعمائة طُلب أخوا الشيخ تقي الدين: شرف الدين، وزين الدين من الحبس إلى مجلس نائب السّلطنة سلار، وحضر القاضي زينُ الدِّين بن مخلوف المالكيّ، وجرى بينهم كلام كثير، وأعيدا إلى مَواضعِهما بعد أن بحث الشّيخ شرف الدين مع القاضي المالكيّ، وظهر عليه في النَّقل وخطَّأه في مواضع.

وفي ثاني يوم أُحضر الشيخ شرف الدين وحده إلى مجلس نائب

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٢) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

السلطنة، وحضر ابن عدلان وتكلم معه الشيخ شرف الدين، وناظره وبحث معه، وظهر عليه.

وفي صفَر مِنْ سنة سبعٍ وسبعمائةٍ اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقيّ الدين في دار الأوْحدي بالقلعة بُكرة الجمعة، وتفرَّقا قبْل الصَّلاة وطال بينهما الكلام.

وفي ربيع الأول مِنْ سنة سبْع دخل الأميرُ حسام الدين مهنى بن عيسى ملك العرب إلى مصر، وحضر بنفسه إلى الجبّ فأخرج الشيخ تقيّ الدِّين يوم الجمعة إلى دار نائب السَّلطنة بالقلعة، وحضر بعض الفقهاء، وحصل بينهم بحث كبير وفرَّقت بينهم صلاةُ الجمعة.

ثم اجتمعوا إلى المغرب ولمْ ينْفصل الأمر[1].

ثُمّ اجْتمعوا يوم الأحد بمرسوم السّلطان وحضر جماعة كثير من الفقهاء، كنجم الدين بن الرِّفعة، وعلاء الدين الباجيّ، وفخر الدين بن بنت أبي سعد، وعز الدين النّمراوّي، وشمس الدِّين بن عدلان، ولم يحضر القضاة وطُلبوا، واعتذر بعضهم بالمرض، وبعضهم بغيره، وانفصل المجلس على خير، وبات الشيخ عند نائب السّلطنة.

وكتب كتاباً إلى دمشق بُكرة الإثنين يتضمّن خروجَه وأنّه أقام بدار شقير بالقاهرة، وأنَّ الأمير سيف الدين سلار رسمَ بتأخره عن الأمير مهنى أياماً ليرى النَّاس فضله ويحصل لهم الإجتماع به.

وكان[2] مدة مقام الشّيخ في الجُب ثمانية عشر شهراً، وفرح خلق كثير بخروجه، وسُرّوا سروراً عظيماً، وحزن آخرون.

---

(۱) المصدر السابق: ص ٢٦٨ . ٢٦٩.

(۲) ما بين القوسين ساقط من «العقود الدرية» ص ٢٦٩ ولعل النقص في أصل المخطوط الذي اعتمده المحقق ـ رحمه الله ـ.

وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدِّين سليمان بن عبد القويّ الطوفيّ بقصيدة منها:

فاصْبر، ففي الغيبِ ما يُغنيكَ عنِ حيلٍ ... وكـلُ صعْبٍ إذا صابـرتَـهُ هـانَـاً
ولسْتَ تعْدِم مِنْ خَطْبٍ رُميتَ به ... إحـدى اثنين، فـأيقنْ ذاك إيقـانـاً
[٢٣/ب] /تمحيصُ ذنْبٍ، لتلْقى الله خالصة ... أو امتحـانـا بـه تزداد قُـربـانَـاً
يا سعدُ، إنَّا لنرجُوا أنْ تكون لنا ... سَعداً، ومرعـاك للرّوادِ[١] سَعْدَانَـاً
وأنْ يَضُـرَّ بك الرحمٰن طائفـةً ... وَلّتْ، وينفـع من بـالـوُدِّ وَالآنَـاً
يَـا أهـلَ تيْميـة العـالينَ مـرتبـةً ... ومنصبـاً قـرع[٢] الأفـلاك تبيـانَـاً
جـواهـرُ الكـونِ أنتمْ، غيـر أنَّكمُ ... في معشرٍ أستربوا في العقْل نُقصانَاً
لا يعرفون لكمْ فضلاً، ولو عقِلوا ... لصيّـرُوا لكم الأجفـانَ أوْطـانَـاً
يا مَنْ حوى من علومِ الخَلْقِ ما قَصُرتْ ... عنْه الأوائلُ مُذْ كَانُوا إلى الآنَاً[٣]
إنْ تُبْتلى بلئامِ النـاسِ يـرفعهم ... عليك دهْرٌ[٤] لأهلِ الفضل قَدْ خَانَاً
إني لأقسـم والإسـلام مُعتقـدي ... وإنّني من ذوي الإيمـان إيمـانَـاً
لمْ ألْقَ قبلك إنسـانـاً أُسـرُّ بـه ... فـلا بَرِحْتَ لعيْن المجدِ إنسـانَـاً

في أبيات كثيرة غير هذه، يمدح فيها الشيخ، ويذم أعداءه.

وفي يوم الجمعة صلَّى الشَّيخ في جامع الحاكم، وجلس فَاجتمع إليه خلق عظيم فسُئل الوعظ، فاستعاذ وقرأ قبل الوعظ الفاتحة.

وتكلم في تفسير: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي معنى العبادة والإستعانة إلى العصر[٥].

---

(١) في «العقود الدرية»: ص ٢٧٠: «للورّاد».
(٢) في «العقود الدرية» ص ٢٧٠: «فرع».
(٣) هذا التعميم فيه مبالغة كبيرة من الناظم ـ رحمه الله ـ.
(٤) في «العقود الدرية» ص ٢٧٠: «دهر عليك».
(٥) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٦٥ ـ ٢٧١.

ثم لم يزل الشيخ ـ رحمه الله ـ بمصر يُعلّمُ النَّاس ويُفْتيهم، ويُذكِّر بالله ويدعو إليه، ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجُمعة إلى العصر، إلى أنْ ضاق منه «خلق كثير»[1].

وقال الحافظ الذَّهبي: أقام بمصر يقريء العلم، واجتمع خلقٌ عنْده إلى أن تكلم في الاتّحادية القائلين بوحدة الوجود، وهم: ابن سبعين وابنُ عربيّ والقونويّ وأشباههم، فتحزب عليه صوفيّة وفقراء وسعوا فيه. واجتمع خلائق من أهل الخوانق والرّبط والزّوايا، واتفقوا على أن يشتكوا الشّيخ للسلطان، فطلع خلق منهم إلى القلعة، وخلق تحت القلعة، وكانت لهم ضجَّة شديدة، حتَّى قال السلطان: ما لهؤلاء؟.

فقيل له: جاءوا من أجل الشيخ ابن تيميّة يشكون منه، ويقولون: إنَّه يسبّ مشايخهم، ويضع مِنْ قدرهم عِنْد النَّاس، واستعانوا فيه وجلبوا عليه ودخلوا على الأمراء في أمره، ولم يُبْقُوا ممْكناً.

وأُمِرَ أنْ يُعقد له مجلسٌ بدار العدل.

فعقد له يوم الثلاثاء في عشر شوال الأول سنة سبع وسبعمائة، وظهر في ذلك المجلس مِنْ علم الشيخ، وشجاعته وقوَّة قلبه، وصدق توكّله، وبيان حجَّته ما يتجاوز الوصف، وكان وقتاً مشهوداً.

وقال له كبير من المخالفين: مِنْ أين لك هذا؟.

فقال له الشيخ: مِنْ/أين لا نَعْلمه. [٢٤/أ]

وذكر الشيخ علم الدِّين البرزاليّ وغيره: أنَّ في شوال من سنة سبع وسبعمائة، شكا شيخ الصُّوفية ـ بالقاهرة، كريم الدين الآمليّ وابن عطاء، وجماعة نحو الخمسمائة ـ من الشَّيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربيّ وغيره

(١) ما بين القوسين ساقط من «العقود الدرية» ولذا فالعبارة في المطبوعة غير مستقيمة في هذا الموضع.

إلى الدَّوْلَة فَخَيَّروه بين الإقامة بدمشق والإسكندرية بشروط، أو الحبْس. فاختار الحبْس، فدخل عليه جماعة في السَّفر إلى دمشق ملتزماً ما شُرط فأجابهم، فأركبوه خيل البريد ليلة ثامن عشر شوال.

ثم أُرسل خَلْفه مِنَ الغد بريد آخر فردّه على مرحلة مِنْ مصر ورأوا مصلحتهم في اعتقاله، وحضر عند قاضي القضاة بحضُور جماعة من الفقهاء.

فقال بعضهم له: ما تَرْضَى الدولةُ إلَّا بالحبس. فقال قاضي القضاة: وفيه مصلحة له.

واستناب شمس الدين التنوسيّ المالكيّ، وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع.

وقال: ما ثبت عليه شيء، فأُذن لنور الدين الزواوي المالكيّ فتَحَيَّر.

فقال الشيخ: «أنا أمضي إلى الحبس، وأتبع ما تقتضيه المصلحة».

فقال نور الدين: فيكون في موضع يصلح لمثله.

فقيل له: ما ترضى الدّولة إلَّا بمسمى الحبس.

فأرسل إلى حبس القضاة: بحارة الدّيلم، وأُجلس في الموضع الذي جلس فيه تقيّ الدّين ابن بنت الأعزّ لمّا حُبس، وأُذن في أَنْ يكُون عنده مَنْ يخدمه.

وكان كل ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجيّ ووجاهته في الدولة.

لما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواعٍ مِنَ اللُّعب يلْتهون بها عَمَّا هُمْ فيه كالشَّطرنج والنّرد، مَع تضييع الصلواتِ فأنْكر الشيخ ذلك عليهم وأَمَرهم بملازمة الصلاة، والتوجُّه إلى الله بالأعمال الصالحة والتَّسبيح والاستغفارِ والدُّعاء، وعلّمهم مِنَ السّنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير، وحضّهم على ذلك، حتّى صار الحبسُ بالاشتغال بالعِلْم والدِّين خيراً مِنْ كثيرٍ من الزّوايا والرُّبط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس

إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المتردِّدون إليه حتَّى كان السجن يمتلىء منهم.

واستقرَّ الشيخُ في الحبس يُستفتَى، ويقصده النَّاسُ ويزُورونه، وتأْتيه الفتاوى المشكَّلة من الأمراءِ وأعيانِ النَّاس.

فلمّا كثر اجتماعُ النَّاس به وتردّدهم إليه ساء ذلك أعداءَه، وحصرت صُدورهم، فسألوا نقْله إلى الإسكندريةِ، فنقل إليها مع أمير مقدم على البريد، ولم يمكّن أحد من جماعته من السفر معه.

وحُبس ببرج منها، وشيع بأنَّه قتل، وأنَّه غرق غير مرة، ووصل الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام فحصل التألّم، /وضاقت الصّدور، وتضاعف الدُّعاء له. [٢٤/ب]

واستمرَّ الشّيخ بثغر الإسكندرية ثمانية أشهر مقيماً ببرج مليح نظيف له شُبَّاكانِ، أحدُهما إلى جهة البحر، يدخل إليه مَنْ شاء، ويتردَّد الأكابر والأعيانُ والفقهاء يقرأون عليه يبحثون معه ويستفيدون منه[1]. وأرسل صاحبُ سبته إلى الشيخ يطلب منه الإجازة.

فلمَّا دخل السُّلطان الملك الناصر إلى مِصْر بعد خروجه مِنَ الكَرك، وقدومه إلى دمشق، وتوجَّه منها إلى مصر سنة تسع وسبعمائة بادر لإحضار الشيخ مِنَ الإسكندرية في اليوم الثَّامن من شوال، فخرج الشّيخ منها متوجهاً إلى مصر ومعه خلق من أهلها يودْعونه، ويسألون الله أن يردّه إليهم، وكان وقتاً مشهوداً.

ووصل إلى القاهرة ثامن عشر الشهر، واجتمع بالسّلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه، وأكرمه وتلقَّاه في مجلس حفل فيه قضاة مصر والشام والفقهاء، وأصلح بينه وبينهم.

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٩٣.

قال الحافظ بن عبد الهادي بن قدامة[1]: أخبرني بعض أصحابنا قال: أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسيّ ـ قاضي العساكر المنصورة ـ ذات ليلة، وقد أشاع الجهلة والمبغضون بأخبار مختلفة.

فقلت له: إنَّ الناس يقولون: كيت وكيت[2]، وأنَّ الشيخ ربما يخرج مِنَ القلعة ويُدّعى عليه، ويُعزر، ويُطاف به.

فقال: يا فلان هذا لا يقع ولا يسمح السلطانُ بشيءٍ مِنْ ذلك، وهْو أعلمُ بالشيخ وبعلْمه ودينه.

ثُمَّ قال: أخبرك بأمرٍ عجيب وقع مِنَ السُّلطان في حقِّ الشيخ، وهو: أنَّه حين توجَّه السلطان إلى الديار المصرية، ومعه القضاة والأعيان ونائب الشام الأفرم، فلمَّا دخل الدِّيار المصرية، وعاد إلى مَملكته، وهرب سلار والجاشنكير، واستقر أمر السُّلطان جلس يوماً في دست السلطنة وأبهة المُلك، وأعيان الأمراء مِنَ الشّاميين والمصريِّين حضور عنده، وقضاة مصر عَنْ يمينه، وقضاة الشام عنْ يساره، وذكر لي كيفية جلوسهم منْه بحسب منازلهم.

قال: وكان مِنْ جملة مَنْ هُناك: إبنُ صصري عن يسار السلطان، وتحته الصدرُ علي قاضي الحنفية، ثمّ بعده الخطيب جلال الدين، ثمّ بعده ابن الزّملكانيّ.

قال: وأنا إلى جانب ابن الزَّملكاني، والنَّاس جلوس خلفه، والسلطان على مقعد مرتفع فبينما النَّاس كذلك جلوس إذ نهض السلطان قائماً، فقام النَّاسُ، ثمّ مَشى السّلطان فنزل عنْ تلك المقعدة ولا ندْري ما به، وإذا بالشيخ تقي الدين مقبل مِنَ/ الباب، والسّلطان قاصد إليه، فنزل السّلطان عنِ [٢٥/أ] الإيوان ـ والنّاس قيام، والقضاة والأمراء، والدّولة ـ فتسالم هو والسلطان وذهبا إلى صفّة في ذلك المكان، فيها شبّاك إلى بستان، فجلسا فيها حيناً ثم أقبلا ـ

(١) العقود الدرية: ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧.

(٢) أي كذا وكذا.

ويد الشيخ في يد السلطان ـ فقام النّاس وكان قد جاء ـ في غيبة السلطان تلك ـ الوزير فخر الدين بن الخليلي فجلس عنْ يسار السلطان، فوق ابن صصري، وقعد السلطان على مقعد متربعاً.

وشرع يثْني على الشيخ عند الأمراء بثناء مـا سمعته من غيره قطّ، وقال كلاماً كثيراً، والناس يقولون معه، ومثله الأمراء والقضاة.

وكان وقتاً عجيباً وذلك ممَّا يسوء كثيراً من الحاضرين من أبناء جِنسه.

وقال في الشيخ مِنَ الثناء والمبالغة ما لا يقدر أحد مِنْ أخص أصحابه بقوله.

ثم إنَّ الوزير أنهى إلى السُّلطان أنّ أهل الذِّمة قد بذلوا للديوان في كل سنة سبعمائة ألف درهم زيادةً على الجالية على أنْ يعودوا إلى لبس العمائم البيض[1]، وأن يعفوا من هذه العمائم المصبَّغة التي ألزمهم بها ركن الدين الجاشنكير.

فقال السلطان للقضاة ومن هناك: ما تقولون؟

فسكت الناس.

فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثى على ركبتيه، وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ويردّ ما عرضه الوزير ردّاً عنيفاً، والسلطان يسكّنه برفق وتؤدة وتوقير.

وبالغ الشيخ في الكلام، وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه، حتى رجع السلطان عن ذلك، وألزمهم بما هُمْ عليه واستمرّوا على هذه الصفة. فهذا من حسنات الشيخ تقي الدين بن تيمية ـ رحمه الله ـ.

قال: وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر: أنَّ السلّطان لما جلس

(١) في «العقود الدرية» ص ٢٩٧ «البيض المعلّمة بالحمرة والصفرة والزرقة».

بالشبّاك، أخرج فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاني في قتل بعضهم.

قال: ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقاً شديداً عليهم لمّا خلعوه، وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير.

فشرعتُ في مدحهم، والثّناء عليهم، وشُكرهم، وأنّ هؤلاء لوْ ذهبوا لم تجدْ في دولتك مثلهم، وأمَّا أنا فهُمْ في حِلّ من حَقّي ومِنْ جهتي، وسكَّنْتُ ما عِنْده عليهم[1].

قال: فكان القاضي زين الدين بن مخلوف قاضي المالكيّة يقول بعد ذلك: ما رأينا أفتى مِنْ ابن تيمية، /لم نُبْقِ ممكناً في السَّعي فيه، ولمَّا قدرَ علينا عفا»[2]. [٢٥/ب]

«ثمّ إنَّ الشّيخ ـ بعد اجتماعه بالسّلطان ـ نزل إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين»[3].

قال الذّهبي: ولم يكن الشيخ من رجال الدولة، ولا يسلك معهم تلك النواميس، فلم يعد السلطان يجتمع به، وعاد إلى بثّ العلم ونشره، والخلق

(١) وهكذا يصنعُ الرَّبَانِيُّ. فإنّه يجاهدُ لِنُصْرَةِ الله ودينِهِ. وليس يجاهدُ لِنُصْرَةِ شخصِهِ، وإبراز مكانته. وهو إنما يبغض تجاوزات إخوانه وانحرافاتهم، وليس بغضه لذواتهم وأشخاصهم. فهو لا يَتَشَفَّى، ولا يَحْقِد. فكأنني بشيخ الإسلام ابن تيمية في تلك الوقفة النبيلة ـ التي تُنْبِىءُ عن الإتزان والضبط عند الفتنة، وصدق الأخوة وسماحتها عند الاختلاف والخصومة ـ يُعيد للتاريخ وقفة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص حين جاءَه ذلك المفتون يقع في خالد بن الوليد عنده ـ وكان بين سعد وخالد كلام ـ فأراد هذا المريض استثمار ذلك. فقال له سعد ـ رضي الله عنه ـ : «مه، إنَّ ما بيننا لم يبلغ ديننا». (أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم ٢٤٨، باب ذَبُّ المسلم عن عرض أخيه، وإسناده صحيح). وسبحان الله فإنَّ في موقف ابن تيمية وموقف خصومه تباين كبير، ينبيك عن قيمة العلم إذا اقترن بالتربية والورع، وخطورة العلم إذا تضخم، وضَمَرَت مقوماته. فإنما يُراد العلم لِيُتَعَبَّدَ به، ولتظهر آثاره في المواقف والسلوك.

(٢) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٢٩٩.

يشتغلون عليه ويقرؤون ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة، والأمراء والأكابر والنَّاس يترددون إليه - وفيهم من يعتذر إليه مما وقع - .

فقال: قد جعلت الكلّ في حل مما جرى[1].

ولم يزل الشيخ مستمراً على عادته مِنْ نفع النَّاس وموعظتهم والاجتهاد في سبل الخير، فلمَّا كان في شهر رجب سنة إحدى عشر وسبعمائة، أشيع أنَّ جماعة بجامع مصر قدْ تعصبوا على الشَّيخ وتفردوا به وضربوه.

قال الشيخ علم الدين[2]: ظفر به بعض المُبغضين له في مكان خالٍ وأساء عليه الأدب، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له، فلم يجب إلى ذلك.

وقال: أنا ما أنتصر لنفسي، ولمّا أشيع ذلك قال بعض أصحابه: فجئت إلى مصر فوجدت خلقاً كثيراً من الحسينيّة وغيرها رجالاً وفرساناً يسألون عنِ الشيخ فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب الممالك[3] على البحر، واجتمع عنده جماعة وتتابع الناس.

وقال له بعضهم: يا سيِّدي قد جاء خلف من الحسينية لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا.

فقال لهم الشيخ: لأيّ شيء؟ قالوا: لأجلك.

فقال لهم: هذا ما يجوز.

قالوا: فنحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم، ونخرب دورهم فإنَّهم شوشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس.

فقال لهم: هذا ما يحلّ.

---

(١) ابن عبد الهادي - العقود الدرية: ٢٩٩.

(٢) ابن عبد الهادي - العقود الدرية: ص ٣٠٠.

(٣) في «العقود الدرية» ص ٣٠٢: «المماليك».

قالوا: فهذا الذي فعلوه معك يحلّ، هذا شيء لا نصبر عليه، ولا بدَّ أن نروح إليهم ونُقاتلهم على ما فعلوا.

والشيخ ينْهاهم ويزجرُهم.

فلمَّا أكثروا في القول قال لهم: إما أن يكون الحقّ لي، أوْ لكم، أوْ لله، فإنْ كان الحق لي فهم في حِلٍّ، وإنْ كان لكم فإن لم تسمعوا منّي فلا تستفتوني، وافعلوا ما شِئْتمْ، وإنْ كان الحقّ لله فالله يأخذ حقه كما يشاء، وإن شاء.

وأقام الشيخ بعد هذا مدَّه بالدِّيار المصرية ثُم إنَّه توجَّه إلى الشَّام صحبة الجيش المصري قاصداً الغزاة، فلما وصل معهم إلى عَسْقَلان توجَّه إلى بيت المَقْدِس، وتوجَّه منه إلى دمشق وجعل طريقه على عَجْلُون.

ووصل دمشق أول يوم مِن ذي القعدة سنة إثنتي عشرة وسبعمائة ومعه أخواه وجماعةٍ مِنْ أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وَسُرُّوا سُرُوراً عظيماً بمقْدمه وسلامته.

وكان مجموع غيبته عنْ دمشق سبع سنين وسبع جُمَع.

(ذكرُ ما وقع للشيخ ابن تيمية بعد عَودِهِ لِدمَشق المحروسة)

/قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة:(١) ثُمّ أنَّ الشيخ ـ رحمه الله ـ [٢٦/أ] بعد وصوله مِنْ مصر إلى دمشق واستقراره بها، لَمْ يزل ملازماً للاشتغال، ونشر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء النَّاس بالكلام والكتابة المطوَّلة، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والاجتهاد في الأحكام الشرعيّة.

ففي بعض الأحكام يُفتي بما أدّى إليه اجتهادُهُ مِنْ موافقة أئمة المذاهِب الأربعة، وفي بعضها قد يُفتي بخلافِهم، أو بِخلافِ المشهور في مذاهبهم.

وتقدَّم قول الذهبي في حقه: وله الآن عدَّة سنين لا يُفتي بمذهب معيّن بل بما قام الدليل عليه عنده.

ومن اختياراته التي خالفهم فيها، أو خالف المشهور من أقوالهم:

القول بقَصْر الصلاة في كلِّ ما يُسمَّى سَفَراً طويلاً كان أو قصيراً(٢)،

---

(١) العقود الدرية: ص ٣٣٧ ـ ٣٤١.

(٢) قال ـ رحمه الله ـ: «وقد تنازع العلماء: هل يختص بسفر دون سفر؟ أم يجوز في كل سفر؟ وأظهر القولين أنّه يجوز في كل سفر قصيراً كان أو طويلاً، كما قصر أهل مكة خلف النبي ـ ﷺ ـ بعرفة ومنى، وبين مكة وعرفة نحو بريد: أربعة فراسخ.

وأيضاً فليس الكتاب والسنة يختصان بسفر دون سفر «ولم يحد النبي ـ ﷺ ـ مسافة القصر بحد، لا زماني، ولا مكاني. والأقوال المذكورة في ذلك متعارضة، ليس على شيء منها حجة» (مجموع الفتاوى ٢٤/١٢ ـ ١٣). وقال في ٢٤/١٥: «ولهذا قال طائفة أخرى من أصحاب أحمد وغيرهم: إنّه يقصر في السفر الطويل والقصير» «وهذا قول كثير من السلف

كما هو مذهب الظَّاهرية، وقول بعض الصحابة.

والقول بأن البكر لا تُسْتَبْرَأ وإنْ كانت كبيرة، كما هو قول ابن عمر، واختاره البخاري صاحب الصحيح.

والقول بأنَّ سجود التلاوة لا يُشترط له وضوء[1]، كما هو مذهب ابن عمر، واختاره البخاري أيضاً[2].

والقول بأَنَّ مَنْ أكل في شهر رمضان معتقداً أنَّه ليل فبان نهاراً لا قضاء عليه، كما هو في الصحيح عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وإليه ذهب بعض التابعين، وبعض الفقهاء بعدهم[3].

= والخلف، وهو أصح الأقوال في الدليل. ولكن لا بدَّ أن يكون ذلك مما يعد في العرف سفراً، مثل أن يتزود له، ويبرز للصحراء. (وانظر أيضاً مجموع الفتاوى ٢٤/٣٤ ـ ٣٨).

(١) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٦/١٩٤ ـ ١٩٥: «إنَّ السجود المجرد لا يدخل في مسمى الصلاة، وإنما مسمى الصلاة ما له تحريم وتحليل. وهذا السجود لم يرو عن النبي ـ ﷺ ـ أنَّه أمر له بالطهارة. بل ثبت في الصحيح أنَّ النبي ـ ﷺ ـ لما قرأ «سورة النجم» سجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. وسجد سحرة فرعون على غير طهارة. وثبت عن ابن عمر أنَّه سجد للتلاوة على غير وضوء، ولم يرو عن أَحَدٍ من الصحابة أنَّه أوجب الطهارة».

(٢) قال البخاري في صحيحه، كتاب سجود القرآن، باب سجود المسلمين (فتح الباري ٢/٥٥٣): «باب سجود المسلمين مع المشركين، والمشرك نجس، ليس له وضوء. وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يسجد على غير وضوء»، ثم ساق حديث سجود النبي ـ ﷺ ـ بالنجم. وأفاد الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٢/٥٥٤: «أنَّ الشعبي وافق ابن عمر على جواز السجود بلا وضوء للتلاوة. وعزاه لابن أبي شيبة بسند صحيح.

تنبيه: وقع سهو في النسخة المطبوعة من «فتح الباري» ٢/٥٥٣ الطبعة السلفية إذ فيها: «وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يسجد على وضوء» والصحيح: «على غير وضوء» فسقطت كلمة «غير». مع التأكيد بأنَّ الطبعة السلفية لفتح الباري هي أفضل الموجود لما امتازت به من التدقيق والتحقيق والعناية.

(٣) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى ٢٠/٥٧٢»: «وقد ثبت في الصحيح أنَّهم أفطروا على عهد النبي ـ ﷺ ـ ثم طلعت الشمس، ولم يذكروا في الحديث أنهم أمروا بالقضاء. ولكن هشام بن عروة قال: «لا بدَّ من القضاء». وأبوه أعلم منه. وكان يقول: «لا قضاء عليهم». وثبت في الصحيحين أنَّ طائفة من الصحابة كانوا يأكلون حتى يظهر لأحدهم الخيط الأسود. وقال النبي ـ ﷺ ـ لأحدهم: «إن وسادك لعريض، إنما ذلك بياض النهار وسواد اللّيل». ولم ينقل =

والقول بأنَّ مَنْ أفطر برمضان عمْداً، أوْ ترك الصلاة بلا عُذر لا قضاءَ عليه، وقال به بعض الظَّاهرية وحُكِيَ عن ابن بنت الشافعي، وفي البخاري[1] عن أبي هريرة: «من أفطر يوماً من رمضان من غير عُذرٍ ولا مرض لمْ يقضه صيام الدّهر، وإن صامه». وبه قال ابن مسعود.

وقال سعيد بن المُسيّب، والشَّعبي، وابنُ جُبير، وإبراهيمُ، وقتادة، وحمّاد: «يقضي يوماً مكانه»[2].

والقول بأنَّ المتمّع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة، كما في حقّ القارن والمفرد، وهو قول ابن عبّاس ـ رضي الله عنه[3] ـ، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل، رواها عنه ابنه عبدالله[4]. وكثير من أصحاب الإمام أحمد لا يعرفونها.

= أنه أمرهم بقضاء، وهؤلاء جهلوا الحكم فكانوا مخطئين. وثبت عن عمر بن الخطاب أنَّه أفطر، ثم تبيّن النهار، فقال: «لا نقضي فإنَّا لم نتجانف لاثم». وروي عنه أنَّه قال: «نقضي» ولكن إسناد الأول أثبت. وَصَحَّ عنه أن قال: «الخطب يسير»فتأول ذلك من تأول على أنَّه أراد خفة أمر القضاء، ولكن اللَّفظ لا يدلُّ على ذلك.

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان (فتح الباري ٤/١٦٠ ـ ١٦١) ولم يخرجه البخاري مسنداً، بل هو من معلقاته، لأنه ليس على شرطه وفيه علَّة واضطراب. وقد وصله أصحاب السنن الأربعة وصححه ابن خزيمة.

وصنيع المصنف يوهم بأنَّ الحديث عند البخاري في أصل كتابه ووفق شرطه والحق أنَّه غير ذلك، وهو حديث معلق، فكان ينبغي التصريح بذلك دفعاً للوهم.

(٢) فتح الباري ٤/١٦٠ ـ ١٦١. وما بين القوسين ساقط من «العقود الدرية» ص ٣٣٨.

(٣) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٦/١٣٨: «وكذلك المتمتع في أصح أقوالهم. وهو أصح الروايتين عند أحمد، وليس عليه إلاَّ سعي واحد. فإنَّ الصحابة الذين تمتعوا مع النبي ـ ﷺ ـ لم يطوفوا بين الصفا والمروة إلاَّ مرة واحدة».

(٤) «قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: قيل لأبي: المتمتع كم يسعى بين الصفا والمروة؟» قال: إنَّ طاف طوافين ـ يعني بالبيت ـ وبين الصفا والمروة، فهو أجود. وإن طاف طوافاً واحداً فلا بأس. وإن طاف طوافين فهو أعجب إليّ». وقال أحمد: حدَّثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عباس، أنَّه كان يقول: «المفرد والمتمتع يجزئه طواف بالبيت، وسعي بين الصفا والمروة». (وانظر بقية كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٦/١٣٨ ـ ١٣٩).

والقول بجواز المسابقة بلا محلّل، وإنْ أخرج المتسابقان.

والقول باستبراء المُخْتلَعة بحيْضه، وكذلك الموطؤة بشبهة، والمُطلَّقة آخر ثلاثِ تطليقات[1].

والقولُ بإباحة وطء الوثنيات بمِلْك اليمين[2].

والقول بجوار عقْد الرّداء في الإحرام، ولا فِرية في ذلك[3].

وجواز طواف الحائض، ولا شيء عليها إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً.

والقول بجواز بيع الأصل بفرعه[4] كالزّيتون بالزّيت والسّمسم بالشّيرج.

والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضَّة للتحلّي وغيره[5]، بالفضَّة متفاضلاً وجعل الزّائد مِنَ الثمن في مقابلة الصّنعة.

والقول بأنَّ المائِع لا ينجُس بوقوع النجاسة فيه إلاَّ أن يتغيّر، قليلاً كان أو كثيراً.

والقول بجواز التيمّم لمنْ خاف فوات[6] العيد والجمعة باستعمال الماء[7].

والقول بجواز التيمم في مواضعَ معروفة.

---

(١) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى ـ: ٣٢/١٠، ٣٤٧ ـ ٣٤٨. وساق أدلَّة كثيرة تؤيد ما ذهب إليه، من الكتاب والسنة وأكابر الصحابة والسلف.

(٢) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى ـ ٣٢/١٨٦ وللمصنف كلام في «عدم جواز وطء الوثنيات بملك يمين وغيره» وهو كلام جيِّد مفصل أنظره في مجموع الفتاوى ٣٢/١٨٢، ١٨٧ ـ ١٩٠.

(٣) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٢٦/١١١، ٢١/٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٤) في العقود الدرية ص ٣٣٩: «بيع الأصل بالعصر».

(٥) في «العقود الدرية»: ٣٣٩ زاد: «كالخاتم ونحوه».

(٦) في «العقود الدرية» ص ٣٣٩: «فوآت».

(٧) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٢١/٤٢٦ ـ ٤٢٧، ٤٦٦ وفيه: «يتيمم لكل ما يخاف فوته كالجنازة وصلاة العيد والجمعة والجماعة الواجبة...».

والجمع بيْن الصلاتين في أماكن مشهورة.
وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله.

/وكان يميل أخيراً إلى القول بتوريث المُسلم من الكافر الذميّ، وله [٢٦/ب] في ذلك مصنف وبحث طويل.

ومِنْ أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسببِ الإفتاء بها محنٌ وقلاقلُ:

قوله: بالتكفير في الحلف بالطلاق(١).
وأنَّ الطلاق الثلاث لا يقع إلَّا واحدة(٢).
وأنَّ الطَّلاق المحرَّم لا يقع(٣).

وله في ذلك مصنّفات ومؤلّفات كثيرة. منها: قاعدة كبيرة سمَّاها «تحقيق الفرقان بين التَّطليق والإيمان» نحو أربعين كراسة.

وقاعدة سماها «الفرق المبين بين الطَّلاق واليمين» بقدر النُّصف من ذلك.

«وقاعدة في أن جميع إيمان المسلمين مكفَّرة، مجلَّد لطيف».
«وقاعدة في تقرير أنَّ الحلف بالطَّلاق مِنَ الإيمان حقيقة»(٤).
وقواعد وأجوبة غير ذلك ممَّا لا ينضبط ولا ينحصر.

وله جواب اعتـراض، وردٌّ عليه مِنَ الديار المصريّة. وهْو جواب طويل في ثلاث مجلدات، بقطع نصف البلدي(٥).

ثم اجتمع بالشيخ يوم الخميس نصف ربيع الآخر سنة ثمان عشرة

---

(١) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٣٢/٨٦ ـ ٨٩، ٣٥/٢٦٤.
(٢) المرجع السابق: ٣٣/٧ ـ ٣٨، ٧١ ـ ٧٣، ٧٦ ـ ٩٨.
(٣) المرجع السابق: ٣٣/٦٦، ٨١، ١٣٠.
(٤) زاد في العقود الدرية: ص ٣٤٠: «وقاعدة سماها: «التفصيل بين التكفير والتحليل»، وقاعدة سماها: «اللمعة».
(٥) هو نوع من أنواع الورق المستعمل وقتذاك، وله مقياس معروف عندهم.

وسبعمائة القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبليّ، وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الحلْف بالطَّلاق، فقبل إشارته، وعرف نصيحته، وأجاب إلى ذلك.

فلمَّا كان يوم السبت، مستهلّ جمادي الأُولى مِنْ هذه السنَّة، ورد البريد إلى دمشق، ومعه كتاب السُّلطان بالمَنْع مِنَ الفتوى في مسْألة الحلف بالطَّلاق، الَّتي رآها الشيخُ تقيّ الدّين، والأمر بعقد مجلس في ذلك.

فعقد يوم الإثنين ثالث الشّهر المذكور بدار السَّعادة، وانفصل الأمر على ما أمر به السُّلطان، ونُودي بذلك في البلد يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور.

ثم إنَّ الشيخ عاد إلى الإفتاء بذلك، وقال: «لا يسعني كتمان العلم»[1].

فلمَّا كان يوم الثلاثاء تاسع عشري رمضان سنة تسع عشرة[2] جُمع القضاة والفقهاء عند نائب السَّلطنة بدار السَّعادة، وقُرىء عليهم كتاب السلطان. وفيه فصل يتعلق بالشَّيخ بسبب الفتْوى فِي هذه المسألة، وأُحضر وعُوتب على فُتْيَاه بعد المنع، وأُكّد عليه في المنع مِنْ ذلك.

فلمَّا كان بعْدَ ذلك بمدة ثاني عشري رجب سنة عشرين[3] عُقد مجلس بدار السعادة، وحضره النَّائب والقضاة وجماعة مِنَ المفتين، وحضر الشيخ، وعاودوه فِي الإفتاء في مسألة الطَّلاق، وعاتبوه على ذلك وحُبس[4] بالقلْعة فبقي فيها خمسة أَشْهُر وثمانية عشر يوماً.

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٤١.

(٢) (٣) في العقود الدرية: ص ٣٤٢: «وسبعمائة» كذا في الأصل وهي في العقود الدرية: «التاسع والعشرين» و«الثاني والعشرين» من غير إضافة.

(٤) في العقود الدرية: ص ٣٤٢: «حبسوه».

ثُمَّ ورد مرسُوم السلطان بإخراجه. فأُخرج يوم الإثنين يوم عاشوراء من سنة/إحدى وعشرين وتوجَّه إلى داره. [٢٧/أ]

«ثم لم يزل بعد ذلك يعلّم النَّاس ويُلْقي الدُّروس في أنواع العلوم»[١].

(١) العقود الدرية: ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(ذكر حبس الشيخ بقلعة دمشق إلى أن مات بها)

قالوا: لمَّا كان سنة ستّ وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شدّ الرِّحال، وإعمال المطيِّ إلى قبور الأنبياء والصّالحين، وكثر القيل والقال بسبب العُثور على جواب الشيخ الآتي، وعظم التَّشنيع على الشيخ وحُرِّف عليه، ونُقل عنه ما لمْ يقُلْه، وحصلتْ فتنة طار شررُها في الآفاقِ، واشتدَّ الأمرُ، وخيفَ على الشيخ مِنْ كيد القائِمينَ في هذه القضية بالدِّيار الشَّامية والمصريَّة، وضعُفَ من أصحاب الشَّيخ مَنْ كان عنده قوة، وجَبُن منهم من كانت له همَّة.

وأمَّا الشيخ ـ رحمه الله ـ فكان ثابت الجأش قويّ القلب، وظهر صدق توكّله واعتماده على ربِّه.

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حقّ الشيخ فقال أحدهم: يُنفي. فنُفِيَ القائل.

وقال آخر: يُقطع لسانُه. فقُطع لسان القائل.

وقال آخر: يُعزّر. فعُزّر القائل.

وقال آخر: يُحبس. فحُبس القائل.

أخبر بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها.

واجتمع جماعة آخرون بمصر، وقاموا في هذه القضية قياماً عظيماً، واجتمعوا بالسُّلطان، وأجمعوا أمرهم على قتْلِ الشّيخ، فلمْ يوافقهم السُّلطان

على ذلك، وأرضى خاطرهم بالأمْر بحبسه[1].

فلمَّا كان يوم الإثنين، سادس شعبان من السنة المذكورة، ورد مرسوم السلطان بأنْ يكون في القلعة، وأُحضر للشّيخ مركوبٌ.

فأظهر السُّرور بذلك وقال: أنا كنت منتظراً ذلك، وهذا فيه خير عظيم.

فركب إلى القلعة وأُخليت له قاعة حسنة، وأُجري إليها الماء، ورُسم له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زين الدِّين يخدمه بإذن السُّلطان، ورُسم له بما يقوم بكفايته.

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قُرِىء بجامع دمشق الكتاب السلطانيّ الوارد بذلك، وبمنْعه من الفتيا.

وليس بعجيب فقد وقع لأبي حنيفة مثله مِنَ المنع والحبْس، ووقع للإمام أحمد كذلك. ﴿فإنَّهَا لَا تَعْمَى الأبصارُ ولكنْ تعْمَى القُلُوبُ الَّتِي في الصُّدورِ﴾[2].

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة مِنْ أصحاب الشيخ بسجْن الحكم، وأُوذِي جماعة مِنْ أصحابه، واختفى آخرون، وعُزّر جماعة، ونُودي عليهم، ثُم أُطلِقُوا، سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر/إمام الجوزية[3] فإنَّه حُبس بالقلعة، وسكنت القضية[4]. [٢٧/ب]

وهذا صورة السؤال وجواب الشيخ عنه.

ما تقول السادة أئمَّة الدِّين ـ نفع الله بهم المسلمين ـ: في رجلٍ نوى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، مثل نبينا محمد ـ ﷺ ـ وغيره. فهل يجوز له

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.
(٢) سورة الحج/٤٦.
(٣) الإمام الرباني العلم، أنجب تلاميذ الإمام ابن تيمية، صاحب التصانيف الشائعة النافعة، توفي سنة ٧٥١ هـ (ابن حجر ـ الدرر الكامنة: ٣/٤٠٠).
(٤) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

في سفره أن يقصِّر الصلاة، وهل هذه الزيارة شرعية أم لا؟.

وقد روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: «من حجَّ ولم يزُرني فقد جفاني، ومن زارني بعد موتي كان كمنْ زارني في حياتي»[1].

وقد روي عنه - ﷺ - أنه قال: «لا تشُدّ الرِّحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجدَ: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». أفتونا مأجورين.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين.

أما مَنْ سافر لمجرّد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين:

أحدهما: وهو قول متقدِّمي العلماء الَّذين لا يجوّزون القصر في سَفر المعصية كأبي عبدالله بن بطّة، وأبي الوفاء ابن عقيل، وطوائف كثير مِنَ العلماء المتقدمين: أنَّه لا يجُوز القصر في مثل هذا السفر، لأنَّه سفر منهيٌّ عنه[2] في الشَّريعة فلا يُقَصَّر فيه.

والقول الثاني: أنَّه يقصّر، وهذا يقوله من يجوّز القصر في السَّفر المحرَّم، كأبي حنيفة، ويقوله بعض المتأخِّرين من أصحَاب الشَّافعي، وأحمد مِمَّن يجوّز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصَّالحين، كأبي حامد الغزالي، وأبي الحسن بن عبدوس الحراني، وأبي محمد بن قدامة المقدسي.

وهؤلاء يقولون: إنَّ هذا السَّفَرُ ليس المحرَّم[3]، لعموم قوله - ﷺ - : «زوروا القبور»[4].

---

(١) سيأتي تخريج هذه الأحاديث في الصفحة التالية.

(٢) في العقود الدرية: ص ٣٤٩: «ومذهب مالك والشافعي وأحمد: أنَّ السفر المنهيّ عنه في الشريعة لا يقصر فيه».

(٣) في العقود الدرية: ص ٣٤٩: «بمحرم».

(٤) زوروا القبور فإنَّها تُذَكِّرُ الموتَ أخرجه مسلم في «صحيحه: ٢/٦٧١» كتاب الجنائز، رقم الحديث. ١٠٨.

وقد يحتج بعضَ مَنْ لا يعرف الحديث بالأحاديث المرويّة في زيارة قبر النبيّ - ﷺ - كقوله: «مَنْ زارني بعد مماتي فكأنَّما زارني في حياتي[1]»، رواه الدارقطني.

وأمَّا ما يذكره بعض الناس من قوله: «مَنْ حجَّ ولم يزرني فقد جفاني»[2]. فهذا لم يروه أحدٌ مِن العلماء، وهو مثل قوله: «مَنْ زارني وزار أبي إبراهيم في عامٍ واحدٍ ضمنت له على الله الجنَّة»[3].

فإن هذا أيضاً باطل باتِّفاق العلماء، لمْ يروه أحد ولم يحتجّ به أحد، وإنَّما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني.

---

(١) أخرجه الدارقطني في «سننه» ٢/٢١١، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٥/٢٤٦. وأورده ابن حجر في «تلخيص الكبير» ٢/٢٦٦ والعجلوني في «كشف الخفا» ٢/٣٤٧، والمتقي الهندي في «كنز العمال» رقم ١٢٣٧٢، والزبيدي في «إتحاف السَّادة المتقين» ٤/٤١٦. كما أورده الشوكاني في «الموضوعات» في كتابه «الفوائد المجموعة» ١١٧. والألباني في «السلسلة الضعيفة» ١/٦٢-٦٤. كما صرَّح بوضعه ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٧/٢٥.

قال الشيخ الألباني: «سند ضعيف جداً وفيه علَّتان»: **الأولى**: ضعف ليث بن أبي سليم، فإنَّه كان قد اختلط. **والثانية**: أنَّ حفص بن سليمان القارىء الغاضري ضعيف جداً. قال عنه ابن حجر في «التقريب»: «متروك الحديث». (السلسلة الضعيفة ١/٦٢ باختصار).

قلت: وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/٢ وقال: «رواه الطبراني في «الكبير والأوسط»، وفيه حفص بن أبي داود القارىء، وثقة أحمد، وضعفه جماعة من الأئمة».

ثم ساق الهيثمي حديثاً آخر وقال: «رواه الطبراني في «الصغير والأوسط» وفيه عائشة بنت يونس، ولم أجد مَن ترجمها».

كما أورده الحافظ ابن حجر العسقلاني في «المطالب العالية» ١/٣٧٢ رقم ١٢٥٤ وعزاه لأبي يعلى في «مسنده» قال محقق الكتاب الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي: «فيه حفص القارىء، أورد له البخاري في «الضعفاء» حديثه هذا.

(٢) أورده الذهبي في «ميزان الاعتدال» ٤/٢٦٥، وابن عراق في «تنزيه الشريعة» ٢/١٧٢، وحكم الصغاني بالوضع في «موضوعاته» ص ٤٠ بتحقيقنا، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص ٤٢، والألباني في «السلسلة الضعيفة» ١/٥٦.

(٣) حديث موضوع: انظر تذكرة الموضوعات للفتَّني ٧٥، أحاديث القصاص ٢٠، الأسرار المرفوعة للقارىء ٣٤٤.

[٢٨/أ] وقد احتجَّ أبو محمد المقدسيّ على جواز السَّفر لزيارة/ القبور بأنَّه - ﷺ - كان يزور مسْجد قُباء.

وأجاب عن حديث: «لا تشدّ الرحال»: بأن ذلك محمول على نفْي الإستحباب.

وأمَّا الأوَّلون فإنَّهم يحتجون بما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تُشدُّ الرِّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

وهذا الحديث اتَّفق الأئمة على صحَّته، والعمل به. فلو نذر بشدّ الرحل أن يُصلِّي بمسجد أو بمشهد، أو يعتكف فيه، ويسافر إليه، غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة.

ولو نذر أن يسافر ويأتي إلى المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليه ذلك باتِّفاق العلماء.

ولوْ نذر أنْ يأتي مسجد النبي - ﷺ - أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر، عند مالك، والشافعيّ في أحد قوليه، وأحمد، ولمْ يجبْ عند أبي حنيفة، لأنَّه لا يجب عنده بالنذر إلاَّ ما كان من جنسه واجباً[1].

وأمَّا الجُمهور، فيوجهون الوفاء بكلّ طاعة، كما ثبت في صحيح البخاريّ عن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ النبي - ﷺ - قال: «مَنْ نذر أنْ يطيع الله فليُطعْهُ، ومن نذر أن يعصيه[2] فلا يعصيه[3]».

والسفر إلى المسجديْن طاعة، فلهذا أوجب الوفاء به.

---

(١) في العقود الدرية: ص ٣٥٠: واجباً بالشرع.

(٢) في «الأصل والعقود الدرية»: «أن يُعصي الله» واللَّفظ في البخاري «أن يعصيه» فأثبتنا ما في البخاري لأن المصنف عزاه له.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الإيمان والنذور، باب النذر في الطاعة رقم ٦٦٩٦، وفي باب النذر فيما لا يملك وفي معصية. (فتح الباري ١١/٥٨١ و ٥٨٥).

وأمَّا السفر إلَى بُقعة غير المساجد الثَّلاثة فلمْ يوجِب أحد مِنَ العلماء السَّفر إليه إذا نذره، حتى نصَّ العلماء: أنَّه لا يسافر إلى مسجد قباء، لأنَّه ليس مِنَ الثَّلاثة مع أنَّ مسجد قباء تُستحبّ زيارتُه لمَنْ كان في المدينة، لأنَّ ذلك ليس بشدّ رحال، كما في الحديث الصحيح: «من تطهَّر في بيته ثُمَّ أتى مسجد قباء لا يريد إلَّا الصلاة فيه كان كعمرة»[1].

قالوا: ولأنّ السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصَّالحين بدعة، لمْ يفعلها أحدٌ مِنَ الصَّحابة ولا التَّابعين، ولا أَمر بها رسول الله ـ ﷺ ـ ولا استحبَّ ذلك أحد مِنْ أئمة المسلمين، فمَنِ اعتقد ذلك عبادةً وفعله فهو مخالف للسنّة ولإجماع الأئمّة.

وهذا ممّا ذكره أبو عبدالله ابن بطَّة[2] في «الإبانة الصغرى» مِنَ البدع المخالفة للسنَّة والإجماع

وبهذا يظهر ضعف حجّة أبي محمد[3] لأن زيارة النّبي ـ ﷺ ـ لمسجد قباء لم تكن بشدّ رحل، ولأنَّ السَّفر إليه لا يجب بالنّذر.

وقوله: (لا تُشدّ الرِّحال) محمول على نفي الاستحباب، عنه جوابان.

أحدهما: أنَّ هذا إن سُلِّم فيه، أنَّ هذا/السفر ليس بعمل صالح، ولا [٢٨/ب]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» ٢٥٨/١ كتاب أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء رقم ١٤١٠.

والنسائي في «سننه» ٣٧/٢.

وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» ٢١٧/٢، والمتقي الهندي في «كنز العمال» رقم ٣٤٩٦٣.

(٢) الإمام المحدث الفقيه عبيدالله بن محمد أبو عبدالله العكبري، المتوفى سنة ٣٨٧ هـ وقد رثاه تلميذه ابن شهاب بقصيدة منها هذا البيت المشهور:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إنَّ الزمان بمثله لبخيل

(ابن يعلى ـ طبقات الحنابلة: ١٤٤/٢ ـ ١٥٣، ومختصره للنابلسي ٣٤٦).

(٣) المقدسي. «العقود الدرية» ص: ٣٥١ زاد: «المقدسي».

وهو الإمام الحافظ الجماعيلي عبد الغني بن عبد الواحد الدمشقي الحنبلي، صاحب «الكمال في أسماء الرجال» المتوفى سنة ٦٠٠ هـ. (الذهبي ـ تذكرة الحفاظ: ١٦٠/٤).

قُربة، ولا طاعة، ولا هو مِنَ الحسنات. فإذاً مَنِ اعْتقد أنَّ السَّفر لزيارة قبور الأنبياء والصَّالحين قربة وعبادة وطاعة، فقد خالف الإجماع. وإذا سافر لاعْتقاده أنَّها طاعة كان ذلك محرماً بإجْماع المُسلمين، ومعلوم أنَّ أحداً لا يُسافر إليها إلَّا لذلك.

وأمَّا إذا نذر الرجل أنْ يسافر إليها لغرض مباح فهذا جائز وليس من هذا الباب.

الوجه الثاني: أنَّ الحديث يقتضي النهي، والنَّهي يقتضي التحريم. وما ذكره مِنَ الأحاديث في زيارة قبر النبي ـ ﷺ ـ فكلُّها ضعيفة باتِّفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة لم يرو أحد من أهل السّنن المعتمدة شيئاً منها، بل مالك ـ إمام أهل المدينة الـذين هُمّ أعلمُ الناس بحكم هـذه المسألة ـ كرِه أنْ يقول الرَّجل: زرت قبر النبي ـ ﷺ ـ ولو كان هذا اللَّفظ معروفاً عندهم، أو مشروعاً، أو مأثوراً عن النبي ـ ﷺ ـ لم يكرهُ عالِمُ أهل المدينة.

والإمام أحمد ـ أعلم النَّاس في زمانه بالسُّنة ـ لمّا سُئِل عنْ ذلك لمْ يكن عنده ما يعتمدُ عليه في ذلك مِنَ الأحاديث، إلَّا حديث أبي هريرة: «أنَّ النبي أ ﷺ ـ قال: «ما من رجل يُسلِّم عليّ، إلَّا ردَّ الله عليَّ رُوحي، حتَّى أَرُدَّ عليْه السَّلام»[1]. وعلى هذا اعتمد أبو داود في «سُننه»، وكذلك مالك في «الموطأ».

ورُوي عنْ عبدالله بن عمر: أنَّه كان إذا دخل المسجد قال: السَّلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت. ثمَّ ينصرف.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند ٢/٥٢٧. وأبو داود في «سننه» كتاب المناسك، باب زيارة القبور ٢/٢١٨ رقم ٢٠٤١.

والبيهقي في «السنن الكبرى« ٥/٢٤٥، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/١٦٢ وعزاه للطبراني في الأوسط. وابن حجر في «تلخيص الحبير» ٢/٢٦٧.

ولفظ الجميع «ما من أحد» أما لفظه «ما من رجل» فلم أجدها، وهناك لفظ «ما من مسلم» أورده السيوطي في «الدر المنثور» ١/٢٣٧، والعجلوني «كشف الخفا» ٢/٢٧١.

وفي سُنن أبي داود عن النبي ـ ﷺ ـ أنَّه قال: «لا تتَّخذُوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغُنِي حيْث ما كُنتم»[1].

وفي «سنن سعيد بن منصور»: أنَّ عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يختلف إلى قبْر النَّبي ـ ﷺ ـ فقال له: إنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تَتَّخِذُوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ، فإنَّ صلاتكم تبلُغُنِي حيْث مَا كُنْتُمْ»، فما أنت ورجل بالأندلس منه إلَّا سواء.

وفي الصّحيحين عنِ النَّبي ـ ﷺ ـ أنَّه قال فِي مَرَضِ موْته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2]، يحذر ما فعلوا. قالت عائشة: ولولا ذلك لأُبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

وهم دفنوه في حجرة عائشة، خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء، لئلا يصلي أحد عند قبره، ويتَّخذه/مسجداً، فيتخذ قبره وثناً. [٢٩/أ]

وكان الصَّحابة والتَّابعون ـ لمَّا كانت الحجرة النبويّة مُنفصلة عن المسجد إلى زمن الوليد بن عبد الملك ـ لا يدخل أحد إليه لا لصلاة هناك، ولا تَمسّحَ بالقبر، ولا دعاء هنالك، بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه في المسجد.

وكان السَّلف مِن الصحابة والتَّابعين إذا سلموا عليه، وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة، ولَم يستقبلوا القبر.

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» ٢/٢١٨ كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم ٢٠٤٢.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم ٦٧٢٦، والإمام أحمد في «المسند» ٢/٣٦٧، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٤/٣ وعزاه لأبي يعلى. وابن حجر العسقلاني في «المطالب العالية» ١/٣٧٢، رقم ١٢٥٥ وعزاه لأبي بكر بن أبي شيبة وأبي يعلى.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب المغازي، باب مرض النبي ـ ﷺ ـ ووفاته رقم ٤٤٤١ وما بعده (فتح الباري ٨/١٤٠).
ومسلم في «صحيحه» ١/٣٧٦ كتاب المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة رقم ١٩ فما بعده.

وأمَّا الوقوف للسَّلام عليه:

فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة ـ أيضاً ـ، ولا يستقبل القبر.

قال أكثر الأئمة: بل يستقبل القبر عند السَّلام خاصة، ولمْ يقُل أحد مِن الأئِمَّة أنَّه يستقبل القبر عند الدُّعاء، وليس في ذلك إلَّا حكاية مكذوبة تروى عن مالك، ومذهبه بخلافها.

واتَّفق الأئمة على أنَّه لا يمسّ قبر النبي ـ ﷺ ـ، ولا يقبّله.

وهذا كله محافظة على التَّوحيد، فإن مِن أصول الشّرك بالله ـ تعالى ـ اتخاذُ القبور مساجدَ كما قال طائفة مِن السَّلف في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وقالُوا لا تَذَرُنَّ آلهتكُم ولا تَذَرُنَّ وُدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً﴾[1] قالوا: هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، فلمَّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثمّ صوروا على صورهم تماثيل، ثمَّ طال عليهم الأمد فعبدوها[2].

وقد ذكر هذا المعنى البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس[3]، وذكره محمد بن جرير الطبري وغيره في «التفسير» عن غير واحد مِن السَّلف.

وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع[4].

وأوَّل مَن وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور، هم: أهل البدع مِن الرافضة ونحوهم، الَّذين يعطِّلون المساجد ويعظِّمون المشاهد[5]، التي يُشرك فيها، ويُكذِّب فيها، ويُبتدع فيها دينٌ لمْ

---

(١) سورة نوح/ ٢٣.

(٢) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٣٠٧ـ٣٠٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وَدّاً ولا سُواعاً، رقم ٤٩٢٠ (فتح الباري ٨/٦٦٧).

(٤) ذكر ذلك في كتاب «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» و«اقتضاء الصراط المستقيم»، و«منهاج السنة» وفي مواضع أخرى كثيرة. انظر «مجموع الفتاوى» ٢٧/٢٥ـ٣٥، ١٣٩، ٣٤٢ـ٣٨٥ وغالب هذا الجزء تناول تفاصيل هذه المسألة.

(٥) في العقود ص ٣٥٥: «يدعون بيوت الله التي أمر أن يُذكر فيها اسمه، ويُعبد وحده لا شريك له».

يُنزِّل الله به سلطاناً. فإنَّ الكتاب والسنَّة إنَّما فيه ذكر المساجد دون المشاهد، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيْمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وادْعُوه مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إنَّما يَعْمرُ مساجدَ الله مَنْ آمنَ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وأَنَّ المساجدَ للَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدَاً﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظلَمُ ممَّنْ مَنَعَ مساجدَ اللَّهِ أنْ يُذكَرَ فِيهَا اسمُه﴾[4].

وقد ثبت عنه في الصحيح، أنَّه كان يقول: «إنَّ مَن كان/قبلكم كانوا [٢٩/ب] يتخذون القبور مساجد، [ألا فلا تتخذوا القبور مساجد][5] فإني أنهاكم عن ذلك»[6]. هذا آخر ما أجاب به شيخ الإسلام ابن تيمية. والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام مُتقدِّم، أقدم مِن هذا الجواب المذكور، وفيه ما هو أبلغ مِن هذا الجواب ـ كما أشار إليه في الجواب ـ.

ولمَّا ظفروا في دمشق بجوابه هذا كتبوه، وبعثوا به إلى الدِّيار المصرية، وكتب عليه قاضي الشَّافعية: قابلت الجواب عن هذا السّؤال المكتوب على خطِّ ابن تيمية فصحّ، إلى أن قال: وإنما المخز[7] جعله زيارة قبر النبي ﷺ ـ وقبور الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ معصيةً بالإجماع مقطوعاً بها.

---

(١) سورة الأعراف/ ٢٩.
(٢) سورة التوبة/ ١٨.
(٣) سورة الجن/ ١٨.
(٤) سورة البقرة/١١٤.
(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل. وهي ثابتة في «العقود الدرية» ص ٣٥٦ وفي «صحيح مسلم»: ١/ ٣٧٨.
(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» ١/ ٣٧٨ كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم ٥٣٢ وهو جزء من حديث طويل.
(٧) في العقود ص ٣٥٧: «وإنما المحرّف».

هذا كلامه فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الإسلام!!

والجواب ليس فيه المنع مِن زيارة قُبور الأنبياء والصالحينَ، وإنما فيه ذكر قولَيْن في شَدِّ الرَّحْلِ، والسَّفر إلى مُجرَّدِ زيارة القبور، وزيارة مِنْ غير شَدِّ رحل إليها مسألة، وشدُّ الرَّحل لمجرَّد الزيارة مسألة أخرى.

والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عنْ شدٍّ، بل يستحبُّها، ويندُبُ إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك. ولم يتعرَّض الشيخ إلى هذه الزيارة في الفتيا، لأَنَّ السائل لم يسأل عنها، ولا قال أنَّها معصية، ولا حكى الإجماع على المنع منها، لأنَّ العامة - فضلاً عن العلماء - يعرفون أنَّ زيارة القبور سنَّة، فكيف يظنُّ الجْهل بذلك ممّن سلم له الإجتهاد المطلقُ، والله - سبحانه - لا تَخْفَى عليه خافية.

ولمَّا وصل خطّ القاضي المذكور إلى الدِّيار المصرية، كثر الكلام وعظمت الفتنة، وطلب القضاة بها، فاجتمعوا وتكلَّموا، وأشار بعضهم بحبس الشيخ، فرسم السلطان به. وجرى ما تقدَّم ذكره، ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية، لا يمكن ذكرها في هذا الموضع[1].

---

(١) ابن تيمية - مجموع الفتاوى: ٢٧/١٩٢ - ١٩٣، ابن عبد الهادي - العقود الدرية: ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

ذكرُ انتصار علماء بغداد للشيخ

قالوا: لمَّا وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد قاموا في الانتصار له وكتبوا بموافقته.

قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة[1]: ورأيت خطوطهم بذلك وينبغي ذكر شيء منها هنا.

هذا صورة جواب الشيخ الإمام العلاَّمة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبد السَّلام بن السَّبتيّ الحنبلي، ومِنْ خَطِّه نقل.[2].

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، بعد حمد الله، الذي هو فاتحة كل كلام، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، أعلام الهدى ومصابيح الظلام، يقول أفقر عباد الله وأحوجهم إلى عفوه ما حكاه ـ الشيخ الإمام، البارع الهمام، افتخار الأنام، جمال الإسلام، ركن الشريعة، ناصر السنّة، /قامع البدعة، جامع أشتات الفضائل، [٣٠/أ] قدوة العلماء الأماثل ـ في هذا الجواب من أقوال العلماء والأئمة النبلاء بيّن لا يُدفع، ومكشوف لا يُتقنّع، بل أوضح مِن النَّيِّرَيْنِ، وأظهر مِنْ فرق الصبح لذي عينين.

والعمدة في هذه المسألة: الحديث المتّفق على صحّته، ومنشأ

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٥٨.
(٢) المصدر السابق: ص ٣٦٥، ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٢٧/ ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

الخلاف بين العلماء مِن احتمالَيْ صيغته.

وذلك أنَّ صيغة قوله ـ ﷺ ـ : «لا تشدّ الرحال» ذات وجهين نفي ونهي، لاحتمالها لهما فإن لُحظ معنى النَّفي فمعناه: نفي فضيلة واستحباب شدّ الرّحل، وإعمال المطيّ إلى غير المساجد الثلاثة ويتعيَّن توجّه النّفي إلى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما. وإلاَّ لزم تخلُّف الخبر، ولا يلزم مِن نفي الفضيلة والاستحباب نفي الإباحة. فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السَّفر، بالنَّظر إلى أنَّ هذه الصيغة نفي، وبنى على ذلك جواز القصر.

وإنْ كان النَّهي ملحوظاً، فالمعنى حينئذٍ نهيه عن إعمال المطيّ، وشدِّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، إذ المقرر عند عامة الأصوليين: أنَّ النهي عن الشيء قاض بتحريمه، أو كراهته على حسب الأدلَّة، فهذا وجه متمسّك مَن قال بعدم جواز القصر في هذا السَّفر، لِكَوْنه منهياً عنه.

وممّن قال بحُرمته: الشيخ الإمام أبو محمد الجويني من الشافعية، والشيخ الإمام أبو الوفاء بن عقيل مِن الحنابلة، وهو الذي أشار إليه القاضي عياض مِن المالكية إلى اختياره.

وما جاء مِن الأحاديث في استحباب زيارة القبور، فمحمولة على ما لَمْ يكن فيه شدّ رحل وأعمال مطيّ، جمعاً بينها.

ويحتمل أن يقال: لا يصلح أن يكون غير حديث (الرِّحال) مُعارضاً له، لعدم مساواته إياه في الدرجة، لكونه مِن أعلى أقسام الصحيح، والله تعالى أعلم.

وقد [بلغني][1] أنَّه رزىء وضيّق على المجيب، وهذا أمر يحار فيه اللّبيب، ويتعجب منه الأريب، ويقع به في شك مُريب.

فإنَّ جوابه في هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء، وليس حاكماً

(١) في «الأصل»: «بلغ»، والتصويب من «مجموع الفتاوى» ٢٧/٢٠٢ و«العقود الدرية» ص ٣٦٧.

بالغضّ مِن الصَّالحين والأنبياء. فإنَّ الأخذ بمُقتضى كلامه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في الحديث المتَّفق على رفعه إليه: هو الغاية القُصوى في تتّبع أوامره ونواهيه، والعُدول عنْ ذلك محذور، وذلك ممَّا لا مِرية فيه.

وإذا كان كذلك/فأيّ حرج على مَن سئل عن مسألة فذكر فيها خلاف [٣٠/ب] الفقهاء، ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء؟ فإن الأمر لمْ يزل كذلك على ممر العصور، وتعاقب الدهور.

وهل ذلك محمول مِنَ القادح إلَّا على امتطاء نضو الهوى المفضي بصاحبه إلى النوى. فإن مَن يقتبس من فوائده، ويلتقط مِن فرائده لحقيق بالتعظيم، وخليق بالتكريم. ممّن له الفهم السَّليم، والذهْن المستقيم. وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر إلَّا كما قيل في المثل السائر «الشعير يؤكل ويذم» ولولا خشية الملالة، لما سئمت مِن الإطالة[١].

وكتب تحته الإمام صفي الدين[٢] بن عبد الحق الحنبلي:[٣]

الحمدلله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد، وعلى آله الطَّاهرين، ما ذكره مولانا الإمام العالِم العامِل، جامع الفضائل، بحر العلم ومنشأ الفضل، جمال الدين، الكاتب خطّه أمام خطي هذا، جمّل الله به الإسلام، وأسبغ عليه سوابغ الإنعام، أتى فيه بالحقّ الجليّ الواضح، وأعرض فيه عن أغضاء المسامح، إذ السؤال والجواب اللّذان تقدماه لا يخْفى على ذي فِطنة وعقل، أنَّه أتى في الجواب بالمطابق للسؤال بحكاية أقوال العلماء الذين تقدَّموه، ولمْ يبق عليه في ذلك إلَّا أن يعترضه معترض

---

(١) في مجموع الفتاوى: ٢٠٤/٢٧، والعقود الدرية: ص ٣٦٨: «نكبت».

(٢) في المصدرين السابقين: (عبد المؤمن) وكلاهما صحيح. فالمصنف ذكر لقبه، وهما ذكرا اسمه.

(٣) عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي، عالم بغداد في وقته، وكان يضرب به المثل في معرفة الفرائض. وهو صاحب «مراصد الإطلاع في الأمكنة والبقاع» وغيره من المصنفات النافعة، توفي سنة ٧٣٩ هـ. (ابن حجر ـ الدرر الكامنة: ٤١٨/٢، العزاوي ـ تاريخ العراق: ٣١/٢، السلامي ـ تاريخ علماء بغداد: ١٢٢).

في نقله فيبرزه له مِن كتب العلماء، الذين حكى أقوالهم.

والمتعرض له بالتَّشنيع إما جاهل لا يعلم ما يقول، أو متجاهل يحمله حسده، وحمية الجاهلية على ردّ ما هو عند العلماء مقبول. أعاذنا الله - تعالى - مِن غوائل الحسد، وعصمنا مِن مخائل النَّكد بمحمد وآله الطاهرين.

جواب آخر لعلماء الشافعية.

قال - بعد البسملة والحمدلة:

لا ريْب أنَّ المملوك وقف على ما سأله - الشيخ الإمام العالم العلاَّمة، وحيد دهره وفريد عصره، تقيّ الدِّين أبو العباس بن تيمية - وما أجاب به.

فوجدته خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب، حسب ما اقتضاه الحال مِن نقْله الصَّحيح، وما أدَّى إليه البحث مِن الإلزام والإلتزام لا يداخله تحامل، ولا يعْتريه تجاهلٌ، وليس فيه - والعياذ بالله - ما يقتضي الإزراء والتنقيص بمنزلة الرسول - ﷺ - وكيف يجوز للعلماء أنْ تحملهم العصبية أنْ يتفوَّهوا بالإزراء/ والتنقيص في حقّ الرسول - عليه السلام - . [٣١/أ]

وَهل يجوز أنْ يتصور متصور أنَّ زيارة قبر النبي - ﷺ - تزيد في قدره، وهل تركها ممَّا ينقص مِن تعظيمه؟ حاشا للرسول مِن ذلك.

نَعَم لو ذكر ذلك ذاكرٌ ابتداء، وكان هناك قرائن تدلُّ على الإزراء والتنقيص أمكن حمله على ذلك، مع أنَّه كان يكون كناية لا صريحاً، فكيف وقد قاله في معرض السؤال وطريق البحث والجدال؟ مع أنَّ المفهوم مِن كلام العلماء، وأنظار العقلاء: أنَّ الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردها، حتَّى أنَّه لو حلف: أنَّه يأتي بعبادة أو طاعة لمْ يبرّ بها.

لكنْ القاضي ابن كجّ[1] مِن متأخري أصحابنا ذكر أنَّ هذه الزيارة عنده

---

(١) يوسف بن أحمد أبو القاسم الدينوري، فقيه شافعي كبير، كان يضرب به المثل في حفظه لمذهب الشافعي، وله وجه فيه، صاحب مصنفات نافعة، توفي سنة ٤٠٥ هـ. (السبكي - طبقات الشافعية: ٢/ ٢٩، اليافعي - مرآة الجنان: ٣/ ١٢).

قربة، تلزم ناذرها. وهو منفرد به لا يساعده في ذلك نقل صريح، ولا قياس صحيح.

والذي يقتضيه مطلق الخبر النّبوي في قوله ـ عليه السلام ـ : «لا تشدّ الرحال. . . » إلى آخره: أنَّه لا يجوز شدّ الرحال إلى غير ما ذكر، فمن اعتقد جواز الشد إلى غير ما ذكر، أو وجوبه، أو ندبيّته كان مخالفاً لصريح النَّهي، ومخالفة النَّهي معصية.

حرره ابن الكتبي الشافعي[1] حامداً لله على نعمه[2].

جواب آخر لعلماء المالكية:

قال: ما أجاب به الشيخ الأوحد الأجلّ، بقية السَّلف، وقدوة الخلف، رئيس المحقِّقين، وخلاصة المدقِّقين، تقي الملَّة والحقّ والدّين، أمر الخلاف في هذه المسألة صحيح منقول في غير ما كتاب مِن كتب أهل العلم، لا اعتراض عليه في ذلك.

إذ ليس في ذلك ثلب لرسول الله ـ ﷺ ـ ولا غض من قدره ـ ﷺ ـ وقدْ نصَّ الشيخ أبو محمد الجُويني في كتبه: على تحريم السفر لزيارة القبور.

وهو اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى بن عياض في «إكماله» وهو أفضل المتأخرين مِن أصحابنا. ومِن «المدونة»:

«ومَن قال على المشي إلى المدينة أو بيت المقدس فلا يأتيهما أصلاً إلاَّ أن يريد الصلاة في مسجديهما فليأتهما فلم يجعل نذر زيارة قبره طاعة يجب

---

(١) محمد بن شاكر صلاح الدين الدمشقي، الإمام المؤرخ الأديب، صاحب «فوات الوفيات» و«عيون التواريخ» توفي سنة ٧٦٤ هـ. (ابن كثير ـ البداية والنهاية: ٣٠٣/١٤، ابن حجر ـ الدرر الكامنة: ٤٥١/٣).

(٢) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ١٩٤/٢٧ ـ ١٩٦، ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٥٨ ـ ٣٦١.

الوفاء بها إذ مِن أصلنا: أنّ مَنْ نذر طاعة لزمه الوفاء بها أكان[1] مِن جنسها ما هو واجب بالشَّرع كما هو مذهب أبي حنيفة. أو لم يكن».

قال القاضي أبو إسحق إسماعيل بن إسحق[2] عقيب هذه المسألة: لولا الصلاة فيهما لما لزم إتيانهما ولو كان نذر زيارة طاعة لزمه ذلك.

وقد ذكر ذلك القيرواني[3] في «تقريبه» والشيخ ابن بشير[4] في[5] «تنبيهه».

وفي «المبسوط» قال مالك: «ومَن نذر المشْي إلى مسجد من المساجد ليصلِّي فيه، قال: فإني أكره ذلك له لقوله ـ ﷺ ـ: «لا يعمل المطي إلَّا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس ومسجدي هذا»[6]، وروى محمد بن المواز في «الموازية» عنه: «إلَّا أن يكون قريباً فيلزم الوفاء لأنَّه ليس بشدِّ رحل».

وقد قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر في كتاب «التمهيد»: يُحرّم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجدَ.

وحيث تقرَّر هذا فلا يجوز أن يُنسب مَن أجاب في هذه المسألة بأنَّه

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٧/١٩٨ و«العقود الدرية» ص ٣٦٢: «كان».

(٢) الجهضمي الأزدي، جده الثاني «حماد بن زيد» وهو من كبار فقهاء المذهب المالكي، جليل التصانيف، وكان بيت آل حماد بن زيد من أجل بيوت العلم في العراق، وهم نشروا مذهب الإمام مالك هناك. تردد العلم في طبقاتهم وبينهم نحو ٣٠٠ عام. توفي سنة ٢٨٢ هـ. (الخطيب ـ تاريخ بغداد: ٦/٢٨٤ ـ ابن فرحون ـ الديباج المذهب ٩٢).

(٣) عبدالله بن أبي زيد أبو محمد المالكي، ويقال له: مالك الصغير. الإمام القدوة الفقيه، عالم أهل المغرب، وكان مع عظمته في العلم والعمل ذا بر وإيثار وإنفاق على الطلبة وإحسان. قال الذهبي: «وكان ـ رحمه الله ـ على طريقة السلف في الأصول، لا يدري الكلام ولا يتأول». (الذهبي ـ سير النبلاء: ١٧/١٠ ـ ١٢ الشيرازي ـ طبقات الفقهاء: ١٣٥).

(٤) في «مجموع الفتاوى» ٢٧/١٩٨ و«العقود الدرية» ص ٣٦٣: «ابن سيرين».

(٥) محمد بن سعيد المعافري الأندلسي القاضي، وكان يضرب المثل بعدله، توفي سنة ١٩٨ هـ. (المقري ـ نفح الطيب. ١/٣٩٥).

(٦) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في «المصنف» رقم ٩١٦٢.

سفر منهيٌّ عنه إلى الكفر. فمن كفره بذلك من غير موجب فإن كان مستبيحاً ذلك فهو كافر وإلَّا فهو فاسق.

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن علي المازري[1] في «كتاب المُعْلِم»: مَن كفر أحداً مِن أهل القبلة فإن كان مُستبيحاً لذلك فقد كفر، وإلَّا فهو فاسق يجب على الحاكم إذا رُفع أمره إليه أَنْ يُؤدبه، أو يُعزره بما (يكون رادعاً)[2] /لأمثاله. فإن ترك ذلك مع القُدرة عليه فهو آثمٌ. والله تعالى أعلم. [٣١/ب]

كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة الشريفة المستنصرية.

جوابٌ آخر لبعض علماء الشام المالكية:

قال: السَّفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع.

وأمَّا مَن سافر إلى مسجد النبي - ﷺ - ليُصلِّي ويسلم على النَّبي - ﷺ - وعلى صاحبيْه - رضي الله عنهما - فمشروع باتفاق العلماء.

وأما لوْ قصد إعمال المطيّ لزيارته - ﷺ - ولمْ يقصد الصلاة فهذا السَّفر إذا ذكر رجل فيه خلافاً للعلماء، وأنَّ منهم من قال: أنَّه منهيّ عنه.

ومنهم مَن قال: أنَّه مباح.

وأنَّه على القولين ليس بطاعة ولا قُربة. فمَن جعله طاعة وقربة على مقتضى هذين القولين كان حراماً بالإجماع وذكر حجَّة كلّ منهما، أو رجَّح أحد القولين لا يلزمه ما يلزم مَن تنقص. إذ لا نقص في ذلك ولا إزراء بالنَّبي - ﷺ - .

---

(١) أبو عبدالله التميمي، محدث من كبار فقهاء المالكية، وكتابه «المعلم بفوائد مسلم» علق به على صحيح مسلم حين قراءته عليه. توفي سنة ٥٣٦ هـ. (ابن خلكان - وفيات الأعيان: ٤٨٦/١، ابن فهد المكي - لحظ الألحاظ ٧٣، المقري - أزهار الرياض: ١٦٥/٣).

(٢) ساقطة من «الأصل» واستدركناها من «مجموع الفتاوى»: ١٩٩/٢٧، و«العقود الدرية»: ص ٣٦٣.

وقد قال مالك ـ رحمه الله ـ لسائل سأله (أنه)[1] نَذَرَ أن يأتي قبر النبي ـ ﷺ ـ؟.

فقال: إن كان أراد مسجد النبي ـ ﷺ ـ فليأته وليصلّ فيه، وإن كان أراد القبر فلا يفعل للحديث الذي جاء (لا تعمد المطي إلاَّ إلى ثلاثة مساجد) والله أعلم.

كتبه أبو عمر وابن أبي الوليد المالكي.

---

(١) في «الأصل» (إذا) والتصويب من «مجموع الفتاوى» ٢٧/٢٠٦، و «العقود الدرية» ص ٣٧٠.

كُتُبُ علماءِ بغداد للملك الناصر

وورد مع أجوبة أهل بغداد كتاب وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ناصر الملَّة الإسلامية ومعزّ الشريعة المحمدية بدوام أيام الدَّولة المباركة السلطانيّة الملكية المالكيّة الناصريّة ألبسها الله تعالى لباس الحسن المقرون بالدَّوام، وحلَّاها بحلية النّصر المستمر بمرور اللّيالي والأيام، والصَّلاة والسلام على النّبي المبْعوث إلى جميع الأنام، وعلى آله البررة الكرام.

اللّهم إنَّ بابك لم يزلْ مفتوحاً للسَّائلين ورفدك ما برح مبذولاً للوافدين. مَن عوّدته مسألتك وحدك، لم يسأل أحداً سواك، ومن منحته منائح رفدك، لمْ يفد على غيرك ولمْ يحتم إلَّا بحماك. أنت الربّ العظيم الكريم الأكرم باب غيرك على عبادك مجرم. أنت الذي لا إلّه غيرك ولا معبود سواك عزَّ جارك وجل ثناؤك وتقدَّست أسماؤك. لم تزل سنتك في خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبابك تفضلاً منك عليهم، وإحساناً مِنْ لدُنْكَ إليهم /ليزدادوا لك في جميع الحالات ذكراً، ولأنعمك[1] في جميع التقلبات [٣٢/أ] شكراً. ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴿وتلكَ الأمْثالُ نضْربهَا للنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُها وإلَّا العَالِـمُون﴾[2].

---

(١) في «مجموع الفتاوى»: ٢٧/٢٠٧، و«العقود الدرية»: ص ٣٧١: «ولأنعامك».

(٢) سورة العنكبوت/ ٤٣.

اللّهم وأنت العالِم الذي لا يُعلم[1]، والكريم الذي لا يبخُلُ قد علمت يا عالِم السرِّ والعلانية أنَّ قلوبنا لم تزل برفع[2] إخلاص الدُّعاء صادقة، وألسنتنا في حالتي السرّ والعلانية ناطقةً أن تسعفنا بإمداد هذه الدولة المباركة الميمونة السلطانية الناصرية بمزيد العُلا والرفعة والتمكين، وأن تحقق آمالنا فيها بإعلاء الكلمة. «ففي ذلك رفع»[3] قواعد دعائم الدِّين وقَمْع مكائد المُلحدين لأنَّها الدولة التي بَرئت مِن خشيان الجنف والحيف، وسلمت مِن طغيان القلم والسَّيف.

والذي عهده المسلمون وتعوده المؤمنون مِن المراحم الكريمة والعواطف الرحيمة: إكرام أهل الدين وإعظام علماء المسلمين والذي حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة إلى الحضرة الشريفة وإن كانت لم تزل مرفوعة إلى الله ـ سبحانه ـ بالنيَّة الصَّحيحة قوله ـ ﷺ ـ : «الدّين النّصيحة» قيل: لِمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامتهم»[4].

وقوله ـ ﷺ ـ : «الأعمال بالنيّات»[5] وهذان الحديثان المشهوران بالصحّة مستفيضان في الأمّة.

ثُم إنَّ هذا الشيخ المعظم الجليل، والإمام المكرم النّبيل أوحد الدّهر، وفريد العصر، طراز المملكة الملكيّة، وعلم الدولة السّلطانية، لو أقسم مقسمٌ بالله العظيم القدير أنَّ هذا الكبير ليس في عصره مماثل ولا نظير لكانت يمينه برّة غنيّة عن التفكير. وقد خلت من وجود مثله السَّبْعُ الأقاليم إلاّ هذا

---

(١) في المصدرين السابقين: «لا تُعلم».

(٢) في المصدرين السابقين: «ترفع».

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٠٧/٢٧، و«العقود الدرية» ص ٣٧١: «في ذلك، برفع».

(٤) أخرجه البخاري تعليقاً، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ ـ الدين النصيحة. (فتح الباري: ١٣٧/١).
ومسلم ٧٤/١، كتاب الإيمان، باب ان الدين النصيحة، رقم ٩٥.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (فتح الباري ٩/١).
ومسلم ١٥١٥/٣، كتاب الإمارة، باب «إنما الأعمال بالنية» رقم ١٥٥.

الإقليم يوافق على ذلك كل مُنْصِف جُبل على الطَّبع السليم. ولسنا[1] بالثناء عليه نطريه[2]، بل أطنب مُطنب في مدحه والثناء عليه لَمَا أتى على بعْض الفضائل الَّتِي (هي)[3] فيه.

أحمد بن تيمية درة يتيمة يُتنافس فيها، تُشترى ولا تُباع، ليس في خزائن الملوك درَّة تُماثلها وتُؤاخيها، انقطعت عن وجود مثله الأطماع.

لقد أصمّ الأسماع، وأوهى قُوى المتبوعين والأتباع: سماع رفع أبي العبّاس أحمد بن تيمية إلى القلاع.

وليس يقع من مثله أمر يُنقم منه عليه إلَّا أن[4] يكون أمراً قد لبس عليه، /ونسب إلى ما لا[5] يَنسب مثله إليه. [٣٢/ب]

والتطويل على الحضرة العالية، لا يليق، إن يكن في الدنيا قُطب فهو القطب على التحقيق. وقد نصب الله السلطان ـ أعلى الله شأنه ـ في هذا الزمان منصب يوسف الصديق (صلى الله على نبينا وعليه)[6] لمَّا صرف الله وجوه أهل البلاد إليه حيث أمحلت البلاد، واحتاج أهلها إلى القوت المدّخر لديه، والحاجة بالنَّاس الآن إلى قوت الأرواح الرُّوحانية أعظم مِن حاجتهم في ذلك الزَّمان إلى طعم الجثث الجثمانية. وأقوات الأرواح المُشار إليها لإخفاء أنَّها العلوم الشريفة والمعاني اللَّطيفة.

وقد كانت في بلاد المملكة السلطانية ـ حرسها الله تعالى ـ تكال إلينا جزافاً بغير أثمان، منحة (عظيمة)[7] مِن الله للسلطان، ونعمة جسيمة. إذ

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٧/٢٠٩، و«العقود الدرية» ص ٣٧٣: «ولسنت».
(٢) في المصدرين السابقين: «أُطريه».
(٣) ما بين القوسين من المصدرين السابقين.
(٤) في المصدرين السابقين: «أنه».
(٥) في «مجموع الفتاوى» ٢٧/٢٠٩: «إلَّا ما نُسِب» وهو خطأ.
(٦) الزيادة من المصدرين السابقين.
(٧) الزيادة من «مجموع الفتاوى» ٢٧/٢١٠، و«العقود الدرية» ص ٣٧٤.

خصّ بلاد مملكته، وإقليم دولته، بما لا يُوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان وقد كان وفد الوافدون مِن سائر الأمصار، فوجدوا صاحب صواع المِلِك قد رُفع إلى القلاع. ومثل هذه الميرة لا تُوجد في غير تلك البلاد لتُشترى أو تُباع. وصادف[1] ذلك جَدْب الأرض ونواحيها، جدباً أعطب أهاليها، حتى صاروا مِن شدَّة حاجتهم إلى الأقوات كالأموات، والذي عرض للملك بالتَّضييق على صاحب صواعه، مع شدَّة الحاجة إلى غذاء الأرواح، لعلَّه لم يتحقَّق عنده أنَّ هذا الإمام مِن أكابر الأولياء، وأعيان أهل الصلاح، وهذه نزغة من نزغات الشيطان. قال الله سبحانه ﴿وقُلْ لِعبادي يَقُولُوا التِي هي أحسنُ إنَّ الشيطانَ ينزغُ بينهُم إنَّ الشيطانَ كانَ للإنسانِ عدوّاً مبيناً﴾[2].

وأمَّا إزراء بعض العلماء عليه في فتواه وجوابه عن مسألة شدّ الرّحال إلى زيارة القبور فقد حمل جواب علماء هذه البلاد إلى نظرائهم من العلماء وقرنائهم مِن الفضلاء، وكلُّهم أفتى: أنَّ الصواب في الذي به أجاب.

والظاهر بين الأنام. أنَّ إكرام هذا الإمام ومعاملته بالتبجيل والاحترام فيه من قوام الملك، ونظام الدولة، وإعزاز الملة واستجلاب الدعاء وكبت الأعداء وإذلال أهل البدع والأهواء، وإحياء الأُمَّة، وكشف الغمّة، ووفور الأجر، وعُلوّ الذِّكر، ورفع البأس، ونفع الناس. ولسان حال المسلمين تالي قول الكبير المتعالي: ﴿فلمَّا دَخَلُوا عليْه قالوا: يَا أَيُّها العزيزُ مسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ وجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وتصدَّقْ علينَا إنَّ اللَّهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِيْنَ﴾[3]/. [٣٣/أ]

والبضاعةُ المزجاةُ هي هذه الأوراق المرقومة بالأقلام، والميرة المطلوبة: الإفراج عن شيخ الإسلام. والذي حمل على هذا الإقدام قوله عليه السلام: «الدِّين النَّصيحة». والسَّلام.

---

(١) في المصدرين السابقين: «فصادف».
(٢) سورة الإسراء/ ٥٣.
(٣) سورة يوسف/ ٨٨.

كتاب آخر لعلماء بغداد

وفيه بعد البسملة والحمدلة:

اللَّهم فكما أيدت ملوك الإسلام ولاة الأمر بالقوة والقهر وَشَيَّدت لهم ذكراً وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذخراً وللمكسور العائذ بأكناف بابهم جبراً. فاشدد اللَّهم منهم بحُسن معونتك لهم أزراً، وأعل لهم مجداً[1] وارفع لهم[2] قدراً. وزدهم عزاً وعلى أعدائهم نصراً، وامنحهم توفيقاً مسدداً وتمكيناً مستمراً.

وبعد فإنَّه لمَّا قرع أسماع أهل البلاد الشّرقية والنّواحي العراقيّة التضّييق على شيخ الإسلام «أبي العبَّاس تقي الدِّين أحمد بن تيمية» سلّمه الله، عظم ذلك على المسلمين وشقّ على ذوي الدّين، وارتفعت رؤوس المُلحدين، وطابت نفوسُ أهل الأهواءِ والمُبتدعين. ولما رأى علماء هذه الناحية عظم هذه النازلة مِن شماتة أصحاب البِدع، وأهل الأهواء بأكابر الأفاضل، وأئمَّة العلماء، أنهوا حال هذا الأمر الفظيع والحال الشَّنيع، إلى الحضرة الشريفة السلطانية زادها الله شرفاً وكتبوا أجوبتهم في تصويب ما أجاب به الشيخ - سلَّمه الله - في فتاويه، وذكروا مِن علمه وفضائله بعض ما هو فيه وحملوا ذلك إلى بين يدي مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره غيرة منهم على هذا الدين، ونصيحة للإسلام والمسلمين، والآراء المولوية العالية أولى بالتقديم لأنها ممنوحة بالهداية إلى الصراط المستقيم.

قلت: والظاهر أنَّ هذه الكتب لَمْ تصل للسلّطان الملك الناصّر، إمَّا لعدم مَن يُوصلها، أو لِمَوت الشيخ قبل وصولها، وإلاَّ لظهر لها نتيجة[3].

---

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢١٢/٢٧، و«العقود الدرية» ص ٣٧٦: «جداً».

(٢) ساقطة من الكتابين السابقين.

(٣) هذه الكتب الكريمة التي أرسلها جهابذة علماء بغداد والشام ستبقى وثائق جليلة ذات أثر غائر في قلب كلّ مَنْ يطّلع عليها. فهي وإنْ حِيْلَ بينها وبين وصولها لسلطان المسلمين، فإنَّها =

ولم أقف على ذلك. وهذه الأجوبة والكتب وصلت كلّها إلى دمشق.

ثُم إنَّ الشيخ ـ رحمه الله ـ استمر مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً إلى أن تُوفّي[1].

وما زال في تلك المُدَّة مُعَظَّماً مكرَّماً، يكرمه نقيب القلعة ونائبها إكراماً كثيراً، ويستعرضان حوائجه، ويبالغان في قضائها.

= صفحات مشرقة من مناصرة علماء المسلمين لبعضهم البعض. وتبيانهم للحق وذودهم عنه.

وذب المسلم عن أخيه أمر حضّ عليه الشارع، وحذَّر من عاقبة تخذيله. فعن جابر بن عبدالله وأبي طلحة الأنصاريين عن النبي ـ ﷺ ـ أنّه قال: «ما من امرء يخذل امرءاً مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلاَّ خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرء ينصر امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وتنتهك فيه حرمته إلاَّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته». أخرجه أبو داود ٢٧١/٤، وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم ٢٤٣ بإسناد حسن، وفي «كتاب الغيبة» ٩أ.

وعن أبي الدرداء، عن النبي ـ ﷺ ـ : «من ردّ عن عرض أخيه بالمغيبة، كان حقاً على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة». أخرجه الترمذي ٣٢٧/٤ وقال: «هذا حديث حسن» وأحمد في «المسند» ٤٤٩/٦، وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم ٢٤٠ بإسناد حسن، والطبراني في «مكارم الأخلاق» ص ٨٧ رقم ١٣٤، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٦٨/٨.

بل ذهب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى أنَّ السُّكوتَ في مثل هذه الحالة يعرضُ الساكتَ للمساءَلة يوم القيامة. يقول عمر:

«ما منعكم إذا رأيتم السفيه يخرق أعراض الناس أن تعرّبوا عليه؟».

ـ والتَّعريب: تقبيح قول القائل، والرد عليه ـ قالوا: نخاف لسانه. قال: «ذلك أدنى أنْ لا تكونوا شهداء». أخرجه عبدالله بن وهب في «الجامع» ص ٥٩ وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم ٢٤٧ بإسناد صحيح. وفي «كتاب الغيبة» ٩ ب. وأورده الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ٥٤٥/٧.

(١) وقد تقدم فيّ أول «ذكر حبس الشيخ بقلعة دمشق إلى أن مات بها» ص ٣٨ إنَّ الفتنة التي حبس بسببها، وهي مسألة «شد الرحال» كان سنة ٧٢٦ هـ. فعلى هذا تكون الرواية الواردة في «رحلة ابن بطوطة» باطلة، والتي فيها أنَّه وصل دمشق يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٧٢٦ هـ، مع أنَّ شيخ الإسلام أدخل سجن القلعة أوائل شهر شعبان من هذا العام. واستمر فيه حتى توفاه الله، وقد دخل «سجن القلعة» بالتحديد يوم الإثنين بعد العصر، السادس من شعبان «انظر ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٤٥ وقد دحض العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار هذه الفرية المذكورة في «رحلة ابن بطوطة» والمروية على لسانه ومشاهداته، وفصَّلَ فيها القول «ارجع إلى محمد بهجة البيطار ـ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٦ ـ ٤٤».

وما برح في هذه المدة/مكباً على العبادة والتّلاوة، وتصنيف الكتب، [٣٣/ب] والردّ على المُخالفين.

وكتب على تفسير القرآن جملة كثيرة تشتمل على نفائس جليلة، ونكت دقيقة، ومعان لطيفة. وبيّن في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلق مِن علماء أهل التفسير.

وكتب في المسألة التي حُبس بسببها عدَّة مجلدات منها: كتاب في الردّ على «الأخنائي» قاضي المالكية. ومنها: كتاب كبير حافل في الردّ على بعض قضاة الشافعية وأشياء كثيرة في هذا المعنى.

وكان ما صنَّفه هذه المدة قد خرج بعضه من عنده، وكتبه بعض أصحابه، وظهر واشتهر.

فلمّا كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسومٌ بإخراج ما عنده كله، ولم يبق عنده كتاب ولا ورقة ولا دواة ولا قلم.

وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه كتبها بفحم. ولما أُخرج ما عنده ـ من الكتب والأوراق حمل إلى القاضي علاء الدين القونوي[1] وجعل تحت يده في المدرسة العادلية.

---

(١) علي بن إسماعيل بن يوسف الفقيه الشافعي، ولي قضاء الشام، وله تصانيف توفي سنة ٧٢٩ هـ. (ابن كثير ـ البداية والنهاية: ١٤/١٤٧، السيوطي ـ بغية الوعاة: ٣٢٩).

فصلٌ في ذكر وفاة الشيّخ ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ

قال أهل التاريخ: كان مولد الشيخ ابن تيمية يوم الإثنين عاشر ربيع الأول بحرّان سنة إحدى وستين وستمائة. وكانت وفاته ليلة الإثنين العشرين مِن ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

ولمّا أخرجت كتبه مِن عنده أقبل ـ بعد إخراجها ـ على العبادة والتّلاوة والذّكر والتهجّد حتى أتاه اليقين(١).

وكان يختم القرآن في كل عشرة أيام. وختم القرآن مدّة إقامته بالقلعة إحدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمه إلى آخر «اقتربت» ﴿إنَّ المتّقينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عنْد مَلِيْكٍ مُقْتَدِرْ﴾(٢) ثم كملت عليه بعد وفاته، وهو مُسجًّى.

وكانت مُدَّة مرضه بضعة وعشرين يوماً وكان إذ ذاك الملك شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة. فلمّا علم بمرضه إستأذن في الدخول عليه لعيادته فأذن الشيخ له في ذلك. فلمّا جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه ويلتمس منه أن يُحلِّله ممّا عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو غيره. فأجابه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ:

إنّي قد أحللتك، وجميع مَن عاداني وهو لا يعلمُ أنّي على الحقّ.

---

(١) أي الموت.

(٢) سورة القمر/ ٥٤ ـ ٥٥.

وقال ما معناه: إنّي قد أحللت السلطان المعظَّم الملك الناصر مِن حبسه/إيّاي، كونه فعل ذلك مقلداً غيره معذور. أو لم يفعله بحظّ نفسه، بل [٣٤/أ] لِما بلغَه، مما ظنّه حقاً مِن مُبلِّغِهِ، والله يعلمُ أَنَّهُ بخلافِهِ.

وقد أحللت كل أحد ممَّا بيني وبينه، إلاَّ مَن كان عدوّاً لله ورسوله[1].

وأكثر النَّاس ما علموا بمرضه، فلم يفجأ موته الخلق إلاَّ بغتة.

قال الشيخ علم الدين[2]: «وفي ليلة الإثنين العشرينِ من ذي القعدة مِن سنة ثمان وعشرين توفي الشيخ الإمامُ العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الإمام المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرّاني ثُمّ الدمشقي بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً فيها»[3].

فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن. ودخل إليه أقاربه وأصحابه

---

(١) كنتُ وقفتُ على فائدةٍ نفيسةٍ، مِن جنس ما ذكره الإمامُ مرعي الحنبلي. تدل على ورع ابن تيمية، وسعة صدره، وحبه للمسلمين. وقد ذكرها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٥/٨٨ في ترجمة الإمام «الأشعري» قال.

رأيتُ الأشعري كلمة أعجبتني ـ وهي ثابتة ـ رواها البيهقي: سمعت أبا حازم العبدري، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي، يقول: لما قَرُب حضور أجلِ أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد دعاني، فأتيته، فقال: إشهد عليَّ أني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، لأنَّ الكلّ يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كلّه اختلاف العبارات.

قلت (والكلام للذهبي): وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابنُ تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحداً من الأمة. ويقول: قال النبي ـ ﷺ ـ : «لا يحافظ على الوضوء إلاَّ مؤمن، فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم».

قلت: وهو كلام في غاية الصفاء والإشراق، صَدَرَ من هؤلاء الأئمة الكبار: الأشعري، وابن تيمية والذهبي في أواخر حياتهم المباركة الحافلة. وهو يُمَثِّلُ خلاصة تجاربهم، وزبدة ما انتهوا إليه في اجتهادهم وحرصهم. جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

(٢) البرزالي.

(٣) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٨٥.

وازدحم الخلق على باب القلعة والطُّرقات وامتلأ جامع دمشق، وحضر جمع كثير إلى القلعة، فأُذن لهم في الدخول. وجلس جماعة عنده قبل الغُسل وقرأوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقْبيله ثُمَّ انصرفوا، وحضر جماعة مِن النِّساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن. واقتصر على مَن يُغسِّله ويُعينُ في غُسله. وشرب جماعة الماء الذي فضل مِن غسله. وازدحم مَن حضر غسله مِن الخاصة والعامة على الماء المنفصل عن غسله حتى حصل لكلّ واحد منهم شيء قليل. واقتسم جماعة بقية السّدر الذي غُسل به.

وقيل: إنَّ الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم. والخيط الذي فيه الزئبق، وكان في عنقه بسبب القمل، دفع فيه مائة وخمسون درهماً.

فلمَّا فرغ مِن ذلك أُخرج وقد اجتمع النَّاس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى اللبادين الفوارة ولمْ يبق في دمشق مَن يستطيع المجيء للصَّلاة عليه إلَّا حضر لذلك. حتى غُلّقت الأسواق بدمشق وعُطِّلت معايشها حينئذٍ، وحصل للنَّاس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم. وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنِّساء والصبيانِ من الخواص والعوام.

[٣٤/ب] /قال بعض من حضر: ولم يتخلف أحد فيما أعلم إلَّا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته، فاختفوا مِنَ النَّاس خوفاً على أنْفسهم بحيث غلب على ظنِّهم أنَّهم متَى خرجوا رجمهم النَّاسُ.

ولمَّا أُخرجت جنازته، فما هي إلَّا أنْ رآها النَّاسُ فأكبّوا عليها مِن كُلّ جانب. كُلّ منهم يقصد التبرك بها، وحصل البكاء والضجيج والتضرع واشتدَّ الزّحام، حتى خُشي على النعش أنْ يتحطم قبل وصوله. فأَحْدق بها الأمراء والأجناد، واجتمع الأتراك فمنعوا النَّاس مِن الزّحام عليها خشية سقوطها.

وجعلوا يردّونهم عن الجنازة بكلّ ما يُمكنهم، وهم لا يزدادون إلَّا زحاماً وكثرة. حتَّى أُدخلت جامع بني أمية المحروس ظناً منهم أنَّه يسع الناس فبقي كثيرٌ مِنَ النَّاس خارج الجامع.

فصُلِّيَ عليه ـ رضي الله عنه ـ بجامع دمشق عقب صلاة الظهر وكان صُلِّيَ عليه أولاً بالقلعة تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام، ثم حُمل من باب البريد على أيدي الكبراء والأشرافِ إلى ظاهر دمشق واشتدَّ الزّحام وألقى النَّاس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك.

وخرج النَّاس من الجامع مِن أبوابه كلّها مِن شدَّة الزّحام وكل باب أعظم زحمة مِن الآخر. ثمَّ خرج النَّاسِ من أبواب البلد جميعها مِن شدَّة الزّحام، لكن (كان)[1] المعظم مِن الأبواب الأربعة باب الفرج الذي خرجت منه الجنازة، ومن باب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية. فلمَّا خرجوا به لظاهر دمشق وُضع بأرض فسيحة متسعة الأطراف، فصلَّى عليه الناس ـ أيضاً ـ، وتقدَّم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن.

قال بعض مَن حضر مِن الثقات: كنْتُ مِمَّن صلَّى عليه في الجامع، وكان لي مستشرف على المكان الذي صُلِّي عليه بظاهر دمشق، فأجبت أن أنظر إلى النَّاس وكثرتهم، فأشرفت عليهم حال الصلاة، وجعلت أنظر يميناً وشمالاً، ولا أرى أواخِرَهم. بل رأيتُ الناسَ قد طبقوا تلك الأرض كلّها.

واتَّفق جماعة ممَّن حضر، وشاهد الناس المصلين عليه: أنَّهم يزيدون على نحو خمسمائة ألف، وحضرها نساء كثير، بحيث حُزرن بخمسة عشر ألفاً.

قال أهل التاريخ: «لمْ يُسْمع في جنازة بمثل هذا الجمع إلَّا جنازة الإمام أحمد بن حنبل»[2].

---

(١) ما بين القوسين من «العقود الدرية» ص ٣٨٧.

(٢) البزار ـ الأعلام العلية: ٧٤.

قال الدَّارقُطْني: «سمعت أبا سهل بن زياد القطَّان يقول: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البِدع: بيننا وبينكم الجنائز»[٢].

قال أبو عبد الرحمن السَّلمي: أنَّه حَرَزَ الحزَّارون المصلينَ على جنازة أحمد فبلغ العدد بحزرهم ألف ألف وسبعمائة ألف، سوى الذين كانوا في السُّفُن[٣].

ثم حُمِلت جنازةُ الشيخ إلى قبره بمقبرة الصوفية، فوضع وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ـ ولم يكن حاضراً قبل ذلك ـ فصلَّى عليه أيضاً، ومَنْ معه مِن الأُمراء والكُبراء، ومَن شاء الله من الناس.

ثم دُفِنَ وقت العصر إلى جانب أخيه الشيخ الإمام العلَّامة البارع الحافظ الزاهد العابد الورع، جمال الإسلام شرف الدين.

وكان قد تُوفي في سنة سبع وعشرين في أيام حَبس أخيه تقي الدين. وصُلِّي عليه بجامع دمشق. ثم حُمل إلى باب القلعة، فصُلِّي عليه مرة أخرى، وصَلَّى عليه أخواه تقي الدين، وزين الدين في تلك السَّاعة، وكان وقتاً مشهوداً. ثم صُلِّيَ عليه مرةً ثالثة ورابعةً. وحضر جنازته جمعٌ كثير، وَعَالَم عظيم، وكثر الثّناء والتأسّف عليه.

وأثنى عليه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني فقال:

«شرف الدين بارع في فنون عديدة مِن الفِقه والنّحو والأصول، ملازم لأنواع الخير، وتعليم العِلم، حسن العبادة، قويّ في دينه جيِّد التفقه، مستحضر لمذهبه استحضاراً جيداً، مليح البحث، صحيح الذّهن، قوي الفهم ـ رحمه الله تعالى»[١] ـ.

---

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٩٠.

(٢) «المصدر السابق»: ص ٣٩٠ ـ ٣٩١، والمصنف في «الشهادة الزكية» ص ٦٦.

(٣) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩، وهذا الوصف والذي سبقه هو في ترجمة =

ثمّ لما دفن الشيخ تقي الدين إلى جانب أخيه جعل النَّاس يأتون قبره للصلاة عليه من القرى والأطراف والأماكن والبلاد مشاةً وركباناً. وتردَّد النَّاس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً. ورؤيت له منامات كثيرة صالحة.

قال الحافظ سراج الدين البزار: «وما وصل خبر موته إلى بلد فيما نعلم إلاَّ وصُلِّيَ عليه في جميع جوامعه ومجامعه، خصوصاً أرض مصر ودمشق والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها[1]. وخُتمت له الختمات الكثيرة في اللَّيالي والأيَّام، في أماكن كثيرة لم يُضبط عددُها خصوصاً بدمشق ومصر والعراق، /حتى جعل كثير من الناس القراءة له، وإدارة الربعة الشريفة على الناس للقراءة وإهداءها له وظيفة معتادة. [٣٥/ب]

قال: ولم يُر بجنازة أحد ما يرى بجنازته مِن الوقار والهَيبة والعظَمة والجلالة، وتعظيم الناس لها، وتوقيرهم إيَّاها، وتفخيمهم أمرَ صاحبها، وثنائِهم عليه بما كان عليه مِن العلم والعمل والزهادة والعبادة، والإعراض عن الدنيا، والاشتغال بالآخرة، والفقر والإيثار، والكرم والمروءة، والصبر والثبات، والشجاعة والفراسة، والإقدام والصدع بالحق، والإغلاظ على أعداء الله ورسوله، والمنحرفين عن دينه، والتواضع لأولياء الله، والتذلُّل لهم، والإكرام والإعزاز والاحترام لجنابهم، وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذّتها، وشدَّة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طلبها. حتَّى سُمع ذلك ونحوه مِن الرجال والنِّساء والصِّبيان.. وكلّ منهم يُثني عليه بمَا يعلمه مِن ذلك. رضي الله عنه وأرضاه، ونفعنا به في الدينا والآخرة، آمين.

هذا ما قاله الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة في «مناقبه»، بعد أن أطال الكلام عليها.

= شرف الدين، جمال الإسلام، أبي محمد عبدالله، شقيق ابن تيمية. وقد حشرها المصنف في موضع يوهم أنَّ الكلام في «شيخ الإسلام» ولو ترجمه في موضع أنسب من هذا لكان أحسن، كما صنع ابن عبد الهادي، فقد بَوَّب لذلك، ثم قال ممهداً: «وفي هذه المدة التي كان الشيخ فيها بالقلعة، توفي أخوه الشيخ...».

(١) البزار ـ الأعلام العلية: ص ٧٥، والمصنف في «الشهادة الزكية»: ص ٦٨.

وللشيخ فضائل كثيرة، وأسماء مصنَّفاته، وسيرته، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة والمتصوِّفة، وحبسه مرات، وأحواله لا يُحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب[1]. «إنتهى».

(١) ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

فصلٌ فيما رُثي به الشيخ مِن القصائد بعد موته. وذلك كثيرٌ لا يَنْحَصِرُ

ولمَّا مات الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ رثاه كثير من الفضلاء والأئمة العلماء بقصائد جمَّة لا يسع هذا «المختصر» ذكرها.

قال الشيخ الإمام ابن فضل الله العمري:

«رثاه جماعات مِن النَّاس بالشام، ومصر، والعراق، والحجاز، والعرب مِن آل فضل ـ رحمة الله عليه ـ».

وها أنذا أذكر شيئاً مِنْ ذلكَ في هذا «المُخْتَصَر».

فمِنها: ما قاله الشيخ القاضي الإمام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري الشافعي[1] نثراً ونظماً في حقّ الشيخ.

قال ـ في كلام طويل ـ[2]: ورفع إلى السلطان غير ما مرَّة، ورُمي بالكبائر، وتُربِّصَت به الدَّوائر. وسُعي به ليؤخذ بالجرائر، وحسده مَن لم ينل سعيه، وكثر فارتاب، ونمّ وما زاد على أنه اغتاب، وأزْعج من وطنه تارة إلى مصر، ثم إلى الإسكندرية، /وتارة إلى مجلس القلعة بدمشق. وفي جميعها [٣٦/أ] يُودَعُ أخبية السجون، ويُلْذَع بزبانيّ المَنون. وهو على علم يسطر صفحة، ويدخر تحفة، حتَّى تستهدي أطرف البلاد طرفه وتستطلع بنايا الأقاليم شرفه.

---

(١) المتوفى سنة ٧٤٩ هـ. (ابن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات: ١/٧).

(٢) في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» طبع منه جزء بتحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م، وباقي الكتاب لم يزل مخطوطاً.

إلى أنْ خطفته ـ آخر مرة ـ مِن سجنه عقاب المنايا، وجذبته إلى مهواتها قرارة الزّزايا.

وكان قبل موته قد منع الدَّواة والقلم، وطبع على قلبه منه طابع الألم. فكان مبدأ مرضه، ومنشأ عرضه. حتى نزل قفار المقابر، وترك فقار المنابر. وحلّ ساحة ربّه وما يحاذر، وأخذ راحة قلبه مِن اللائم والعاذر. فمات وما مات بل حيي، وعرفت قدره لآن؛ مثله ما رُئي. ما برح على المآثر إلى أنْ صرعه أجله، وأتاه بشير الجنَّة يستعجله. فانتقل إلى الله؛ والظنّ به أنَّه لا يخجله. وكان يوم دفنه يومَاً مشهوداً ووقتاً معدوداً. ضاقت به البلد وظواهرها، وتُذُكِّرت به أوائل الرِّزايا وأواخرها.

ولم يكن أعظم منها منذ مئين سنين جنازةٌ رفعت على الرِّقاب، ووُطئت في زحامها الأعقاب. وسار مرفوعاً على الرؤوس متبوعاً بالنُّفوس. تحدوه العبراتُ، وتتبعه الزّفرات. وتقول له الأمم: لا فُقدت مِن غائب. ولأقلامه النَّافعة: لا أبعدكن الله مِن شجرات»[1].

وكان أمةً وحده، وفرداً حتى نزل لحده ثم قال:

أهكذا في الدّياجي يُحجبُ القمرُ	ويُحبَسُ النَّؤ[2] حتى يذهبَ المَطَرُ[3]
أهكـذا الـدهـر ليـلاً كله أبـداً	فليس يُعرفُ في أوقاتِـهِ سَحَرُ[4]؟
أهكـذا يُتـركُ البحـرُ الخِضَمُّ ولا	يُلْوى عليه؛ وفي أصدافِـهِ الدَّررُ؟

(١) المصنف ـ «الشهادة الزكية»: ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) في «العقود الدرية» ص ٥٢٦: «النور» وهو تصحيف.

(٣) في «المصدر السابق» زيادة:

أهكـذا تمنـع الشـمس الـمنيـرة عن	منـافـع الأرض أحيـانـاً فـتسـتتـر؟

(٤) في «المصدر السابق» زيادة:

أهكـذا السيف لا تـمضـي مـضـاربـه	والسيف في الفتـك ما في عـزمـه خـور؟
أهكـذا القـوس تـرمى بـالعـراء، ومـا	تصمى الرمـايا، ومـا في باعهـا قصـر؟

أهكـذا بتقي الـدين قـد عبثت … أيدي العِدى، وتعدَّى نحوه الضَّرَرُ؟

إلى ابن تيميّة تُـرمى سهامُ أذىً … مِن الأنام، ويُدْمَى النَّـابُ والظُّفُرُ

بـرّ[١] السوابقِ ممتـدُّ العبارة[٢] لَا … يـنـالـه مللٌ فـيهـا ولا ضَـجَـرُ

ولَم يكنْ مثلَه بعـد الصَّحابـة في … عِلْمٍ عـظيمٍ وزُهـدٍ مـالـه خَـطَرُ

طـريقُـه كـان يَمشي قبـل مِشْيتِـه … بهـا أبو بكـر الصـدِّيقُ، أو عمـرُ

فـردّ المـذاهبَ في أقـوالِ أربعـةٍ … جـاءوا على أثَر السبّـاق وابتَـدَرُوا

لَمّـا بنَـوا قبله عُلْيـاً مـذاهِبَهم … بنَى وعمّـرَ مِنْها مِثْـلَ مـا عَمَـرُوا

/مَثَلُ الأئمـة قَـدْ أحيا زمـانَهُم … كـأنّـه كـان فِيهم وهْـو مُنتَـظَرُ [٣٦/ب]

إن يـرفعُـوهم جميعاً رفْعَ مُبتـدأٍ … فحقُّـه الـرَّفْـعُ أيضـاً، إنّـه خبـرُ

أَمِثْلَهُ بَـينَـكم يُـلْقَى بـمَـضْـيَـعَـةٍ … حتَّى يَطيـح لَـه عمْداً دَمٌ هَـدَرُ!؟

يكُـون، وهْـو أمـاني لغيْـركـمُ … تنُوبه مِنْكُمـو الأحـداثُ والغُيَـرُ؟

واللَّهِ، لـوْ أنَّـه في غيـر أرضِكُمُ … لكَـان مِنكم عَلَى أبْـوابِـه زُمَـرُ؟

مِثْـلُ ابن تيميّـة يُنْسَى بمَجْلِسـه … حَتَّى يَمُوتَ، وَلَمْ يُكْحَلْ بِهِ بَصَرُ!

مِثْـلُ ابن تيميّة تُـرْضَى حَواسِـدُهُ … بحَبْسِـهِ، أوْلَكُمْ في حَبْسِه عُـذُرُ؟

مِثْل ابن تيميّةٍ في السِّجْنِ مُعتَقَلٌ … والسِّجنُ كالغِمْدِ وهْوَ الصَّارِمُ الذكرُ!

مِثْـلُ ابن تيميّـة يُـرْمَى بِكُـلِّ أذىً … ولَيْسَ يُجلَى قَذَىً مِنْه، وَلَا نَظَرُ!

مِثْـلُ ابن تيميّـةُ تُـذْوَى خَمَـائِلُهُ … وَلَيْسَ يُلْقَطُ مِنْ أَفْنَـانِـهِ الـزَّهَـرُ!

مِثْلُ ابن تيميّة شَمسٌ تغيبُ سدىً … وما ترف[٣] بها الآصالُ والبُكُرُ[٤]!

---

(١) في «المصدر السابق»: ص ٥٢٧: «بدٌ».

(٢) في «المصدر السابق» ص ٥٢٧: «العبادة» وهو تصحيف.

(٣) في «العقود الدرية» ص ٥٢٨: «تروق».

(٤) في «المصدر السابق» ص ٥٢٨ زيادة:

مثل ابن تيمية يمضي وما عبقت بمكة العطر الأردان والطرر.

مِثلُ ابن تيمية يمْضِي وَمَا نُهكَت[1] ... له سيوفٌ ولا خُطيَّةٌ[2] سُمُرُ[3]!
ولَا تُجَارى لَهُ خيلٌ مسومةٌ ... وجوهُ فُرسانِها الأوضاحُ والغُرَرُ!
وَلَا تُحَفُّ بِهِ الأبطالُ دائرةً ... كأنَّهم أنجمٌ في وَسْطِهَا قَمَرُ!
ولَا تَعْبِسُ حربٌ في مَواقِفِهِ ... يوماً، ويضْحك في أرجائِها الظَّفَرُ!
حتَّى يقُوم هذا الدِّين مِنْ مَيلٍ ... ويستقيمَ على مِنهَاجِهِ البَشَرُ
بل هكذا السَّلفُ الأبرارُ ما بَرِحُوا ... (يُبْلى)[4] اصْطِبارُهُم جهداً، وُهُمْ صَبَرُوا
تَأَسَّ بِالأنبياءِ الطُّهْرِ، كَمْ بلغَتْ ... فِيهم مضَرَّةُ أقوامٍ، وكَمْ هُجِرُوا!
في يُوسفَ، في دخولِ السِّجنِ منقبةٌ ... لمَنْ يُكابِدُ مَا يَلْقَى ويَصطَبِرُ
مَا أُهْملُوا أبداً بلْ أُمْهِلُوا لِمَدًى ... واللَّهُ يُعقِبُ تأييداً وَيَنْتَصِرُ
أيذهبُ المنهلُ الصَّافي وما نقَعَتْ ... به الظُّمَاةُ، وتبْقَى الحَمْأَةُ الكَدَرُ؟
مضَى حميداً، ولم يعلقْ به (وضرٌ)[5] ... وكلّهم وَضرٌ في النَّاس أَوْ وَذَرُ
طَوْدٌ مِنَ الحِلْم لا يَرْقى له فَنَنٌ ... كَأنَّما الطَّوْدُ مِنْ أَحجارِه حَجَرُ
بحرٌ مِنَ العِلم، قدْ فاضَتْ بَقِيَّتُه ... فَغَاضَت الأَبْحُرُ العُظْمَى، وَمَا شَعُرُوا
يا لَيْت شِعْرِي، هَلْ في الحَاسِدِين لَهُ ... نظيرُه في جميعِ القَوْم إن ذُكِرُوا؟
هَلْ فيهم لحديثِ المُصطفى أحدٌ ... يُميّزُ النَّقْدَ، أوْ يُروَى لَهَ خَبَرُ؟

---

(١) في «المصدر السابق» ص ٥٢٨: «نهلت».

(٢) الخط: هي الرماح. وهي نسبة قد جرى مجرى الإسم العلم، ونسبته إلى خط البحرين وإليه ترفأ إذا جاءت من أرض جالبة الرماح. وفي حديث أم زرع: «فأخذ خطياً» وهو الرمح المنسوب إلى الخط (ابن منظور ـ لسان العرب: ١/٨٥٩).

(٣) السُّمر: من شجر الطلح وليس في العضاة شيء أجود خشباً من السُّمر (المصدر السابق ٢/٢٠٠). والمعنى العام: وما نهكت له سيوف ولا رماحه الفتاكة. قال البوصيري:

والكاتبينَ بسُمْرِ الخطِّ ما تركت ... أقلامُهُم حرفَ جِسْمٍ غيرَ مُنْعَجِمِ

(٤) في «الأصل» «تبلى» وقد أثبتنا ما في «العقود الدرية» ص ٥٢٨.

(٥) في «الأصل» «وطر» وقد أثبتنا ما في «المصدر السابق» ص ٥٢٨.

هَلْ فيهمْ مَنْ يَضُمّ البَحْثَ في نظرٍ ... أو مِثْله مَنْ يضُمُّ البحْثُ والنَّظَرُ؟
هَـلَّا جمعتم له مِنْ قـومِكُمْ مـلأً ... كفِعْل فرعونَ مَع مُوسى لتَعْتبرُوا[١]؟
قولوا لَهم: قَال هَذا، فابْحَثُوا مَعَه ... بِجَمْعِكُمَ، وانْظُروا الجُهَّالَ إنْ قَدَرُوا
يُلْقي الأبـاطيلَ أسحـارٌ لها دهَشٌ ... فَلْيَقْفُ الحَقُّ، مَا قَالُوا، ومَا سَحَرُوا
فَلَيْتَهُم مِـثْـلَ ذاكَ الـرَّهْطِ مـلأٍ ... حتَّى يكـونَ لكمْ في شأنِهم عِبَـرُ
ولـيتَـهُم أَذْعَـنُـوا للْحقّ مِـثْـلَهُـمْ ... فـآمنوا كلُّهم مِنْ بعْـدِ مـا كَفَـرُوا
يَـا طَـالَمَـا نَفَـرُوا عنْـه مُجَـانَبَـةً ... وَلَيْتَهُمْ نَفَعُـوا في الضَّيْم أَوْ نَفَرُوا
هـلْ فيهِمُـو صـادعٌ لِلْحَقِّ/ مقُولـةً ... أو خائضٌ للْوغَى، والحَرْبُ تَسْتَعِرُ؟ [٣٧/أ]
رَمى إلى نحْـر غـازان مـواجهـةً ... سِهـامَـه مِنْ دعـاءٍ عـوْنُـهُ القَـدَرُ
بتّـلِ راهِطٍ والأعـداءُ قـد غَلَبُـوا ... عَلَى الشـآم، وطارَ الشَّـرُّ والشَّـرَرُ
وَشَقَّ في المَرْج والأسيافُ مُصْلَتَةٌ ... طـوائفَ كُلُّهـا، أو بعْضُهَـا التَّتَـرُ
هَذَا، وأعداؤُه في الدُّورِ أَشْجَعُهُمْ ... مِثْـلَ النِّساء بِـظِلِّ البَابِ يَسْتَتِـرُ[٣]
وَبَعْدَهَا كسـروانُ، والجِبَالَ، وقـدْ ... أَقَـامَ أَطْـوَادَهَـا، والـطَّودُ مُنْفـطِرُ
واسْتحصدَ القَومُ بالأسْيافِ جُهْدَهُمُ ... فَـطَالَمَـا بَـطَلُوا طَغَـوْا وَمَـا بَـطَرُوا
قَالُوا: قبرنَاهُ. قلْنا: إنَّ ذَا عَجَبٌ ... حَقًّا، أَلْكوكَبِ[٤] الدُّرِّيّ قَدْ قَبَرُوا؟
ولَيْس يـذْهَبُ معنى منْـه متّقـدٌ ... وإنمـا تـذهَبُ الأجْسـام والصُّـوَرُ
لَمْ يبْكِـه ندَمـاً مَنْ لاَ يَصُبَّ دمـاً ... يَجْـرِي بِه وبِمَـا تَهْمِي[٥] وتَنْهمِـرُ
لهْفِي عليكَ، أبا العباسِ، كمْ كرمٍ ... لمَّا قَضيتَ قَضَى مِنْ عُمْرِه العُمُرُ

---

(١) في «العقود» ص ٥٢٩: «لتعتذروا».
(٢) في «المصدر السابق» ص ٥٢٩: «قدامنا».
(٣) في «المصدر السابق» ص ٥٢٩: «مستتر».
(٤) في «المصدر السابق» ص ٥٢٩: «وللكوكب».
(٥) في «العقود» ص ٥٣٠: «يهمي».

سَقَى ثَـرَاكَ مِنَ الـوُسْمى صَيّبُـهُ ... وَزَارَ مغْنَـاكَ[1] قـطرٌ كـلُّه قَـطَرُ
ولاَ يـزالُ لـه بـريقٌ يغـازلُـهُ ... حُلْوُ المَراشِفِ فِي أَجْفَانِهِ حَوَرُ
لِفَقْـدِ مِثْلِك، يَـا مَنْ مَـالَـه مثَلٌ ... تَأْسى المحاريبُ والآيـاتُ والسُّورُ
يَـا وَارثـاً مِنْ علوم الأنبيـاء نُهىً ... أَوْرَثْتَ قَلْبِي نـاراً وقْـدُهَـا الفِكَـرُ
يـا واحداً لسْتُ أستثْني بـه أحداً ... مِـنَ الأنـامِ، ولا أُبقِي وَلاَ أَذَرُ
يـا عالمـاً بِنُقـولِ الفِقْـه أَجمَعِهَـا ... أعنْكَ تُحْفَظُ زَلّاتٌ كَمَـا ذَكَـرُوا؟
يَا قَامِعَ البِدَعِ اللاَّتِي (تَحَبَّبَهَا)[2] ... أهلُ الزَّمـانِ وأهلُ البَـدْوِ والحَضَرِ
ومُـرْشِدَ الْفِـرقَـةِ الضُّـلّالِ نَهْجَهُمُ ... إلَى الطَّرِيقِ، فما حَارُوا ولا سَهِرُوا
أَلم تَكُنْ للنَّصـارى واليَهـودِ مَعـاً ... مُجادلاً، وهمْ في البَحْثِ قَدْ حَضَرُوا؟
وكمْ فتىً جاهـلٍ غَـرٍ أبَنْتَ لَـهُ ... رُشْدَ المَقالِ فزَالَ الجَهْلُ والغرَرُ؟[3]
مَـا أَنْكَـرُوا مِنْـكَ إلاَّ أَنَّهم جَهِلُوا ... عَـظِيم قَدْرِكَ، لَكِنْ سَـاعَدَ القَـدَرُ
قَـالُوا بـأَنَّكَ قـدْ أخْـطأْتَ مَسْـأَلَـةً ... وَقَـدْ يكُـونُ. فهَـلاَّ مِنْـكَ تُغتَفـرُ؟
غَلَطْتَ فِي الدَّهْرِ، أَوْ أَخْطأْتَ واحدةً ... أَمَـا أَجَـدْتَ إصَـابَـاتٍ فَتُعْتَـذَرُ؟!
وَمَنْ يكُـونُ عَلَى التَّحْقِيقِ مُجْتَهِداً ... لَهُ الثَّوابُ على الحالَيْن، لاَ الوَزَرُ
أَلم تكنْ بـأحـاديث[4] النَّبي إذَا ... سُئِلْتَ تَعْـرِفُ مَا تَـأْتِي وَمَـا تَـذَرُ
[٣٧/ب] حَاشَاكَ مِنَ[5] شَبَهٍ/فيهَا، وَمَا شُبَه ... كِـلاَهُمَـا منْـكَ لاَ يبْقَى لَـهُ أَثَـرُ
عَلَيْكَ في البحْثِ أَنْ تُبْدِي غَوامِضَهُ ... وَمَـا عَلَيْـكَ إذا لَمْ تَفْهَمِ البَقَـرُ
قَـدَّمْتَ لِلّه مَا قَـدَّمْتَ مِنْ عَمَـلٍ ... وَمَـا عَلَيك بِهِمْ ذمُّـوكَ أَوْ شَكَرُوا
هَلْ كَانَ مثْلَك مَنْ يخْفَى عليْه هُدىً ... وَمِنْ سَمَائِك تَبْدُو الأَنْجم الزُّهُـرُ؟

(١) في «المصدر السابق» ص ٥٣٠: «معناك».
(٢) في «المصدر السابق» ص ٥٣٠: «تجنّبها».
(٣) في «المصدر السابق» ص ٥٣٠: «الضرر».
(٤) في «المصدر السابق» ص ٥٣٠: «أحاديث».
(٥) في «المصدر السابق» ص ٥٣٠: «ما».

وكَيْفَ تَحْذَرُ مِنْ شَيْء تَزِلُّ بِهِ أَنْتَ التَّقيُّ، فَماذا الخَوفُ والحَذَرُ؟

ومنها للعلامة أبي حفص عمر بن الوردي الشافعي ناظم «البهجة»:

قلوبُ النَّاسِ قاسيةٌ سِلاَطُ وليسَ لهَا إلاَّ العليا نَشَاطُ[1]
أينشَطُ قَطُّ بعْد وفاةِ حَبْرٍ لنَا مِنْ نَثْرِ جَوْهَرِه التقَاطُ؟
تقيُّ الدِّين أحمد ذُو ورعٍ وعِلْمٍ[2] خروقُ المُعْضِلاتِ به تُخاطُ
تُوُفِّي وهو مسجونٌ فريدٌ وليس له إلى الدُّنيا انْبسَاطُ
وَلَوْ حَضَرُوه حين قَضَى لألْفَوْا ملائكةَ النَّعيم به أَحَاطُوا
قَضى نَحْباً ولَيْس له قرينٌ وَلاَ لِنَظِيره لُفَّ القِمَاطُ
فَتًى في عِلْمه أضحَى فريداً وحَلُّ المُشْكلاتِ به يُناطُ
وكان إلى التُّقى يدْعو البرايَا وينْهي فرقةً فسقُوا ولاَطُوا
وكانَ يخاف إبليسُ سَطَاهُ بِوَعْظٍ للقُلُوبِ هُو السِّياطُ
فَيَا لِلَّهِ مَا قَدْ ضَمَّ لحْدٌ وَيَا لِلَّهِ مَا غَطَّى البِلاَطُ
هُمُو حسدُوه، لمَّا لمْ ينالُوا مناقبَه فقدْ مكرُوا[3] وَشَاطُوا

---

(۱) ذكر «ابن الوردي» هذه المرثية كاملة في تاريخه المسمى: «المختصر في أخبار البشر» ٢/٤٠٦، وفيها اختلاف. ومطلعها فيه:

عثا في عرضه قوم سلاط لهم من نثر جوهره التقاط
تقي الدين أحمد خير حبر خروق المعضلات به تخاط

وهي كذلك في «العقود الدرية» لابن عبد الهادي ص ٥٢٣. وهو الذي أميل إلى ترجيحه وصوابه. و«الرد الوافر» لابن ناصر الدمشق ص ١٦٣.

وقد أوردها «المصنف» كما هي في «الأصل» في «الشهادة الزكية» ص ٣٠. والذي أميل إلى ترجيحه هو ما في «تاريخ ابن الوردي» و«العقود» و«الرد الوافر». والله أعلم.

(٢) في «المصادر الثلاثة السابقة»: «خير حبر».

(٣) في «العقود الدرية» ص ٥٢٣: «فسقوا».

وكَانُـوا عنْ طـريقتـه[1] كُسَـالَى ... ولـكـنْ فـي أذاه لـهـمْ نـشَـاطُ

وحبْسُ الـدُّر في الأصْـدافِ فَخـرٌ ... وعنْـد الشَّيـخ بـالسِّجْن اغْتِبَـاطُ

بـآل الْـهَـاشِـمِـيّ لـه اقْـتـداءٌ ... فقـد ذاقـوا المنونَ ولم يُـوَاطُـوا

بُنـو تيـميـة كـانُـوا، فَبَـانُـوا ... نجـومُ العِـلْمِ أدركَهـا انـهِبـاطُ

ولـكـنْ يـا نَـدَامَـةَ حـابِسيـه ... فشـكّ الشِّـركِ كـان بـه يُمَـاطُ

ويـا فَـرَحَ اليهـودِ بمـا فعلتُمْ ... فـإنَّ الـضِّـدَّ يُعجِبُـهُ الـخبَـاطُ

ألمْ يـكُ فيكمُـو رجـل رشيـدٌ ... يـرى سِجْنَ الإمـامِ فيُستَشَـاطُ

إمـامٌ لا ولايـةَ قطُّ عَـانَـى[2] ... ولا وقـفٌ عـليـه ولا رِبَـاطُ

ولا جَـاركُمُـو في كَسْبِ مَـالٍ ... ولـمْ يُعْـهـدْ لـه بكُـمُ اختِـلَاطُ

فَـفِيـمَ سجَنْتُـمُـوه وغِـضْـتُـمُـوهُ ... أمَـا لـجَـزَا أُذْيَتِـهِ اشْـتِـرَاطُ؟

ولَـوْلَا أَنَّهم سَـجَـنُـوه شُـرْعـى ... لكـان بِـهِ لقَـدْرِهِمْ انحِـطَاطُ[3]

أمَـا والـلَّهِ لَـوْلَا كَـتْـمُ سِـرِّي ... وخـوفُ الشَّـرِّ لانْحَـلَّ الـرِّبَـاطُ

وكنْت أقـولُ مـا عِنْـدي، ولكنْ ... بأهل العِلْمِ مـا حَسُنَ إشْتِطَاطُ[4]

لـقـد خَفِيتْ علـيّ هنـا أمـورٌ ... فليس يَليقُ لي فِيهـا إنْخِـراطُ[5]

سيـظْهَـرُ قصْـدُكُمْ يـا حَـابِسيه ... ونـيـتُـكُـم إذا نُـصِبَ الـصِّـرَاطُ

فَهـا هُوَ مـاتَ عَنْكُمْ، واسْتَرَحْتُمْ ... فَعَـاطُـوا مـا أرَدْتُم أن تَعَـاطُـوا

(١) في «المصدر السابق» ص ٥٢٣: «طرائفه».

(٢) في «المصدر السابق» ص ٥٢٣: «كان يرجو».

(٣) هذا البيت ساقط من «العقود الدرية» ص ٥٢٣. وفيه زيادة بيت هنا لا يوجد في «الأصل».

وسجن الشيـخ لا يـرضـاه مثلي ... ففيـه لقـدر مثلكم إنحـطاط

(٤) زاد في «العقود» ص ٥٢٣:

فمـا أجد إلى الإنصـاف يـدعـو ... وكـل فـي هـواه لـه إنـخـراط

(٥) هذا البيت ساقط من «العقود».

وحُلُّوا واعقُدُوا مِنْ غيْر ردٍّ عليكُم وانْطَوَى ذاكَ البِسَاطُ

/ومما ينسب له أيضاً: [٣٨/أ]

كان والله فقيهاً جبلاً وَلَهُ عِرض بسوءٍ ما اتُّهِمْ
غير لا يدْري مَدَارَاةَ الوَرَى ومداراةُ الوَرَى أمرٌ مُهِمّ(١)

ومنها للشيخ الإمام محمد العراقي الجزري(٢) - رضي الله عنه - :

عزّ عندي يومُ الرَّحيل العزاءُ لنَعْيٍ فيه الدُّموعُ دِمَاءُ
طَرق الخَافِقَين خطْبٌ جسيمٌ أطرقتْ مِنْه في الوَرَى العُلَمَاءُ
خِفْتُ أَنْ تُزَهَقَ النُّفُوسُ وكادَتْ ترْجفُ الأرضُ أو تَمُورُ السَّماءُ
فقد المُسلمون قُطْب المَعَالِي فبكتْه الأغوَاثُ والأوْلِيَاءُ
كسَفَ النيِّريْن فقدُك يا أحمدُ حقاً وغابت الجَوْزَاءُ
أظلمتْ جُلّقُ التي كُنْت فِيها وأضاءت بقبْرك البيْدَاءُ
يا طليقَ اللِّسَانِ في كل فنٍّ فلقد شَرُفَتْ بك العَلْيَاءُ
وإنْ تكنْ متّ فالعلوُم التّي أحييتَ مِنْ بعدِ مَوْتِها أحْيَاءُ
مدحتْ فهْمَك الحروفُ جلالاً وكذلك الأفعالُ والأسماءُ
يا مزيلَ الإشكالِ عنْ كلّ فهمٍ ولديْه عنْ كُلّ زلَّةٍ إغْضَاءُ
لَا الصَّباحُ الصّباحُ بعدك عِنْدي في ضِياءٍ ولا المَسَاءُ المَسَاءُ
مَا حَضَرْتَ الجِدَال بيْن أُناسٍ يقْرؤُون الحديثَ إلَّا وَفَاؤُوا
أنتَ صخرُ الوجودِ في كلِّ أرضٍ والبرايَا جميعُها الخنْسَاءُ

---

(١) هذان البيتان لا يوجدان في «العقود الدرية».

(٢) محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، شمس الدين أبو عبدالله المؤرخ، صاحب كتاب «حوادث الزمان وأنبائه». قال الذهبي: «كان حسن المذاكرة، سليم الباطن، صدوقاً في نفسه، لكن في تاريخه عجائب وغرائب. وله شعر وسط» وقد خرج له البرزالي «مشيخة». توفي سنة ٧٣٩ هـ. (الحسيني - «ذيل تذكرة الحفاظ»: ، السلامي - تاريخ علماء بغداد ٢١٢ حاشية).

مَنْ لِعِلْم التَّفسير فيمَا رَواهُ جابرٌ أو مجاهدٌ أو عطاءُ

عطَلَتْ بعدك الدُّروسُ فَمَا فيهَا لربِّ الفَهْمِ السَّقِيم شِفاءُ

مَنْ لِعِلْم الفُتْيَا إذا اشْتبه الأمرُ وحارتْ في ردّها الأذْكياءُ

مَنْ لِعِلْم الحَديث بعْدَك فِيمَا قاله الوَاضِعُون[1] والأتْقياءُ

طاهِرَ الأَصْلِ كمْ حويتْ خِصَالاً قصُرتْ عنْ فُروعِها الفُصَحاءُ

مَنْ تَكُنْ هذه السَّجايا سجاياه فلا تشْتفِي به الأَعْدَاءُ

كلُّ ميِّتٍ يكونُ مثْلَ تقي الدين فالموتُ عنْده إحْيَاءُ

أيُّها القبرُ إنَّ فيك لبَحراً جَلّلَتْهُ مهابَةٌ وضيَاءُ

وجلالٌ وعفَّة ووقارٌ وجمالٌ وبهجَةٌ وسناءُ

تعستْ ليلةُ الفِراقِ وغابتْ أنجمٌ أشرقتْ، لهَا لألاءُ

نَعَتِ النَّاعياتُ نعْيَك فِي الأُفْق وناحت في دَوحِهَا الوَرْقَاءُ

أيّها الحَبْر أوْحَشَ الآن ربْعٌ كنْت فِيه، ومنزِلٌ وَفَنَاءُ

هانَ قدْرُ الحَمْرَاءِ عنْدك مِنْ زُهْدِك واستحقرتْ لك البيضَاءُ

ونبذْت الدُّنيا فعِشت فقيراً بصفاتٍ تودُّها الأغنياءُ

يَا ابنَ تيمية الذّي حَزِنَ الدّهرُ عليه وغاضَتِ الأنْواءُ

كنْت إنسانَ عيْنِ دهْرِكَ لا تُعْرفُ حقاً إلَّا بكَ الأشْيَاءُ

خُضْت بحراً ما فيه إلّا إمامٌ ذو اجتهادٍ لكنْ عَداك العِدَاءُ

كنت في ذَرْوة السَّنَامِ مِنَ العِلْم وما قُلْتَ للأنامِ سَوَاءُ

ضاقَ ذَرْعُ الزَّمانِ منك عياءً ليتَ شِعْري هل ضَاق مِنْك القَضَاءُ

وإذا حلَّتِ المَنِيَّة يوماً بنَفِيسٍ فلَيْسَ يُغْنِي الآسَاءُ

نضّرَ اللّهُ وجْهَك الحَسَنَ المَنْظَرِ يا مَنْ لهُ السَّنَا والسَّنَاءُ

---

(١) أي الكذابون الذين يفترون الحديث على رسول الله ـ ﷺ ـ.

وسَقى اللَّهُ روضةً أنت فِيها ... سارياتٍ تجْري بها النَّكْبَاءُ
وعلى قبْرِك المُبجَّلِ قيْصُومٌ ... وَرنْدٌ وفاحَ منْه الكبَاءُ
رَضِي اللَّه عنك حيًّا وميِّتاً ... وسَقى ريْعَكَ المَصُونَ الحَيَاءُ
قَسَمَاً بالإلَهِ لو أنصف الدَّهرُ ... لأَضْحَى فِي كُلّ بَيْتٍ عَزاءُ[1]

* * *

ومنها للشيخ علاء الدين بن غانم[2] رحمه الله:

أيُّ حَبْر مُضِيءٍ، وأيّ إمَامٍ ... فُجعتْ فيه ملّةُ الإسْلام
إبن تيمية التقيُّ إمامُ العصْرِ ... مَن كان شامةً فِي الشَّام
بحرٌ وعلمٌ[3]، قد غاضَ مِنْ بعـ ... ـد ما فاضَ نداه، وعمّ بالإنْعَام
زاهد، عابد، تنزّه في دُنْيَا ... ه عمَّا[4] بها مِنْ حُطام
كان كنزاً لكُلّ طالبِ علمٍ ... ولِمَنْ خافَ أنْ يُرى في حَرام
ولعافٍ، قَدْ جاء يشكو مِنَ الفقْـ ... ـر لديْه ينالُ كُلَّ مُرام
حازَ علماً مَالَهُ مِنْ مُساوٍ ... فِيه، مِنْ عالِمٍ، ولا مِنْ مُسام
ولم يكُن في الدُّنيا له مِنْ نَظيرٍ ... في جميع العُلوم[5]، الأحْكام

(١) هذه المرثية من زيادات المصنف على «العقود الدرية» لابن عبد الهادي.
(٢) الإمام الكبير الأديب علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سلمان المقدسي قال البرزالي: «شيخ فاضل من أعيان الموقعين، ومن حسنات الزمان». وقال ابن رافع السَّلامي: «كان يظهر منه فضائل لطيفة فيما يكتبه، وأشياء حسنة بديعة، وكان مشكور السيرة، قاضياً لحوائج الناس، ذا مروءة وافرة، يحسن إلى من يعرف ومن لا يعرف، ولا يتخلف عن قضاء حاجة لأحد ولو كان يرتكب فيها الخطر»، ثم قال: «وكان مع ذلك ذا دين غزير، كثير التلاوة للقرآن والصيام». توفي سنة ٧٣٧ هـ.
(الذهبي - «ذيل العبر»: ١٩٥ - ١٩٦، ابن رافع السَّلامي - «الوفيات»: ١/١٢٨ - ١٣٠).
(٣) في «العقود الدرية» ص ٤٣٦: «بحر جود وعلم».
(٤) في «المصدر السابق» ص ٤٣٦: «عن كل ما».
(٥) في «المصدر السابق» ص ٤٣٦: «البرايا في الفضل» وأشار في الهامش إلى الرواية التي عندنا بأنها في «هامش الأصل».

كـان في علْمـه وحيـداً فريـداً | لمْ ينالُوا مَا نَالَ في الأَحْلامِ
عـالِم في زَمانِـه، فَاق بـالعِلْـ | ـمِ جميـعَ الأئمَّـة الأَعْـلامِ
كـلّ منْ في دمشقَ نـاحَ عليـه | بـبكـاءٍ، مِـنْ شـدَّةِ الآلامِ
حَمَلُوه على الرِّقابِ إلى القبـرِ، | وكـادُوا أن يهْلَكوا بـالـزّحـامِ
لا[1] يُرى مثلُ[2] يوْمِه عنْدَمَا سا | رَ على النَّعْشِ نحوَ دَارِ السَّلامِ
فُجع النَّاسُ فيه فِي الغَرْب والشَّر | قِ، وأَضْحَوا بالحُزْنِ[3] كالأَيْتَامِ
لـو يُـفـيـدُ الـفـداءُ فـادُوهُ | بالأَرْواحِ منهُمْ مِنَ الرَّدى والحِمَامِ[4]
أوحـدٌ فيـه قـدْ أُصيبَ البرايَـا | فيُعـزَّى فيـه جميـعُ الأَنـامِ[5]
وعزيـزٌ عليهم يـرَوْه وقـدْ غـابَ | بـالـرَّغْمِ فِي الثَّـرى والـرّغـامِ
صـارَ جارَ الإلَـهِ، ربِّ السَّمَـوا | تِ، الـرَّحِيْم، المُهَيْمِنِ، العَـلَّامِ
كان وقْتَ الحرُوبِ بالطَّعنِ والضَّر | بِ سريـعَ القُـدومِ والإقْـدامِ[6]
لا يهـابُ الهَـوْلَ العـظيمَ بقـو | لِ الحقِّ في نَقْضِه، وفِي الإبْرامِ[7]

---

(1) في «المصدر السابق» ص ٤٣٦ : «ما».
(2) في «المصدر السابق» ص ٤٣٦ : «عند».
(3) في «المصدر السابق» ص ٤٣٦ : «في الحزن».
(4) و (5) هذان البيتان ساقطان من «العقود الدرية» ص ٤٩٦ .
(6) و (7) في «العقود» ص ٤٩٦ زيادة:

كـان وقت الحـروب بـالـطعـن والضـر | ب سريـع الـقـدوم والإقـدام
لا يـهـاب الـهـول الـعـظيـم بـقـو | ل الحق فـي نـقـضـه، وفي الإبـرام
تـابـع سـنـة الـرسـول، عـلـيـه | مـن إلـه الـسـمـاء أزكـى سـلام
قـائـم في نـصـر الشـريـعـة بـالعـلم، | وبـالـفـضـل مـنـه كـل قـيـام
كـم بـنـور الـعـلم أخـرج قـومـاً | مـن ضـلال، ومـن عـظـيـم ظـلام
نـال مـا نـال مـن شـريـف مـقـال | بـعـلـوم شـتـى، وعـظم مـقـام
طـبَّـق الأرض بـالـفـتـاوى الـلَّواتـي | هـي مـنـقـذات الـورى مـن الآثـام
حـسـدوه إذ مـالـه مـن نـظـيـر | مـن بـنـي دهـره الـكـبـار الـكـرام
خـصـه بـالـكـمـال مـن كـل عـلـم | ربـنـا، ذو الـجـلال والإكـرام
لـو يـفـدّى بـالـروح كـنـا جـمـيـعـاً | قـد فـديـنـاه مـن هـجـوم الـحـمـام

قــدَّسَ الـلَّهُ روحَــه وسَـقَـى قـبْــرا حَــواهُ هـاطـلاتُ الغَمَـامِ(١)

* * *

ومنهـا للشيخ الأديب مجـد الدين أبي العبـاس أحمـد بن الحسن البغدادي(٢) ثُمّ الدمشقي(٣) وهْيَ:

/لِمُصَـابِ الـبَّـرِ الـتّـقِـيِ الإمَـامِ — كلُّ دمْعٍ مِنَ الورى فِي انسِجَامِ [٣٨/ب]

والـبَـواكِـي لـهـمْ عـلَيْـه نُـواحُ — كفقيـداتٍ صـادحـاتِ الحِـمَـامِ

مـاتَ يـوم الإثنين، والسِّـرُّ فيـه — غيـرُ خـافٍ عَلَى ذَوي الأَفْهَـامِ

مــوتــةٌ عــظَّـمَ الـمهـيمـنُ فـيـهـا — قــدْره في عُـمـوم جَـمْـع الأنَـامِ

حفَّــه الـنـاسُ أجمعــونَ: رجــالاً — ونـســاءً، سعـيـاً على الأقــدامِ

ومشـوْا تحت نعْشِه، وهــوَ مِن فو — قِ رؤوسِ الأعـيـانِ والـحُـكّـامِ

يسْبُلون الـدَّمـوعَ مِن خشيـةِ اللَّـ — ـهِ وحُــزنــاً كمُسبـلات الغَمَــامِ

وضجيـجُ العبـادِ سـرّاً وجـهـراً — كَـدَويّ في شاهقٍ(٤) الجوّ سَـامِ

يـا لَـه مـكـفـهـرُ يـومٌ عـبـوسٌ — عاثَ فِي غَارِب (السّها)(٥) والسِّنامِ

(١) في المصدر السابق ص ٤٩٧ زيادة:

ورضـى عـنـه ربـنـا وتـرضـا — ه، ومـلاّه بـالـنـعـيـم الـنـامـي
فـلقـد كـان نـادراً فـي بـنـي الـدهـ — ـر، وحـسـنـاً فـي أوجـه الأيـام

(٢) أحمد بن الحسن بن علي الحسيني التاجر، مجد الدين، أبو العباس اشتغل بالمعقول ببغداد على ابن المطهر، وبالأصول والطب. ثم قدم دمشق، واشتغل بالعلم، وانتفع به جماعة. توفي سنة ٧٦٥ هـ. (ابن رافع السُلامي ـ الوفيات: ٢/٢٩٢، السبكي ـ طبقات الشافعية: ٥/١٦٨ ـ ١٦٩).

(٣) هذه «المرثية» نسبها الإمام ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» ص ٤٣٦ للإمام ابن غانم المقدسي صاحب الأبيات السابقة.

(٤) في «العقود الدرية» ص ٤٣٧: «سامق».

(٥) في «الأصل»: (النهي) وهو تصحيف وقد أثبتنا الذي في «العقود» ص ٤٣٧.
و«السها» كوكب من بنات نعش الصغرى. و«السنام» أعلى كل شيء، ومنه سنام البعير. (القاموس الجديد ص ٤٩٢).

كَمْ بِهِ عَايَنَ الهلاكَ قويٌّ ذُو نشاطٍ لِفَرْطِ كَظِّ الزّحَامِ
يا لَهَا مِنْ[1] رزيّةٍ، كانَ فيها يومَ بُؤسٍ في طُولِه فَوْقَ عامِ
جلَّ فيه المصابُ، حتّى لقدْر قَّ تعبيرُه عَلَى ذوي[2] الأوْهَامِ
كان شيخَ الإسلامِ في العلْم والزّهدِ وحلِّ مُشْكلاتِ الكَلامِ
فَقَدَ النَّاسُ منه بحراً عليماً هَدْيُه كالأئمّةِ الأَعْلامِ
مِنْه حبُّ الكتابِ والسنّة المُثْلَى: جرَى في عُروقِه والعِظَامِ
بلغ الأوجَ مِنْ سماءِ المَعَالِي وتَسَامى علماً على كُلّ سَامي
وطوىَ ذكرُه البلادَ انْتشاراً فهو حتّى المعاد في النّاس نامي
كان جَبْرَ الكسِير إنْ هاضه الدَّهرُ، وعونَ العانِي، وحطْمَ الحُطامِ[3]
كان لا يرهبُ المُلوك ولا يرغبُ فيمَا لهُم مِنَ الأَنْعَامِ
كان وِتْراً في الفضْل فرداً[4]، وكلُّ النّاسِ جَاءُوا بشَفْعِهِم والتُّؤامِ
كان سمحاً، بمِثْله الدَّهرُ (ضنّا)[5] في ليالِ الزّمانِ والأَيَّامِ
كان سطراً في جبهةِ الدَّهرِ يقرأُ في البرايَا، وشامةً في الشآمِ
كان نفعاً لكُلّ من خاف ضُرّاً في سبيلِ حلالِه والحَرَامِ
لم يكن ذا تأنُّق في مَتاعٍ ولباسٍ، ومَشْربٍ، وَطَعَامِ[6]

---

(١) ساقطة من «العقود» ص. ٤٣٧.
(٢) ساقطة من «المصدر السابق».
(٣) في «العقود الدرية» ص ٤٣٨ زيادة:

كان حب الدنيا إليه بغيضاً فوق بغض الصحيح خوف السقام

(٤) في «المصدر السابق» ص ٤٣٨: «فذا».
(٥) في الأصل «كز» وقد أثبتنا الذي في «العقود الدرية» ص ٤٣٨.
(٦) في «العقود» ص ٤٣٨ زيادة:

كان يخشى داء، ويرجو دواء وشفاء لكل داء عقام

/كانَ فِي اللّه ذا انتقامٍ ولا يُو … جَـدُ يـومـاً لنفْسـه ذَا انتِقَـامِ [٣٩/أ]
كـان بـرّاً يُهْـدى بـه ذُو ضَـلاَلٍ … كـان بحراً، يُـرْوى به كُـلّ ظَامِ
كـان كـالليْثِ بـالنّـوائِب فتكـاً … كـان كـالغيْث بـالمواهِب هَـامِ
في يـديْـه وصـدْره كـلُّ بحْـرٍ … زاخـرٍ بـالنّـوالِ والعِلْمِ طَـامِ
أيّ ندبٍ، شهْم، شجاعٍ، جوادٍ … أروعٍ، مـاجـدٍ سـريٍّ هُـمَـامِ
عليهمْ قَام لمّا تذبْذَبَ النّاسُ بالذّب … عليهم(١) لمّـا نَبـا كُـلّ حَـامِ
كمْ له في جَنادِسِ الخَطْب والنّا … سَ(٢) نيامٌ حتى الضُّحَى مِنْ قِيَامِ
وجميعُ الأنـام مِنْ شِـدَّة الخَـوْ … ف نيـامٌ مِنَ الـرَّدى فِي مَنَـامِ
وبنـو فـارسٍ قـد افتـرسُـوا النّا … سَ افتراسَ الأسُود سُرْعِ (السّوامِ)(٣)
ودمـشقُ الشّـآم بعْـد انْبسـاطٍ … مِنْ ضواحي رستاقها فِي انضِمَامِ
إذ غـزانـا علجُ العُـلوج قـزانٌ … وغـزانَـا مِنْ فـارِسَ بـالـطَّغَـامِ
فـأعـادَ الـعـزيـزَ منّـا ذليـلاً … ذَا صغـارٍ، ينْقَـادُ كـالـلأنْعَـامِ
فنضـاهُ الـجبـارُ، جـلّ ثنـاه … في وجـوه العِدى كحـدِّ الحُسَامِ
فحمـانَـا بـاللّهِ كُـلّ طـاغٍ … لا بـرُمْـحٍ، وصـارِمٍ، وسِهَـامِ
يَـا لَـهُ ـ حين فـرَّ كُـلُّ كَمِيٍّ … مِنْ حماة الإسلام عنّا ـ : يُحَامِي(٤)
يـا ابن تيميـة، عليـك خصوصـاً … وعـمـومـاً: تحيّـتي وسَـلاَمِي
يـا سليلَ العُلاَ، عليـك القـوافي … قـدْ بكتْ في الطُّروسِ بـالأقْلاَمِ
يـا فقيدَ المِثـالِ: علماً، وحِلْمـاً … وقـريبَ المَـرْمى، بعيـدَ المَرَام

---

(١) في «المصدر السابق» ص ٤٣٨ : «وتبدي».
(٢) في «المصدر السابق» ص ٤٣٨ : «الخلق».
(٣) في الأصل «الحوامي» وقد أثبتنا ما في «العقود الدرية»: ص ٤٣٩.
(٤) في «العقود» ص ٤٣٩ : «محامي».

يا بطيءَ الإحجامِ إن عزَّ خطْبٌ وكثيرَ[1] القيامِ جُنْحَ الظَّلامِ[2] [3]
يـا مُحلَّى، وكـاسياً كـلّ فضـلٍ ومُـعـرّى مِن كـلّ عـارٍ وذَامِ
كفَّ طرْفِي إن لَذَّ مِن بعْد مَرآ ك لأجفـانـه لـذيـذُ المَنـامِ
وبِـودِّي ـ بفقْد شخْصِكَ ـ لَوْحا مَ على أيْكَتِي حَمَـامُ حِمَـامِي
ولعمْري، يـا منْ لـه في فُؤادي لـحْـدُ ذِكْـرٍ، دوامُـه بـدَوامِي
إن حللْت الثَّرى فـروحُـك حلّتْ يا ابن عبد السَّلامَ، دارَ السَّلَامِ
فـسقَـى تـربـةً حـواكَ ثَـراهَـا كـلُّ مُزْنٍ بـوابِـلٍ (وَرِهَـام)[4]
وإذا سحّـتِ السَّـوارى بسَـحٍّ والغـوادِي، جُدْنَـاك بالـدَّمْـع دَامِ

ومنها لمحمود بن الأثير[5] الحلبي[6]:

[٣٩/ب] /يا دموعي سحّي كسُحُبِ الغمَامِ هـاطـلاتٍ على الخـدودِ سِجامِ
لفـراقِ الشيـخ الإمـامِ المُفـدَّى ابـن تيمـيـة ونـجـلِ الكِـرَامِ
زاهـد، عـابـد، تـقـيّ، نـقـيّ فـهـمُـه لا يُـقـاس بـالأفْـهـامِ
ابـن تـيـمـيـة يـتـيـمـةُ دهْـرٍ مـالـه منْ مساوِمٍ ومُـسـامِي
فُجِعْتَ فيه أهلُ كلٍّ[7] البرايا جـمْـعَـهـا لـلعـلُوم والأحْـكَـامِ

(١) في «المصدر السابق» ص ٤٣٩: «وسريع».
(٢) في «المصدر السابق» ص ٤٣٩: «والإقدام». ورواية «العقود» أقرب وأوفق لصدر البيت، وإن كانت رواية المصنف كذلك صحيحة.
(٣) في «العقود» ص ٤٣٩ زيادة:

يـا محلى وكـاسيـا كـل فضـل ومـعـرًى مـن كـل عـار وذام

(٤) في «الأصل»: (زهام) وهو تصحيف. لأن «الزهم» هو ريح اللَّحم السمين المنتن».
أما معنى «الرهام» فهو المطر. (ابن منظور ـ لسان العرب: ١٢٤٣/١ وانظر ٥٨/٢).
(٥) في «العقود الدرية» ص ٤٩٢: «الأمير».
(٦) لم أجد ترجمته. قال ابن عبد الهادي في «العقود» ص ٤٩٢: «. . . نظمها رجل اسمه جمال الدين محمود بن الأمير الحلبي، وأرسلها من حلب المحروسة».
(٧) في «العقود» ص ٤٩٣: «كل أهل».

أوْحد في العُلوم والفضْل والزّهد، ... لا يُرائي في مِلَّة الإسْلام
بحرُ علْمٍ يغوص كلُّ لبيبٍ ... في معانيه، حَار كُلّ الأَنَام
فاق بالعِلْم والفضائِل للخلْق، ... فأضحَى إمامَ كُلّ إمَام
إن يكن غاب شخْصُه وتوَارى ... ومضتْ روحُه لدَارِ السلام
فمناقبُه والفضائلُ تبْقى ... في ممرّ الدّهور والأَعْوام
سيدٌ قد علاَ بعِلم وحِلْمٍ ... فعِدَاه لديْه كالأَنْعام
كمْ رماه[1] الحسّاد بالكيْد والبغْـ ... ـي، وهو لَا ينْثني عَنِ الإقدام
طالبُ الحقِّ لا يخاف لحيْفٍ ... وهو يحْمي عن ذَرْوة الإسلام
لا يخافُ الملوكَ أيضاً، ولا الخَلْـ ... ـقَ، ولا العُداة[2] مَعَ اللّوام

إلى أن قال[3]:

(1) في «المصادر السابقة» ص ٤٩٣: «رموه».
(2) في «المصدر السابق» ص ٤٩٣: «العبيد».
(3) الأبيات التي تجاوزها المصنف اختصاراً هي:

كم ملوك أتى بحزم وعزم ... وهو في الله مسرع الأقدام
ولغازان إذ أتاه بقلب ... ما أسود الغابات مع ضرغام
فتلقاه بالبشاشة والرحـ ... ـب والعطايا، والعز والإكرام
أخذ العهد منه للناس جميـ ... ـعاً بأمان لكل أهل الشآم
نفس صادق تقبله اللّـ ... ـه، فأطاعته كل تلك الأنام
وحماهم في الحمى بخشوع ... وخضوع للواحد العلام
قل لمن رام للفخار ويبغى ... رتبة قد علت بحد الحسام
هو في رتبة النبيين، فاعلم ... هكذا أخبر النبي التهامي
فقدته الدني، مع الدين والعلـ ... ـم، وكل الزهاد والأيتام
كم فتاوى أتته، مع كل شخص ... أعجزت كل عالم صمصام
حلها كالنسيم في الحال، وجلى ... لصداها من علة الأسقام
كان بحراً للناس، من غاص فيه ... فاز بالدر منه، لا بالحطام
أوحد الخلق في التفاسير طرا ... والأحاديث، والعلوم التمام
شيخ كل الإسلام في الزهد والنسـ ... ـك والعبادات، والتقى، والصيام
كان شمس الضحى، ونيل البرايا ... وإمام العلوم، والاحتشام

صـدْرُه لـلعلُومِ، والـقلْبُ لـلَّربّ ويـداه لـلبَـذْلِ والإنْـعَـامِ[1]

لا تلُمْنِي على المـديـحِ، ودعْنِي فهو شيْخي، وبُغْيتي، ومَرامِي[2][3]

كـلُ منْ مـاتَ فِي هـواهُ بـوجْـدٍ مـا عليْـه فِي حتْفِـه مِنْ مَـلامِ[4]

وذكر تمامها[5]، وهي إحدى وخمسون بيتاً.

* * *

---

(١) في «العقود الدرية» ص ٤٩٤ زيادة:

ولـديـه أهـل الـعـلوم تـداعـت إذ هـوت حـولـه فـي الازدحـامِ
تبتغي مـن جنـى معـانيـه نـطقـا يستضيء منـه في ديـاجي الـظلامِ
فـيـروي قـلوبـهـم بـعـلوم فـتـراهـم سـكـرى بـغـيـر مـدامِ
كـلمـا رمـت سـلوة عـن هـواه قـادني الشـوق نـحـوه بـزمـامِ

(٢) في «المصدر السابق» ص ٤٩٤: «وغرامي».

(٣) في «المصدر السابق» زيادة:

خجـل البـدر من سنـاه فـأضحى يعتـريـه النقـصـان عنـد التمـامِ

(٤) في «المصدر السابق» ص ٤٩٤ زيادة:

استمـع يـا عـذول بـالله وافـهـم لـمعـانيـه في جـميـع نـظامي

(٥) وتمامها هو:

قـد تساوى في الحي كـل وزيـر عـنـده، مـع رذالـة الأعـوامِ
فضله شـاع بيـن كـل الـبـرايـا بـعلوم شبـه الـبحـار الـطوامي
كـان بـدراً يضيء في الناس بـالعلـ ـم وإمـامـاً، فيـا لـه، من إمـامِ
حسـدوه عنـد الـوفـاة على الخلق، فلم يخـل منهـمـو في الحـمـامِ
نـقلتـه أيـدي المـنيـة بـالـحق بـجنـان الخلود، والـدمـع دامي
يـا لهـا سـاعـة، لقى الله فيـهـا حـاز فيهـا المنى ونيـل المـرامِ
فـهـو في جنـة النعـيـم مفـدى بين حـور، كـلؤلؤ في الخِيـامِ
قـدس الله روحـه، مـع أخـيـه مـا أضـاء الـصبـاح بـالابـتـسـامِ
يـا نـسيـم الـصبـا بـالله بـلـغ لـحـبـيـبـي تـحـيـتـي وسـلامي
وتـعـرض على المحبـيـن ذكـري وشـجـوني وشـقـوتي وسـقـامي
ثـم صـف مـا أكـابـد الآن فـيـه من هـمـومي ولـوعتي وهـيـامي
وتقـول العبيـد: محـمـود أضحى بـدمـوع وعـبـرة كـالـغـمـامِ

ومنها للشيخ الإمام زين الدين عمر بن الحسام الشبلي:

لَـوْ كَانَ يُقنعني عليـك بُكـائي ... لجـرتْ سـوابقُ عبْـرتي بـدِمَـاءِ
(وكنتَ في يـوم انتقـالِـك لِلْبلى ... صخراً لزدْت على)[1] بُكى الخَنْسَاءِ
(لكنْ أصبرُ عنك نفسي كـاتمـاً ... للحُزن، خوف)[2] شماتةِ الأَعدَاءِ
(أتُرى علِمْت وأنتَ أفضلُ عالِمٍ، ... ما عِنْدنا مِنْ لـوعَـةٍ)[3] وبَـلاءِ؟
(أسفِي على تلْك الـدِّيانةِ والتُّقى ... والجـودُ آذن قربُـه)[4] بـتَـنَـاءِ
(أسفي عليك، وما التأسُّف نافـعٌ ... صبًّاً عليـكَ مُقَلْقَـلَ)[5] الأحْشـاءِ
/(أسفي عليك نُفِيَ الكَرى عنْ ناظِريّ ... مِنْ فَـرْط أَحْـزَانِي وفـرْط عَنـائِي [٤٠/أ]
غاضَتْ بحارُ العِلم بعْدك، والـوَرى ... فـي غفـلةٍ، يـا سيِّـد الـعُلَمَـاءِ
بأَبي، وحيداً مات منفرداً عن الـ ... أحبـابِ، كـانَ بقيّـةَ الصُّلَحَـاءِ
بحرُ العلوم، حوىَ الفَضَائِل كلَّهـا ... وسمـا سُمـوّ كـواكِب الجَـوْزَاءِ
مـتـفـرداً فـي كُـلّ عـلمٍ دونـه ... لـعُلوّ رُتـبتـه ذُرى الـعَلْيـاءِ
بـالفضلِ قـدْ شهدتْ لـهُ أعـداؤهُ ... وبـه سمَـا فضـلاً على النُّـظَرَاءِ
شيخُ العلوم، وتابع السَّلفِ، الذي ... تَبعُـوا الـرسـولَ بشـدّة وَرَخـاءِ
وإمامُ أهل الأرْض، والمُبدي لهم ... سُنَنَ الهُـدى عنْ صِحَّـةِ الأَنْبَـاءِ
ذُو الصَّالِحات، وذو الشَّجاعة والتُّقى ... والـجـودِ، والـبَـركَـاتِ، والآلاَءِ
منْ كـان لا يثْني لـطالبِ جُـودِه ... حَـتَّى يُـبْلِغـه لـكُـلّ رَجَـاءِ
يجفُو المضاجعَ راكعاً أو سـاجداً ... أو ذاكـراً لـلّه فـي الـظُّلمـاء
كالصَّبرِ في حَنَكِ العدوّ مـذاقُـه ... وألَـذُّ من شهْـد إلى الجُلسـاءِ

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) مطموسة في «الأصل» بسبب الرطوبة، وقد ألحقنا النقص من «العقود الدرية» ص ٥١٠.

المانحُ، البحرُ، الغمامُ[1]، العالمُ   الحَبرُ، الإمامُ،[2] وحجَّةُ الفُقهاءِ
الواهبُ المالَ الجزيلُ وغامرُ الضَّيـ   ـفِ النـزيـلُ بـوافِـر النَّعمـاءِ
المُحسن الكافِي السؤالَ وحاسمُ الـ   ـداءِ العُضَالِ، وكـاشُف الغَمَّـاءِ
صدْرُالمدارسِ والمجالسِ أَحمدُالمحـ   ـمـودِ فـي عَـوْدٍ، وَفـي إبْـداءِ
وإذا المسائلُ في الفَتاوى أفْحَمَتْ   أهــلَ الـعُلوم وحُـجِّبـت بخَـفَـاءِ
وأتتْ تقي الدين أظهرَ مـا اخْتفى   منْهــا، وأبـداهُ لـعيْـن الـرَّائِـي
فيَرى[3] سُهَاها في الخَفاء بكَشْفِه   كـالشَّمْسِ مُشـرقـةً بصحْـوِ سمَـاءِ
ويـرى البصيـرُ الحقَّ فيمـا (قـالـه   والحقُّ)[4] لا يخفَى على البُصراءِ
سجنُـوه خَشْيـة أن يُـرى (متبـذِّلاً   صـوناً، فنـال منـازل)[5] الشُّهـداءِ
للْمؤمنين لَـه، وعنْـد (عـدوِّهـم   ذاك الكسيـر، وعـزَّة الخُلفـاءِ)[6]
في المُحـدثين أتى بفضلٍ (بـاهرٍ   ومَنَـاقِبٍ أربَتْ على القُـدَمَـاءِ)[7]
أيُّ خاشعٍ أيّ شـاكرٍ أيّ (ذاكـرٍ   للَّه في الإصْبـاح والإمْسـاءِ)[8]
أي زاهـدٍ، أي حامـدٍ (أي باذلٍ   للمُسلمين نصائحَ النُّصحـاءِ)[9]
[٤٠/ب] خيرُ/ الصِّفـات صفـاتُـه، وثنـاؤُه   بـالجُـود بين النَّـاس خيرُ ثنـاءِ
ويـظلُّ يسـأل جـودُه عن سـائـل   ذي فـاقـةٍ لـيَـبـرَّهُ بـعَـطاءِ
وتـراه يُشْـرق وجهُـه مـتـهَـلِّلاً   للسَّـائلين لـه شُـروق ذُكَـاءِ[10]
بَادي التبسُّم عند بـذْل[11] نـوَالِـه   لُـطفـاً إلى الفقـراءِ والضُّـعَفَـاءِ

(١) في (العقود الدرية) ص ٥١١: «الإمام».
(٢) في «المصدر السابق» ص ٥١١: «الهمام».
(٣) في «المصدر السابق» ص ٥١١: «فترى».
(٤) و (٥) و (٦) و (٧) و (٨) و (٩) مطموسة في الأصل بسبب الرطوبة، وقد ألحقنا النقص من «العقود الدرية» ص ٥١١.
(١٠) هي الشمس.
(١١) في «العقود الدرية» ص ٥١٢: «بدل» وهو تصحيف.

(أرْبى)[1] على فضْلِ البرامِكَةِ الأُولى	وَطوَت مكارِمُه حديثَ الطَائي
منْ جاء يسألُه ويشاهدُ عنده	بذْلَ المُلوك، وعيشَةَ الفُقَراءِ
يرْبَى على سحّ السحّائِب جودُه	وكذا تكونُ مواهبُ الكرمَاءِ
والجُود يرفع أهْلَه بيْن الورَى	أبداً، ويهْوي البخْلُ بالبُخلاءِ
وله إذَا اصْطَدَمَ القتالُ شجاعةٌ	قامتْ بنصر الدِّين فِي الهيْجاءِ
سلْ عنه غازاناً، وسلْ أمراءَه	لما أَتَوْا بطلائِع الأَسَراءِ
والمغْلُ قد ملكوا البلاد وأهلهَا	كم فكّ مِنْ عانٍ بغيْر عَناءِ؟
وكذا بِشُحْقُبَ[2]، والتّتار قدْ أقْبلُوا	كالطّم[3] في أُممٍ بغيْر مرَاءِ
والمُسلمون على النُّزول، قد أجْمعوا	والمغلُ عنهم نظرةٌ للرَّائي
من حرَّضَ السّلطان والأُمراءَ عَلَى	ترْكِ النّزول، سِواه عنْد مَسَاءِ؟
قالَ: اثبتُوا، فلكمْ دليلُ النَّصر قد	وَافى، فكَان النصر عِنْد لِقَاءِ
وأتَى جبالَ الكسْروانِ، فأذَّنتْ	بدَمارها مِنْ بعد طُول بَقَاءِ
وله بكل مدينةٍ ذكرٌ أتى	كالمَلَكِ فهْو مُعطِّرُ الأَرْجَاءِ
سِيرٌ له نظمْتُها، سارتْ بها الرُّ	كبانُ، دونَ قصائِد الشّعَرَاءِ
وإذا إمامُ المسلمين وشيخُهم	ولّى، وعزَّ علَى عَزاه عَزائِي
أدعُو إلَه العرْش يجمعُ بيْننا	في جنَّة الفِرْدَوْسِ، فهْو رَجَائِي
وعليه من رب السَّماء تحيَّةٌ	تبْقى لَهُ أبداً بغيْر فَناءِ

ومنها للشيخ جمال الدين، عبد الصمد بن إبراهيم البغدادي الحنبلي[4]،

---

(١) في الأصل «أزرى» وقد أثبتنا ما في «العقود» ص ٥١٢.

(٢) ساقطة من «العقود» ص ٥١٢.

(٣) في الأصل «بالطم» وقد أثبتنا الذي في «العقود» ص ٥١٢.

(٤) صاحب كتاب «الإكسير في التفسير». قال ابن رافع السّلامي: وكان يعظ، ويذكر من التفسير. وله تصنيف في الرقائق، وله نظم». توفي سنة ٧٦٥ هـ. (ابن رافع السّلامي ـ الوفيات: ٢/٢٩٣، البغدادي ـ هدية العارفين: ١/٥٧٤).

المعروف بابن الخضري[1]:

عِشْ مـا تشاءُ، فـإن آخِـرَه الفَنَـا … المـوتُ مـا لاَ بُـدَّ عنـه ولا غِنَى

والـدَّهْر إن يـوماً أعـانَ، فـطالـمَـا … بـالسُّوء عَـانَ، فعـوْنُـه عيْنُ العَنَـا

لا بُـــدَّ مِنْ يـوم ٍ يؤُمُّــك حتفُــه … حتْماً، نَأى الأجلُ المُقدَّرُ، أَوْ دَنَا

لِلّنفِس سهمٌ مِن سهـــام ِ نَــوائبٍ … يُرمى، فَتصْمى[2] مِنْ هُناك ومِنْ هُنَا

مِنْ غـرّه الأَمدُ[3] المـديدُ، فـإنَّـه … غِــرٌّ، لأن طَعَــامَــه لنْ يُسْمِـنَــا

شمْسُ الحيـاة تضيّفتْ[4]، ومشيبُه … ضيفٌ يجـرّ مِنَ المنيّــة ضَيْفَنَــا

مِنْ حينَ أُوجِدَ كان نفسُ وجـودِه … في الكـونِ بالعَـدَم المحقّق مُؤْذنَا

يـا مَن يعدُّ الـدَّهْر صـاحِبَ دهْره … ويعــدّ فيـه لــلإِقــامــة مــوْطِنَــا

أوَ مَا رأيت الموْت كيف سَطَا بمنْ … في الخَلْق عَنْ محض العُلوم تكوّنَا

نَـدْبٌ مبـاحٌ، الصّبـرُ حـظْرٌ بعْـدَه … فلِمَ اسْتحالَ، وكان شيئاً مُمْكنَا؟

بَزَّ الأنامَ، مـع البذاذةِ[5]، فضْلَه … إذْ لم يكنْ بسـوى التّقى مُتَـزيّنَـا

ترك الجميعَ عَلى الجُموع ِ، فلم يهبْ … تلك الجموعَ ولا اسْتراب، ولاَ ونَى

ولكم مقـاماتٌ لـه في الحقِّ، لاَ … بيضَ الظُّبا يخْشَى، ولا سُمُرَ القنَا

بـالعُرف يـأْمُر، نـاهياً عنْ مُنكـرٍ … متقرباً، وهـو البعيدُ عنِ الخَنَـا[6]

---

(١) في «الأصل»: «الحصري» وهو تصحيف. «انظر ابن كثير ـ البداية والنهاية: ٣٠٨/١٤، ابن رجب ـ ذيل طبقات الحنابلة ٤١٣/٢).

(٢) في «العقود» ص ٤٧٨: «فيصمى».

(٣) في «المصدر السابق» ص ٤٧٨: «الأمل» وكلا الوجهين صالح للمعنى.

(٤) أي مالت إلى الغروب.

(٥) أي تقدم الناس وسادهم مع عدم الاعتناء والتأنق في الملبس. لأن تجمله وفضله كان بالتقى والعلم.

(٦) في «العقود الدرية» ص ٤٧٩ زيادة:

ما حاد[1] عن نَهْجِ الصَّوابِ وما اعْتَدَى ... وبغيْر تحصيلِ الفضائِل ما اعْتَنى

/إما تبارِزُه، تجِدْه مُبَرِّزاً ... في أيِّ علمٍ شئْتَ، حَبْراً مُتْقِنا [41/أ]

وإذا تُجاريه، فما السَّيلُ انبرى ... إما جَرى في بحْثِه مُتَفَنِّنا

مُتزهداً، مُتعبداً، مُتهجداً ... مُتخشِّعاً، مُتورعاً، مُتديِّنا

في كل عصرٍ سيدٌ، هو حجةُ الـ ... ـباري على كُلّ الخلائقِ في الدُّنا

ونرى أحقَّ من استحقَّ، فحازَ ذا ... مَنْ للإمامة لمْ يزلْ متعيِّنا

شيخُ الأنامِ وحجةُ الإسلامِ منْ ... أغناهُ (نشرُ)[2] الذِّكْر عنْ ذكْرِ الكُنى

أعني أبَا العباسِ أحمدَ، بل تقيـ ... ـي الدِّين حقاً والعليمَ المُمعَّنا

في الله ليس يخافُ لومةَ لائمٍ ... ويرى النَّوى فيه نهاياتِ المُنى

لمّا تحقق أنَّ كُلّ مُخلّفٍ ... يفْنى، وإن كانَ النفيسَ، المُثْمنا

لم يدخر قوتاً لأجْلِ غدٍ، ولا ... أبْقى له إرثاً سوى حُسْنِ الثَّنا

صدرٌ حوى في صدْرِه لكمالِه ... مِنْ كُلّ علمٍ مَعنويٍّ[3] مَعْدِنَا

ظهرت إمارات[4] الولاية بعْدَهُ ... واسأَلْ لتُصبِحَ بالحَقَائِقِ مُوقِنا

واسمعْ مقالَةَ أحمدَ[5] متوعِداً ... أَعداءَهُ: يَومُ الجَنائِزِ بيْنَنا

فأحقُ ما يُبكي عليه فَقْدُهُ ... ما موتُ هذا الحَبْرِ رُزْءاً هينَا

فيضُ النُّفوس يقلُّ فيه، فلا تلُمْ ... وأعِنْ عيوناً فِضن فِيه أَعْيُنَا

ويخص أوقات الخصاصة بالنَّدى ... فيعم عادا، فقره أعلا الغنا

فبخير ما سنن، وبالسنن اقتدى ... والشكر والذكر الجميلين اقتنى

(١) في «المصدر السابق» ص ٤٧٩: «ما جار».

(٢) في «الأصل»: (ذي).

(٣) في «العقود» ص ٤٧٩: (معلوي) وهو تصحيف.

(٤) في «المصدر السابق» ص ٤٧٩: (ولايات).

(٥) القائل هو الإمام أحمد بن حنبل، وتمام عبارته: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز»، انظر ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٣٩٠، وانظر «فصل في ذكر وفاة الشيخ ابن تيمية» من هذا الكتاب.

يـا مَنْ أعادَ أُولي التشـدُّقِ علمُـه   خُـرْسـاً، وأنـطق بـالثَّنـاء الألْسُنـا
يـا دوحةَ الفضْـل التّي في أصْلِها   طيبٌ، وزاكِي فـرْعِها حُلْوُ الجَنـا
يا حَبرُ، بل يَا بحرُ، كمْ حَيَّرتَ مِن   حَبْـر تُصيِّـر ذا الفصـاحَـةِ ألْكَنـا
يا خاتِم الفُضـلاءِ، علمُك معجـزٌ   بهَر الوَرى، فصـدرْتُ عنه مُؤْمنَـا
إنْ كـان ذا حفظاً، فـوقتُك ضيقٌ   عنـه، ولوْ كـانَ الزّمانُ لَـهُ أنَـا
لكنَّـه منْ فضـلٍ مـا هـو قـاذفٌ   بـالحقِّ مِن نُـور الـوِلايـة والسَّنَـا
أَسَّسْتَ بنياناً على تَقْوى ورضــ   ـوانٍ، فلا سيّما قـد ارْتـفـع البِـنَـا
غبـرْتَ، يـا من لا يُشقُّ غُبـارُه   في أوْجِـه الفُضَـلاءِ قِـدْماً قَبْلَنَـا
جاهدت في ذاتِ المُهيمن صابراً   عنْـد الأذى، فأنْت بشـاراتُ الهَنَا
إنَّ الـذين يُجاهـدون عـدوّنـا   فينَـا، سنَهْـدِيهم إلـيْنـا سُبُلَنَـا
اللَّه قـد أثنى على العُلمـاءِ في   نصّ الكتاب وأنْت أوْلى مَنْ عَنى
لا غَـرْو إنْ كنتَ ابتليتَ بحاسـدٍ   فـالحـرُّ مُمتحنٌ بـأوْلادِ الـزِّنَـا
أشكُو إليك، وأنْت أصلُ شِكايَتي   مِنْ فـرط ضُرٍّ في افْتقـادِك مَسّنَـا
قـد عبَّرتْ عبـراتُنا عنْ[1] حُـزْنِنَـا   وبِمَا تجرّ[2] مِن الجَوى نطقَ الضَّنَى
سَقياً لتلك الرُّوح مِنْ سُحُب الرِّضا   وتبـوَّأتَ جنـاتِ عـدْن مسْكَنـا
لَـوْ كَان فيهَـا الموتُ يقْبـل فديـةً   كـان الأنـامُ فـدَى، وأوّلُهم أنَـا

ومنها للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الكريم بن أنوشروان التبريزي الحنفي[3]:

صبـراً جميلاً فـالمُصـاب كبيـرُ   كـادت جبالُ الأرض منْـه تمُورُ
وجسيمُ خطْبٍ قَدْ عَلاَ كُلَّ الوَرى   فُقِـدَ الضِّيـاءُ وأظلَمَ الـدَّيْجُـورُ

(١) في «العقود الدرية» ص ٤٨٠: (من).
(٢) في «المصدر السابق» ص ٤٨٠: (تجنّ).
(٣) هذه المرثية القيِّمة من زيادات المصنف على «العقود الدرية» لابن عبد الهادي.

وانهدَّ ركنُ فضائِلٍ وَفَواضِلٍ فعليْهما رُكنُ الأَسَى معْمُورُ
/وَعَلَى تقي الدين أحزانُ الوَرَى لسَحائِبِ الدَّمْع الغَزيرِ تُثِيرُ [٤١/ب]
لَوْلَا ابتغاءُ الأَجْرِ لم يُحمَلْ على صبْر علَى هذَا المُصاب صبُورُ
أَفَلَتْ شموسُ المُكْرماتِ وأظلم الشَّامُ المنيرُ وزالَ عنْه النُّورُ
نور الفَتَى التيّميِّ والقُطْب الَّذي فَلكُ العلوم عليه كَانَ يدُورُ
صبْرٌ به كانَ الزَّمانُ ومنْ بِهِ يزْهُو ويُشْرِقُ فِي الدُّجَى ويُنِيرُ
علَمُ التعبّد والتزهّد والتّقى في سائر الدُّنيا له منْشُورُ
ورُسوخُه في كلّ علمٍ نافعٍ فحديثُه بين الوَرى مشْهُورُ
قدْ كان صدْراً في الصُّدُور فمُذْ نَأى ضاقَتْ على صدْرِ الصُّدورِ صُدُورُ
لا غرْو إنْ فاضَتْ عليه مدامعٌ حرَّى وإن قُصمَت عليه ظُهورُ
تبكي السماءُ عليهِ والأرضُ التّي بصفائِها لفراقِه تكْديرُ
وبكى مُصلّاه ومنبرُه وموضعُ درْسه والجامعُ المعمُورُ
وبكى الغمامُ لفقدِه وتفطرَت عن أعْينٍ تجري عليْه صُخُورُ
وكذاك رباتُ الخُدور بكيْنَهُ وتهتّكت منْها عليْه سُتُورُ
نشرتْ له الغرباتِ بانات اللِّوى عِوضَ الشُّعورِ وما لَهُنَّ شُعُورُ
وعليه نُحْنَ على الأَراكِ حمائمٌ يندُبْنه أسفاً وهُنّ طيُورُ
فالصَّبُ إنْ صبَّ المدامِعَ بعْدَ من يهْوى، ومات فإنَّه معذُورُ
والنَّاس في حُزنٍ عليْه وإنَّهُ عبدٌ بلقاء ربِّه مسرُورُ
غار الإلَهُ عليه منْ أغيارِه فَزَوَاهُ عنهم، والمُحِبُّ غيُورُ
فخَلَا به يتلو عليه كَلَامَه وله الحبيبُ مؤانسٌ وسميرُ
حتَّى إذا اشتدَّ التشوُّق زَفَّهُ زَفَّ العرُوس وذيلُها مجْرُورُ
وشعارُ كل مشيّع لسريرِه التسبيحُ والتَّهليلُ والتكبيرُ

ولقـد سرى فـوقَ الرِّقـاب سريـرُه ... فعجبْتُ كيف الـرَّاسيَـات تسيـرُ

مـا كنت أعلم قبْـلَ يَـوْم وفـاتِـه ... أنَّ الـبِحَـار الـزاخِـراتِ تـفُـورُ

ولقـدْ سـرتْ لسَـريـرِه لمَّـا سـرَى ... سِيـرٌ لهَـا حتَّى النّشُـورِ نشُـورُ

تفنى اللّيـالي والـزّمـانُ وذكـرُه ... متجـمِّـدٌ بيـن الـوَرى مـذْكُـورُ

[٤٢/أ] /قد كَانَ فِي الـدُّنيا هـلالاً لائحـاً ... كـلٌّ إلـيْـه بـالـبَنَـانِ يُشِـيـرُ

وكَـذا جنـازتُـه ـ تعـالى اللَّهُ ـ لمْ ... يُنْـظَرْ لهـا في العـالمين نَـظِيـرُ

ومِنَ العجـائب أنهـا نَـطقَتْ على ... صمْتٍ بمـا هُـو كـامنٌ مسْتـورُ

إنّ المشيّـع للجَـنـازة لمْ يـعُـدْ ... إلَّا وسـائـرُ ذنْـبـه مـغْـفُـورُ

هــذا هُـو الفضـلُ المُبين وهـذِه ... نـعـم عـليهـا ربُّـنـا مشـكُـورُ

لا أوحش الـلَّهُ الـوُجُـودَ مِـنَ ... الَّذي أنستْ به في المُوحشات قبُورُ

وإلـى جِنَـان الله راحَـتْ رُوحُـه ... بِـلِقَـاه منهـا بـهـجـةٌ وسُـرورُ

طُـوبى لميِّتٍ جـاور القبْـر الـذِّي ... فيـه فتَـى تيْـميَّـةٍ مـقْـبـورُ

بــل فـازَ نــزّال ثَـوَوْا بجَنـابِـه ... إنَّ الـكـريـمَ نـزيـلُه مـخْـفُـورُ

فينـالُ حتَّى الحشـر مِنْ بـركـاتِـه ... وعـلـيـه تنْـزلُ رحـمـةٌ وحُـبُـورُ

يا رب فاجْمع بيننا في جنَّـةِ المأ ... وى فـأنْت لِمـا تَـشَـاء قـديـرُ

وله أيضاً ـ رحمه الله ـ (١) :

عمَّ المصـابُ فلا تبكُـوا بغير دمٍ ... على ابن تيمية ذي العِلْم والحِكَمِ

حَبْـر البـريَّـة ولَّى وهْـوَ في دَعَـةٍ ... وكـل جَفْنٍ فلا يبْكي عليْـه عَمِي

لَـوْ أنَّ كُـلَّ تقيّ فِي الأَنَـام فَـلا ... نفْسَ الإمـام تقي الـدِّين لمْ يلُمِ

إذَا تــذكّـره مَـنْ كـان يـأْلـفُـه ... يهزُّه الشَّوقُ من فَرَق(٢) إلى قَدَمِ

(١) هذه المرثية ـ أيضاً ـ من زيادة المصنف على «العقود الدرية» لابن عبد الهادي.

(٢) أي: مفرق شعر الرأس.

يا ثلمةً ثُلِمَتْ في الدِّين واتَّسعتْ فلسْتِ حتَى اللِّقاءِ والحشْر تلْتَئِمي
هيهاتَ هل تسْمَحُ الدُّنيا بمثلِ فتَى تيميَّةِ أو يُرى في عَالَم الحُلُم
كانت به تفخَرُ الدُّنيا وقد بقيتْ بـه تُفـاخـرُ أجـداثٌ ذوُو رِمَمِ
فالعِلْم والحِلْم والتُّقوى بِهنّ غـدَا في النَّاس أشهرَ من نَارِ على عَلَمِ
والزّهد في زُخـرف الدُّنيـا وزينتِها مِن (وصفه كان منسوباً)[1] إلى الكَرمِ
مَوْلَى على حبّه الأرواحُ قدْ جُبِلَتْ ولستُ في القَولِ والدَّعوىْ بمُتَّهَمِ
ما ذَاكَ إلاَّ لمَا قـدْ كان خصصّـه بـه الإلـه من الأخـلاقِ والشِّيَمِ
مَنْ للمَسائِلِ قَدْ أعيَتْ فيُوضِحُهـا وضوح برْقٍ (مُشعٍّ)[2] لاحَ في الظُّلَمِ
كالْبَحْرِ يـزخَرُ إنْ بثَّ العُلُومَ وَكَـا لسَّيلِ الذِي مَدَّهُ (المُزْنُ)[3] بالدِّيَمِ

ومنها (قصيدة من القصائد التي رثى بها شيخ الإسلام، تقي الدين بن تيمية وهي لرجل جندي بالديار المصرية يقال له: بدر الدين، محمد بن عز الدين أند من المغيثي، رجل فاضل له محفوظات متنوعة، وفيه ديانة وصلابة في دينه. أرسلها، وذكر أنَّه عرضها على الإمام أبي حيان)[4]:

(خـطبٌ دنَـا، فبكى لـه الإسـلامُ وبـكتْ لِـعـظْمِ بُكـائِـهِ الأيَّـامُ
وبكتْ له بعبْرتها السَّماءُ، فأمطرتْ في غيـر فَصْـلٍ تسْمـح الأعْـوامُ
وبكتْ له الأرضُ الجليدةُ بعدَ مَا أضْـحى عـليهـا وحْشَـةٌ وقِتَـامُ
وتـزلْـزلت كـلّ القلوبِ لفقْـده وتـواتـرتْ مِـنْ بَـعْـدِهِ الآلامُ

---

(١) مطموسة في «الأصل» من أثر الرطوبة، وهناك بعض الحروف بقي رسمها، وقد أتممتها مجتهداً.
(٢) مطموسة في «الأصل» من أثر الرطوبة.
(٣) مطموسة في «الأصل» بسبب الرطوبة، وقد ألحقتها من عندي لسدِّ النقص. والمُزْنُ هو السَّحاب.
(٤) وقع سقط في «الأصل» بمقدار ورقة، وقد استدركناه من «العقود الدرية» لابن عبد الهادي ص ٤٩٧ ـ ٥٠١ ووضعناه بين معكوفي للتنبيه عليه.

ولمُؤْمِني الجِنّ حزْنٌ شامِلٌ ... ونِياحةٌ نطقت بهَا الأَحْلَامُ
وتفجَّعَ الدِّينُ القويمُ لفقْدِهِ ... وبقي غريباً يُبتلَى ويُضَامُ
مذ ماتَ ناصرُه الذي أوْصافُه ... أبدا تكونُ على سَواهُ حرَامُ
لتقيّ دينِ الله وصفٌ باهرٌ ... وخصائصٌ خضَعت لها الأَفهَامُ
ومواهبُ مِنْ ذي الجَلالِ تُمِدُّه ... فيتِمُّ فخرُ شامخٌ ومقامُ
وغدا تقيّ الدِّين أحمدُ مالَهَ ... حدٌّ فتحْملَ فقدَه الأَجْسَامُ
العالِم الحَبْر الإمام، ومنْ غدَا ... في راحتيْهِ مِنَ العلوم زِمَامُ
ذُو المنْصب الأعْلى الذي نُصبتْ له ... في الأرض في أقطارها الأعْلامُ
بحرُ العلوم، وكنزُ كلّ فضيلةٍ ... في الدَّهر فردٌ، في الزَّمان إمامُ
حبْرٌ تخيره الإلَهُ لدينه ... ختْم لأعْلامِ الهُدى وخِتَامُ
فوفَى بأحكام الكِتاب، فكمْ له ... في نصْر توحيدِ الإلَهِ قيَامُ؟
والسنّة البيضَاءُ أَحْيَا ميْتَهَا ... فغدَت عليها حُرمةٌ وحِجَامُ
وأمات مِنْ بِدع الضّلال عوائداً ... لا يستطيعُ لدفْعها الصَّمصَامُ
أُسُّ الفضَائِل، والذي لا تَهْتَدِي ... لفنُونه وعلُومِه الأَوْهَامُ
وَأَنَالَه ربُّ السَّمواتِ العُلَا ... في العِلْم سبْقاً ما إليْه مُرَامُ
ونفُوذُهُ في العِلْم محمَّدٍ ... صلَّى عليه الخالقُ العَلَّامُ
إنَّ المنَزَّه ربُّنا سبْحَانَه ... يقْضي بما تأتِي به الأَحكَامُ
يُبْدَى لكُم في كُلّ قرْنِ قادمٌ ... للدّين مَنْ تُهدَى به الأَقْوَامُ
فَلئِنْ تأخَّر في القُرون لثامِنٍ ... فلقَدْ تقدَّم في العُلوم أمَامُ
فَاقَ القُرون سوى الثلاثِ فإنَّها ... خيْر القُرونِ يَزينُهنَّ تَمَامُ
وَسِوَى ابنُ حنبل إنّه عَلمُ الهُدَى ... حبْر إمامٌ، صابر قَوَّامُ
لكنّ أحْمد مثلُ أحمدَ، قد حَوى ... عِلماً وزُهداً في العُلوم توامُ

حَدِّثْ بلا حَرَجٍ وقلْ عنْ زُهدِه ... ما شئْت، لا ردٌّ، ولا آثامُ
هجرَ المَطاعمَ والملابسَ، والدُّنى ... ولعزمِه في تَرْكها إحْزَامُ
نَزْرُ المأْكَلِ ، والمَنامِ ، ولا يُرى ... لبَنِي الدُّنى في قلْبه إعْظَامُ
وتراه يصْمت لَا لعيّ دائماً ... إلاَّ لعِلْمٍ يُقْتَنَى ويُرَامُ
وإذا تكلّم لا يراجَعُ هيبةً ... وسكينةً، وكلامُه إبْرَامُ
ألْقى عليه مهابةً مِنْ ربِّه ... فخطابُه الإجلالُ والإكرَامُ
وإذا دنَا فترى الرِّجال ذليلةٍ ... فكأنَّها في نفْسها أَحْجَامُ(1)
بِشْرٌ يعظّم بالقُلوبِ، وقُدوةٌ ... أبداً يُعظّم، وهو بعدُ غُلامُ
مِنَّ يخصّ بها المهيمنُ منْ يَشَاءُ ... مِنْ خلْقِه، والجَاهِلون نِيامُ
وجفا العبادَ لشُغله بحَبِيبِه ... فَودادُه للأقْربين سَلاَمُ
ولهُ مقامٌ في الوُصول لربِّه ... ومقامُه نطقَتْ بهَا الأقتَامُ
وله فتوحٌ مِنْ غيُوبِ إلَهِه ... وتحزنٌ، وتمْسكنٌ وكلاَمُ
وتصوُّفٌ وتقشُّفٌ وتعفُّفٌ ... وقِراءة وعبادَةٌ وصيامُ
وعناية، وحماية، ووقاية ... وصيانة، وأمانة، ومُقامُ
وله كراماتٌ، سمتْ، وتعدَّدتْ ... ولها على مرّ الدُّهور دَوامُ
مِنْ رد عَنْ أَرضِ الشآم بعزْمه ... مَن صدَّ وجهَ الكُفر وهو حُسامُ
من رَدَّ غازانَ الهُمَام بحسْرَةٍ ... من خلَّص الأَسْرى، وهمْ أيتَامُ
من قَام بالفَتْح المُبين مؤيداً ... فِي كسروانَ، وهمْ طغاةٌ عِظَامُ
مِنْ جدَّ في بِدَع الضَّلال وحِزْبِه ... وأذلَّهم بعد الرّضاع فِطَامُ
مَنْ صار في سُنَنِ الرَّسول وَنَصْرِها ... حتَّى استقر لأمرهنَّ نِظَامُ
مَنْ قامَ في خَذْلِ الصَّليب ودِينه ... لمّا تداعَوْا للّباس، وقَامُوا(2)

(1) جمع حجم: أي أجرام ساكنة بلا حركة (من الشيخ محمد الحامد ـ رحمه الله ـ).
(2) يشير إلى ما حاوله النصارى من تغيير الزي الذي كان ألزمهم به الملك، فلما جاء برقوق

فَـوَهَـوْا ورُدُّوا خـائِبين بـذلَّـةٍ وعـليهـم فـوقَ الـوجـوه ظَـلاَمُ
فـالأمـرُ بـالمَعـروف يُفقـدُ بعـدَه والفـاعلونَ النُّكْـر ليسَ يُـلاَمُـوا
فكـأنَّ أشـراطَ القِيامـة قـد دنَتْ وانحـلَّ مِن سـرْج الـزَّمـانِ حِـزَامُ
فـالعِلْم فينَـا ليس يُقْبض سـرعـةً كـلّا، ولا يـأتِي حِمَـاهُ حِمَـامُ
لكن بقبْضِ الـرَّاسخينَ ذَهَـابُـهُ وزوالُـه، وَبقَى رعـاع طُغـامُ[1]
[٤٢/ب] /للَّهِ ممَّـا لاقى تقيُّ الـدِّين مـنْ مِـحَنٍ تُـتـابُعُـه، وهُـنَّ ضِخَـامُ
وَمَكَـارِه حُفَّتْ بكُـلِّ شـديـدة ومـواقـفَ زَلَّتْ بِـهَـا الأقْـدَامُ
ومكـائـد نُصبت لـه، وحبـائـل قصـداً إليـه، فـردَّهـا الإقْـدَامُ
فحكى ابنُ حنبل في فُنون بلاَئِه بـجَنَـانِ ثَـبْتِ، لـيسَ فيـه ذُؤَامُ
وبسَجْنِـهِ، وبحَصْـرِهِ، وَنَكَـالِـهِ حـتَّـى رثَـى الـعـذَّالُ والـلُّوَّامُ
فـأراد ربُّ العرش، جـلَّ جلالُـه لِلِقـائـه مُـذْ حـانَـه الإعْـدَامُ
وأتـاه آتيّ المَوْتِ، يخـطُب نفسَه فـأجـابَـه طـوعـاً لـه القَمْقَـامُ[2]
فخلت مـرابعَـه، وأوْحش ربْعُـهُ وتقـوَّضت عنْـد الـرَّحيـل خِيَـامُ
وتفجَّـعَتْ كـلُّ الـقلوبِ بـفقْـده وغـدَا عـليـهـا ذِلَّـةٌ وَسَـقَـامُ

ومنهـا للشيـخ تقي الـدين محمـود بن علي الـدقـوقي البغـدادي المحدث[3] ـ ولم يَرَ الشيخ ـ :

مضى عالِمُ الدُّنيا الذي عـزَّ فقدُه وأَضْـرَم ناراً في الجَـوائِـحِ بعْـدَه
فدمْعي طليقٌ فوق خـدِّي مُسلْسَلُ أُكفكـفُـه حيـنـاً، وجَفْنِي يـرُدُّهُ

تشفعوا لديه في ذلك، فردَّه الشيخ عن ذلك. (منه أيضاً ـ رحمه الله ـ).

(١) إلى هنا ينتهي السقط.

(٢) أي السيد العظيم.

(٣) المتوفى سنة ٧٣٣هـ. قال ابن عبد الهادي: «ودفن يوم الثلاثاء بمقبرة الإمام أحمد، وحملت جنازته على الرؤوس ـ رحمه الله ـ: (العقود الدرية. ص ٤٢٥).

ويـرجُو التَّـلاقِي، والفِـراقُ يصـدُّه وما حيلةُ الرَّاجِي إذا خاب قَصْدُهُ
مضي الطَّاهرُ الأثواب، ذو العِلْم والحِجَى ولَمْ يتـدنَّسْ قَطُّ بـالإِثْـم بُـرْدُهُ
مضى الزَّاهدُ النَّدْبُ ابن تيميةٍ الذِي أقـرَّ لـه بـالعِلْم والفضْـل ضِـدُّهُ
بَكَتْـهُ بـلادُ الشَّـام طُـرّاً وأهلُهـا وجـامعُها وانمـاع[1] للحُزْنِ صَلْدُهُ
يَحِنُّ إليـه في النَّهـار صيـامُـه ويشْتـاقُـه في ظُلمـةِ اللَّيـل وِردُهُ
ويبْكي لـه نـوعُ الكـلامِ وجِنْسُـه ويـنْـدُبـه فصـلُ الخِـطَاب وجِـدُّهُ
حمى نفسَه الدُّنيـا، وعفَّ تكرُّمـاً ولـمَّـا يُصِـعِّـرْ للدُّنيّـاتِ خَـدَّهُ
ولم يجتمـعْ زوجانِ مِنْ شهـواتهـا لدَيْه، وبين النَّاس قدْ صَحَّ زهدُهُ
/ويُؤْثـر عنْ فقرٍ، وفيـه قنـاعـةٌ ويُعجِبُـه مِنْ كـلِّ شـيء أَشُـدُّهُ [٤٣/أ]
عليمٌ بمنسـوخِ الحـديثِ وحُكمِـهِ ونـاسِخِـه، فَخـرُ الـزَّمـانِ وَمَجْـدُهُ
قؤولٌ، فعول، طيبُ (الجسْمِ)[2] طاهرٌ إمـامٌ، له في كُـلِّ حُكْم أَشُدَّهُ[3]
فما قال في دنياه هجْراً ولا هوىً ولا زاغ عـن حقٍّ تـبيَّـنَ رُشْـدُهُ
علومٌ كنشْر المسْك من كلّ سيرةٍ يُشيِّـد دينَ المُصـطفى ويـجـدّهُ
فللَّه مـا ضمَّ الترابُ، ومـا حوى مِنْ الفضل، فليفخر على الأرض لَحْدُهُ
فيَا نعْشَه، ماذا حملْتَ مِن امرىءٍ جميعُ الوَرى فيـه، وفوقُـك فَرْدُهُ؟
وكـانَ لنَا بحـراً مِنَ العِلْمِ زاخراً فما بالُه لم يصْفُ مذْ غابَ وِرْدُهُ؟
ومَا ماتَ منْ تبْقَى التَّصانيفُ بعْدَه مُخَلَّدةً، والعلْمُ والـفضْـلُ وُلْـدُهُ
وخلَّف آثـاراً حِسَـانـاً حـميـدةً إذا عُـدِّدتْ زادتْ على مـا نَعُـدُّهُ
ولستُ مُـطيقاً شـرحَ ذاك مُفَصَّلاً ولكن على الإجمال يُعكسُ طَرْدُهُ

---

(١) ماع الشيء إذا ذاب ولان.
(٢) في «الأصل»: (الخيم) وقد أثبتنا ما في «العقود» ص ٤٢٦.
(٣) في «العقود الدرية» ص ٤٢٦: «له في كل حكم أسدُّه».

لقدَ فارق الأَصحابُ منه مصاحباً ... يُراعي وِدَادَ الخِلِّ إن خان وُدُّهُ(١)

قضى نحْبَـه والـلَّهُ راضٍ بفـعْله ... وللَّهِ فيمَـا قَـدْ قَضى فيـه حَمْـدُهُ

يـدلُّ ترابُ القبْـرِ مَنْ جـاء زائـراً ... إلـيـه بـطيبٍ فـيـه يَعْبَقُ نَـدُّهُ

ولا تحسبُوا ما فـاحَ عِطرَ حَنُـوطِه ... ولـكنَّـه حُسنُ الثَّنـاءِ ومجْـدُهُ

وكـان لأهْـلِ العِلْمِ تـاجـاً مُكلَّلاً ... يحُـوطهم مِنْ مُبْطلٍ خِيفَ حِقْـدُهُ

وَمَـا كان إلَّا التِّبْـرَ عنْد امْتحـانِـه ... يَبِينُ لعين الحـاذِقِ النَّقـدَ نَقْـدُهُ

وكـان يقـولُ الحقَّ، والحَّق حُلوُهُ ... مـريـرٌ لـهـذا كـانَ يكْـرَهُ رَدَّهُ

وفي الحقّ لمْ تـأخذْه لـومةُ لائمٍ ... ولا خاف مِنْ غُمرٍ(٢) تشدَّدَ جَرْدُهُ(٣)

وما كان إلَّا السَّيفَ غارت يدُ العُلاَ ... عليْـه، فـردّتْـه كما غـار غِمْـدَهُ

ولم تُلْهـه الدُّنيـا وزخرفُهـا الـذِّي ... يروقُ لِمَنْ لم يُؤْنس الدَّهرُ رُشْدَهُ

لقدْ فقدتْ منه المحافـل(٤) زَيْنَها ... ولمَّـا يُفـارقْ عِلمَـهُ الجَمَّ وُجْـدُهُ

وخُـضِّـبـتِ الأقـلامُ مِـدادِهَـا ... عليه دماً، قد فاضَ في الطِّرْسِ مُدُّهُ

فاللَّهِ(٥) ما ضمَّ الثَّرى مِنْ مُحقّق ... ويـا لَـك مِنْ غَضَبٍ تثلَّمَ حَـدُّهُ

وكـان إمـامـاً يُستـضـاءُ بنُـورِهِ ... وبحراً مِنَ الأفضَالِ قدْ غِيضَ عَدُّهُ

[٤٣/ب] /وكنتُ أُرَجِّي أنْ أراه، ونلْتـقِـي ... ولكنْ قضـاءُ اللَّهِ، مَنْ ذَا يـرُدُّهُ؟

يرى المَوْتَ مأْلُوفَ الطِّبَاعِ، ورُبَّما ... يُعلِّل بـالمـأْلـوف مَنْ لا يـوَدُّهُ

فـآهٍ على تفـريقِ شمْـلٍ مُجَمَّـعٍ ... وحـرِّ فُؤادٍ بـانَ، مُـذْبَـانَ بُـرْدُهُ

إلَّا أنها نفسٌ، ولِلنَّفْسِ حسْرَةٌ(٦) ... وقلبٌ وقَـدْ يُشْجَى ويُضْنِيه وجْـدُهُ

---

(١) في «العقود الدرية» ص ٤٢٦ : (أوده) وهو تصحيف.

(٢) هو من لم يجرب الأمور.

(٣) شدة الغضب والغيظ.

(٤) في «العقود الدرية» ص ٤٢٧ : «المحاسن».

(٥) في «المصدر السابق» ص ٤٢٧ : «فللدَّهر».

(٦) في «المصدر السابق» ص ٤٢٧ : «حرَّة» وهي مصحفة.

ولستُ بناسٍ عهدَ خِلٍّ تغيّبتْ — محاسِنُه، والخِلُّ يُحْفَظُ عهْدُهُ
وما عُذْرُ جفْنٍ[1] لا يَجيشُ بدمْعِه — غداةَ نَأْيٍ عنْه الصَّديقُ ورفْدُهُ
يرُوم الأَمَانِي، والمَنايَا تَصُدُّه — وما حيلةُ الرَّاجِي إذَا خاب[2] قصْدُهُ
عليْك، أبا العبَّاسِ فاضتْ مَدَامِعِي — وقلْبي لبُعْدي عنْك أُجِّجَ وقْدُهُ
علَى مِثْلِك الآن المَرائِي مُباحَةٌ — وإنْ غَاضَ دَمْعِي، فالدِّمَاءُ تَمُدُّهُ
شَددْتَ عُرى الإسلَامِ شَدَّةَ عارِفٍ — قويٌّ على الأعداءِ لمْ يُأْلَ جَهْدُهُ
تركْتَ لهمُ دُنيَاهُم تَرْكَ عالِمٍ — عَلَا قدْرُه عِنْد الإلَهِ ومجْدُهُ
وكنْتَ لمجْمُوعِ الطَّوائِفِ مُقْتَدَىً — وَعقْداً لِهَذَا الدِّين أُبْرِمَ عِقْدُهُ
وكنْت ربيعاً للْمريُدِ وَعِصْمةً — فمُذْ صرْتَ تحْتَ الأَرْضِ صَوّح[3] وَرْدُهُ
جمعت عُلُومَ الأَوَّلينَ مَعَ التُّقَى — إلى الوَرَعِ الشَّافِي الذِي شَاعَ حَمْدُهُ
وكُنْتَ تقيَّ الدِّينِ معْنَى وصورةً — قَؤُولاً، وخيْرُ القولِ عِنْدك جِدُّهُ
رحلْتَ وخَلَّفْتَ القُلوبَ جَريحةً — تذوبُ وجيشُ الصَّبْرِ قد قَلَّ جُنْدُهُ
عليْك سلامُ اللَّهِ حياً وميّتاً — مَدى مَا بَدَى نجمٌ وأشْرقَ سعْدُهُ

* * *

وله[4] أيضاً رحِمَه الله تعالى قال:

قِفْ بالرُّبوعِ الهَّامِدَاتِ وعَدِّدِ — واذْرِ الدُّموعَ الجَامِداتِ وبَدِّدِ
واحْبِسْ مَطِيَّك في المَنازِلِ ساعةً — واسْأَلْ، ولا تَكُ في سُؤَالِكَ مُعْتَدِ
واقطَعْ علائِقَك التيّ هِي فتْنةٌ — واتبعْ سبيلَ أُولى الهِدَايةِ تَهْتَدِ
وَدّعْ صِباكَ، ودعْ أباطيلَ المُنَى — واهجُرْ دُنيَّاتِ الأُمورُ وسَدِّدِ

---

(١) في «المصدر السابق» ص ٤٢٧ : «دمع».
(٢) في «المصدر السابق» ٤٢٧ : «حار».
(٣) أي : أذبل وجفَّ.
(٤) أي الإمام بن علي الدقوقي.

واقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا القَليلَ، ولازِمِ الفِعْـ ... ـلَ الجميلَ، وسِرْ مسيرَ[1] مُجَرَّدِ

وتَوخَّ فعْلَ الخَيْـر، واصْحَبْ أَهْلَه ... مُتَحبِّبـاً متجَنِّباً فِعْـلَ الـرَّدِي[2]

لا تعْتبنَّ مُـفـارقـاً يبْكِي عـلَى ... أَحْبَـابِـه، وارحمْـه إنْ لَمْ تَسْعَـدِ

[٤٤/أ] /وَدِّع المُرَوَّعَ بـالبِعَـادِ، وعَـذْلَـه ... فـالعَـذْلُ أمْضَى مِنْ فِعَـالِ مُهنَّـدِ

مَاذَا الوُقوفُ عَنِ السُّرى، وصِحَابُنَا ... سَارُوا، وصَارُوا بالعَرَاءِ الفـدْفَدِ[3]

لا أخضرَّ بعْدهُمُ العقِيقُ، ولا شَدَّتْ ... وُرقُ الحَمَـائِمِ فَوْقَ بـرقَـدِ تَهْمِـدِ

أمَّـا أنَـا، فـلأبْكِيَنَّ، فـإنْ وَنى ... دَمْعي، سَفكْتُ حشاشةَ القلْبِ الصَّدِى

أينَ المعينُ عَلى الخُطُوبِ إذا عَرَتْ؟ ... أيْنَ المُساعِدُ عنْـد فَقْدِ المُسْعِـدِ؟

أَوَ مَا دَرى منْ كنْت تَعْرف قَدْ مَضَى ... لِسَبيله في ضنْكِ لحْـدِ مُؤْصَـدِ؟

أين المُحَامِي عنْ شريعةِ أحمدٍ؟[4] ... أينَ المحقِّقُ نهْجَ مَذْهَبِ أَحمدِ؟[5]

مـات الإمام العَـالِم الحَبْـر الـذِّي ... بهُـداهُ عـالِمُ كُـلِّ قـوْمٍ يهْتَـدِي

مَنْ لليهُـود، وللنَّـصـارَى بعْـدَهُ ... يـرْميهُـمُ بمَقَـالِـه المُتَسـدِّدِ؟

سـلْ عنْه ديَّـانَ اليَهودِ، أمَـا غَدَا ... مُـتَلَفِّـعـاً بصَغَـارِه المُـتَهَـوِّدِ[6]

نشـأتْ على فِعْـلِ التُّقى أطْـوارُهُ ... فَعنَتْ لهُ التَّقوى، وأَعْطَتْ عنْ يَدِ

وَرِثَ الـزَّهـادَة كـابـراً عنْ كـابرٍ ... والـعِلْمَ إرْثـاً سيِّـداً عنْ سيِّـدِ

قِفْ، إنْ مررْت بقَاسِيونَ على ثَرى ... فيـه ضريـحُ العـالِمِ المُتَفَـرِّدِ

واعجبْ لقبـرٍ ضمَّ بحـراً زاخـراً ... بـالفضْلِ يقْـذِفُ بـالعُـلاَ والسُّؤْدَدِ

بشْـرٌ يبشِّـر بـالغِنَى مـنْ جَـاءَهُ ... يُسْـرٌ يُسِـرُّ فُؤادَ عـانٍ مُـزْهِـدِ

---

(١) في «العقود الدرية» ص ٤١٣: «بسير».

(٢) في «المصدر السابق» ص ٤١٣: «أهل الدّد» وقال محققه مفسراً «الدُّد»: اللّهو واللّعب.

(٣) في «العقود الدرية» لابن عبد الهادي ص ٤١٤: (القدخد) وهو تصحيف.

(٤) ﷺ.

(٥) أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ.

كـانتْ بـه أرضُ الشـآم أمينـةً ... مِـنْ مُبْـطلٍ مُـتَهـوِّكٍ[1] مُـتَـلَدِّدِ

لو تستطيعُ بناتُ نعْشٍ أنْ تَـرَى ... يـوماً يسيـرُ بنعْشِ مَيِّتٍ مُلَحَّـدِ[2]

مَاتَ الذِي جمعَ العلومَ إلى التُّقى ... والفضْلِ والوَرَعِ الصَّحيحِ الجَيِّدِ

شيـخُ الأَنَـامِ تقيُّ دينٍ محمَّـدُ ... وجمالُ مذْهبِ ذي الفَضَائِلِ أَحْمدِ

ودّعـتُ قلْبـي يـوْمَ جـاءَ نَعْيُـهُ ... فَتَقَاعدِي، يَا عينُ بِي، أوْ أنْجِدِي

سقَتِ العِهَـادُ عِـراصَ قَبْـرِه حلَّهُ ... جسـدٌ حـوى خُلُقـاً وحُسْن تـودُّدِ

يـا مُبلغَ الـعُذَّالِ فـرْطَ صَبَابَتِي ... وَتَقلقِي[3] يـوْم النَّوى وتَسهُّـدِي

مـا بعدَ رُزْئـكَ في الزَّمـان رزيَّـةٌ ... تَصُمِي المَقَاتِلَ بالفِرَاقِ وَلَا تَدِي[4]

بـدّدْتَ شَمْلَ المُلحِـدين جَميعَهم ... وجمعْتَ شمْلَ ذَوِي التُّقَى المُتَبَدِّدِ

يَـا مَنْ تُـرى أقـوالُـهُ مُبْيضَّـةً ... في كُـلِّ ذِي قـولٍ ووجْـهِ أَسْـوَدِ

يـا كـالِيءَ الإِسـلامِ مِنْ أَعْـدَائِـهِ ... وسِمَـامَ[5] كُلِّ أخِي نِفَـاقٍ مُلْحِـدِ [٤٤/ب]

يـا واحـدَ الـدُّنيـا الـذِي بعُلُومِـه ... يمْتَـازُ في الإِسـلام كُـلُّ مُـوَحِّـدِ

يـا حـامـلَ الأعبـاءِ عنْ مُستنصـرٍ ... يـا كـاشفَ الغَمَّـاءِ عنْ مُسْتَنْجِـدِ

يَـا طـاردَ الشُّبهـاتِ عنْ مترَدِّدٍ ... يـا دافـعَ الفَـاقَـاتِ عنْ مُسْتَـرْفِـدِ

قرّتْ عُيُونُ مُجاوريكِ، وقـدْ غَنَوْا ... بِجـوارِ قَبْـرِك عنْ وَثِيـرِ المَـرْقَـدِ

فَكَـأَنَّمـا تلْك اللُّحـودُ حَـدَائقٌ ... تزهُو بنَرْجَسٍ زهْرُها الغضُّ النَّدِي

يا خاتِمَ العُلَمَاءِ صَحَّ بمـوْتِك الـ ... خَبـرُ الـذي يـرْوِيـه كُيّ مُجَـوِّدِ

اليـوْمَ قُبِضَ العلمُ، قـوْلاً واحـداً ... مِنْ غيـرَ مـا منْعٍ، وغيْـرِ تَـرَدُّدِ

---

(١) في «العقود» ص ٤١٤: (متهول).

(٢) في «المصدر السابق «زيادة:

كـانـت تسيـر بـنـعشـه وتـحـطه ... فـوق السَّمـاك وفـوق فرق الفـرقـد

(٣) في «المصدر السابق»: (وتعلقي).

(٤) من الدِّيَة.

(٥) جمع «سم».

لــوْ لَمْ يكنْ خَتْمَ الأئمَّـةِ أحمـدُ بشَّـرْتُ أَهْـلَ الخَـافِقَيْنِ بـأَحْمَـدِ
خَوضُ الكَرائـهِ لم يَزَلْ مِنْ دَأْبـهِ فَبه الفَوارِسُ فِي المَضايـق تَهْتَدِي
شيـخٌ إذا أبْصـرتَـه في محْفـلٍ تَقْـذَى[1] بـرُؤْيَتِـه عيـونُ الحُسَّـدِ
ذُو المَنْقبـاتِ الغُـرِّ والشِّيَمِ التِّي يفْنَى الـزَّمـانُ وذِكْـرُه لمْ ينْفَـدِ
يَا منْ يرُومُ له عديـلاً في الوَرى قَدْ رُمْتَ كالعَنْقَاءِ مَا لَمْ[2] يُـوجَدِ
كَمْ بيْن رِئبـالٍ[3] الفَـلاَةِ وثعْلَبٍ كمْ بيْن شعْوَاءِ[4] البُزَاةِ وَجَدْجَدِ؟[5]
أرِحِ المَـطِيَّ، ولا تكُنْ كَمُحَاوِلٍ صَيْـدَ النُّجُوم مِنَ المِيَـاهِ الـرُّكَّـدِ
قـدْ كانَ شمسـاً للصِّحـابِ منيرةً بضِيـائِهـا، في كُـلِّ قُـطْرٍ نهْتَـدِي
واليومَ أدركَها الكسـوفُ، فأظْلَمَتْ طُـرقُ الهُـدَى للسَّـالِـكِ المُتَـرَدِّدِ
لهْفِي عَلَى تلْكَ الشَّمائِلِ والنَّدَى والجُـودِ، والهَدْيِ القَـويم الأَرْشَدِ
هَجم الحِمـامُ، فلا مفـرَّ لِهَـارِبٍ والموْتُ في الدُّنيـا لَنَا بـالمَرْصَـدِ
مَاتَ الصَّديقُ، ومـاتَ منْ عاديْتَـه وتمـوتُ أنت كمِثْلِه، وكَـأَنْ قَـدِ
وإذَا مَضَى أقـرانُ عُمْـرِك فـانْتَـظِرْ فِي يـوْمِكَ النَّـاعي، وإلاَّ فِي غَدِ
لكنْ لنَـا عنْ كُـلِ خِـلٍّ سَلْوَةٌ بمُصـابِ سيِّـدِنَـا النَّبيِّ مُحَمَّـدِ
صَلَّى عليـه اللَّهُ ما هَجـرَ الكَرَى جَفْنُ التَّقِي القَـانِتِ المُتَجَـهِّـدِ

وله أيضاً رحمه الله تعالى: [6]

مَا كُفْءُ هَذَا الـرُّزْءِ جفْنٌ تسجَّمُ أبـداً، ولاَ قَـلْبٌ يـذوبُ ويـأْلَمُ

---

(١) في.
(٢) في «الأصل»: (وما لم) وقد أثبتنا ما في «العقود».
(٣) الأسد.
(٤) المنتفشة الشعر.
(٥) طويئر يشبه الجراد.
(٦) أي الإمام الدَّقوقي.

/رُزْءٌ أصمَّ جميعَ أسماعِ الورى ... سِبقَ الحُدوثَ به القضاءُ المُبْرَمُ [٤٥/أ]
زُرْءٌ يُجِلُّ عنِ البُكاءِ، لأنَّه ... لا زُرْءُ مُنه في البريَّة أعظَمُ

إلى أن قال[١]:

من عظم موقعه، وفادح خطبه ... لم يدر قسّ ما يقول[٢]، وأكثم[٣]
لكنّما يجري القضاء[٤] بكل ما ... يقضي به رب السماء ويحكم
والأمرُ أعظمُ أنْ يقومَ بحقِّهِ[٥] ... صَبٌّ حشاشَتُه تذوبُ وتَكْلَمُ[٦]

إلى أن قال[٧]:

والمَوْتُ وِرْدٌ لِلأَنَام[٨]، وكلُّهم ... فِي مَاءِ ذاك الوِرْدِ يوماً[٩] يُقْدِمُ
مَنْ أخْطأتْه يدُ الحوادِث في الصِّبا ... حيناً سَيَذكُره[١٠] إذَا هُوَ يهْرَمُ
شيئانِ[١١] في حُكْمِ القضاءِ مُؤَجَّلٌ ... في نفْسه، ومُعَجَّلُ يتَقَدَّمُ

---

(١) الأبيات التي تجاوزها المصنف هي:

يتضاءل اللّسن الفصيح لذكره ... ويجلّ قدراً في النفوس ويعظم
رزء له هوت النجوم، وكوّرت ... شمس الضحى، والصبح ليل معتم

(٢) في «العقود الدرية» ص ٤١٨: (البيان).
(٣) قس بن سحبان، وأكثم بن صيفي من خطباء العرب المشهورين.
(٤) في «العقود» ص ٤١٨: (تجري الأمور).
(٥) في «العقود»: (ببعضه) وأشار محققه إلى روايتنا في «نسخة أخرى» من «العقود».
(٦) في «المصدر السابق»: (دمع يصوب ولم يخالطه دم). وهي ثابتة في إحدى نسخ «العقود الدرية» كما ذكر ذلك محققه.
(٧) الأبيات التي تجاوزها المصنف هي:

ذا الخطب أعظم أن يداوى بالأسى ... هذا المصاب أجلّ مما نعلم
كلّ يدافع حتفه عن أنفه ... حتى يفاجئه الحمام المؤلم
أعيى الأنام، فما له من ملجأ ... يأويهم عند الخطوب، ويعصم

(العقود ص ٤١٨).
(٨) في «المصدر السابق»: (للجميع).
(٩) في «المصدر السابق»: (حتما).
(١٠) في «المصدر السابق»: (لا بدَّ تدركه).
(١١) في «العقود الدرية» ص ٤١٩: (سيّان).

أأَخَيَّ، لا تَبعُدْ، فلَيْسَ بخالـدٍ أحـدٌ، ولاَ حَيٌّ عليهـا يسْلَمُ
لا تعْـذِلِ الباكِي على أحْبابـه واعذِرْهُمْ، وارحَمْه لعلَّكَ تُرْحَمُ[1]
لا تحْسَبُوا وُرْق الحَمَامِ سَـواجِعاً يوْمَ الرَّحيلِ ، ولاَ المَطَايَا تَذْرَمُ[2]
هَذَا يحِنُّ فيشْتَكِي طُولَ[3] السُّرى والـوُرْقُ تـذكُـرُ إلْفَهـا، فَتَـرنَّمُ[4]
مَن ذَا يُطيقُ مع الفِـرَاق تَجلُّداً؟ قُلْ لِي، وقدْ ماتَ الإمامُ الأَعْظَمُ
أَوْدَى فـريدُ الـدَّهرِ أوحـدُ عصْـرِهِ ومضَى التقيُّ العـارِفُ المُتـوسِّمُ
شيـخٌ يسـودُ بجِـدِّه[5] وبِجِـدِّه[6] وسِـوَاهُ في هَـذَيْن صِفْـرٌ مُعْـدَمُ
شـيـخٌ كـأنَّ الـلَّهَ أَودعَ سِـرَّهُ فيـه، فَمَـا تـلْقَـاهِ إلاَّ يَعْـلَمُ
اليـوْمَ أكشِفُ عنْ غـوامِضِ سِـرِّه اليَـومَ مِنْـهُ يُفسِّـرُ الـمُسْتَعْجَمُ
قـدْ كـانَ يُؤثـر مَنْ أتـاه بقُـوَّتِـهِ ويـظلُّ طُـولَ نهَـارِهِ لا يَـطْعَمُ[7]
ظهـرتْ لـه شيمُ التُّقى، فكـأَنَّهُ بـطَهَـارَةِ الأَثْـوابِ نُسْكـاً: مُحَـرَّمُ
وإذَا تقَـاعَسْتِ الـرِّجَـالُ، فـإنَّـه يَـوْم القِرَاعِ : الفَـارِسُ[8] المُتَقَدِّمُ

---

(١) زاد في «المصدر السابق»:

للخـطب يـدخَـر الصـديق، ولا أرى في النـاس يـوم البين خـلّا يـرحم

(٢) في «المصدر السابق»: (تدوم).

(٣) في «العقود الدرية» ص ٤١٩ : (هذي تحن فتشتكي ألم).

(٤) زاد في «المصدر السابق» ص ٤١٩ .

مـا حاربت أيـدي الـرّدى في مـأزق إلّا غـدت أقـرانـه تـتـكـرَّم

(٥) أي بسعيه ونشاطه واجتهاده.

(٦) أي والد أبيه. الإمام مجد الدين عبد السلام بن عبدالله الفقيه الحنبلي المحدث المفسر. وكان فرد زمانه في معرفة المذهب الحنبلي. صاحب «المنتقي في أحاديث الأحكام»، توفي سنة ٦٥٢ هـ.

والمعنى أنَّه يسود بهمته وحسبه. فهو الحسيب النسيب ابن العلماء الجهابذة الفضلاء.

(٧) زاد في «العقود الدرية» ص ٤٢٠ :

ويجـود بالمـوجود منـه، ويـرشـد الـ جـنـف العـصـيّ بـهـديـه ويـقـوّم

(٨) في «المصدر السابق»: (العالم).

مَنْ ذَا يُرى للمُشكِلاَتِ يحُلُّها   والواقِعَاتِ، ومنْ بِه يُستَعْصَمُ؟
وعَلَى النَّصارى المُلْحِدِيْنَ، إذا أَتَوْا   مَنَ ذَا يردُّ، وَمَنْ يُجيبُ ويُفْهِمُ؟
يشْتاقُه الإرسالُ في إسْنَادِهِ   والنّسخُ والمنْسوخُ، ثُمَّ المُحْكَمُ
وَبكتْه عنْعنَةُ الحديث وطُرقُهُ   وبيانُ مَا يَحْوِي عليْه المُعْجَمُ
هَذَا الذِي للدِّين منْه مُعلَّلٌ   ومُنَوَّعٌ، ومُجنَّسٌ، ومُعَلَّمُ
/هَذا الإمَامُ الحُجَّة الحَبْرُ، الَّذي   تُنفَى بِه شُبَهُ الشُّكوك وتُحسَمُ [٤٥/ب]
فضلٌ وزهْدٌ لا يُحَدُّ[١] وعفَّةٌ   ودِيانَةٌ ورزانةٌ وتَحلُّمُ
أقسمْتُ ما وُصفَ امرؤٌ في نَفْسِه   بصيانةٍ إلَّا ورأيُكَ أحزَمُ[٣]
أبْدى مُصلَّاك البكاءَ، وحسْبُه   يبْكِي عليْكَ، وحَقُّهُ يتَنَدَّمُ
أسفاً على ما فَاتَهُ مِنْ وُرْدِهِ   واللَّيلُ ساجٍ، والخَلاَئِق نُوَّمُ
حسَدُوه إذْ وجدُوهُ أعْلم مِنْهُمُ   ورأَوْه أفْضلَهم، وإن كانُوا عَمُوا
عَقلُوه إذْ عَقلُوه، ليْثٌ كباسِهِمْ   واللَّيْثُ يعْقِلُ منْ سَطَاه ويلجِمُ
تبْكي عليه جوامعٌ، ومجامعٌ   ومناقبٌ، ومراتبٌ تَتَهدَّمُ

إلى أنْ قال:[٤]:

مـلأتْ فضائِلُه البلاَدَ، فَفَضْلُهُ   كالشَّمْسِ، نورٌ ضياؤُها لا يُكْتَمُ

---

(١) في «العقود الدرية» ص ٤٢٠: (لا يعد). وأشار المحقق إلى روايتنا بأنها ثابتة في إحدى النسخ.

(٢) زاد في «المصدر السابق»:

لك يا ابن مجد الدين طود باذخ   في الفضل، ممنوع الجوانب أبهم

(٣) في «المصدر السابق» ص ٤٢٠: (بصيانة في نفسه إلَّا ورأيك أعظم).

(٤) الأبيات التي تجاوزها المصنف هي:

وزكت خلائقه الشّراف وكرّمت   منه المعارش، وهو منها أكرم
جمعت له أشتات كلّ فضيلة   تروي مدائح شاردات حوّم

العقود الدرية ص ٤٢١.

ولقدْ دعوتُ الشِّعْر يوْمَ نَعْيِهِ ... فأبى عَليَّ، فلم أُطِقْ أتكلَّمُ
أنَّى يُجِيبُ؟ ومِنْ لوازِمِ حقِّهِ ... أن لاَ يُجيبَ، وفكْرُهُ مُتَقسِّمُ
وأخذتُ أكتبُ ما أقُولُ؟ وأدْمُعِي ... بيْنَ السُّطورِ كعِقْدِ دُرٍّ يُنْظَمُ
نَفدَ المِدَادُ، فساعَدَتْهُ مَدَامِعِي ... فَعَصَى عَليَّ، فَسَاعَدَ الدَّمْعَ الدَّمُ
حَالَ المدادُ عنِ السَّوادِ، كأنَّه ... دمْعُ المحاجِمِ صُبَّ فيه العَنْدَمُ
جَادَت ضريحاً بالشّآم غمامةٌ ... تسْقِي ثَرَاهُ على المَدَى وَتُدَوِّمُ(1)
وسَقى قبوراً جَاورتْهُ مِنَ الرِّضَا ... تحْتَ التُّرابِ سَحابُ عفْوٍ مُثْجَمُ
طُوبى لمَنْ أمْسَى مجاورَ تُربِهِ ... مِنْ أجْلِها الجَارُ (المُجَاوِرُ)(2) يُكْرَمُ
أمْسى وتَحْتَ الأرضِ عُرسٌ إذْ ثوى(3) ... فيهَا، وفوق الأَرْضِ حَلّ(4) المأْتمُ
لسِوَاه تشقيقُ الجُيوبِ، وإنَّما ... شَقُّ القُلوبِ(5) عليْهِ ممَّا يَلْزَمُ
فالخلْقُ إنْ نُسِبُوا إليه كَواحدٍ ... فِي أمَّةٍ وهْوَ الفريدُ المُعَلَّمُ(6)

وهي طويلة تبلغ اثنين وسبعين بيتاً(7). رحم الله الرَّاثِي والمَرْثيَّ.

---

(1) طال مطرها.

(2) في «الأصل»: (المصاقب) ولعلها (المصاحب) فقد أثبتنا الذي في «العقود الدرية» ص ٤٢٢.

(3) في «العقود»: (نوى) وهو تصحيف.

(4) في «المصدر السابق»: (فينا مأتم).

(5) في «العقود الدرية» ص ٤٢١: (الجيوب). والحق إنَّ مثل هذه الأبيات لا تليق شرعاً بالشاعر المسلم. فلا ينبغي له أن يقول من الشعر ـ رثاء ومدحاً ووصفاً وغير ذلك ـ إلَّا ما كان حقاً. قال رسول الله ـ ﷺ: «ليس منا مَن ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب». (أخرجه مسلم في صحيحه ١/٩٩).

(6) في «العقود» ص ٤٢٣: (الأعلم).

(7) وبقيتها، كما في «العقود الدرية» ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣:

هذا وأملاك السماء تحفّه ... في كل يوم لا تملّ وتسأم
يا أرض صرت به كروضة جنة ... لنزيلها في كل يوم موسم
سعدت به أرض أقام برمسها ... ميتاً، وهذا الميت حيّ مكرم
نقلت إلى جنات عدن روحه ... والحور والولدان فيها تخدم
=

ومنها للشيخ عبدالله بن خضر بن عبد الرَّحمان الرُّومي الأصل، ثمَّ الدِّمشقي، المعرُوف بالمُتيم[1].

لقدْ عذَّبوا قَلْبي بنارِ المحبَّةِ ... وذابَ فُؤَادي مِنْ فِراقِ الأحِبَّةِ
وَزادَ غَرَامِي[2] واشتِيَاقِي إلى الحِمَى ... وهَيَّجَ بِلْبَالِي حَنِينِي ولوْعَتِي
فيَا عِظَمَ أحْزَانِي وَوَجْدِي عليهِمُو ... ويَا طُولَ أشْواقِي إليهِمْ ووِحْشَتِي
/ملأْت النَّواحي مِنْ نُواحِي، وكيْف لاَ ... أنُوح عَلَى قومٍ هُمُو خيرُ جِيرَتِي؟ [٤٦/أ]
فَلَمْ أنْسَ أيامًا تقضَّتْ بقُرْبهِمْ ... ومنْ عِيشَتِي، لمَّا تولَّوا تَولَّتِ
ومنْ عجَبِي أنيَّ أَحِنُّ إليهِمُ ... وهُمْ سَاكنُوا[3] قَلْبي ورُوحِي ومُهْجَتِي
ذَكرْتُ فلَمْ أنْسى زمانَ وِصَالِهِمْ ... أأَنْسَى لَيالٍ بالعَقِيق[4] تقضَّتِ؟

= جثمانه تحت العراء، وروحه ... في مقعد الصِّدق الرضا تتنعم
لو كان للقبر المحيط بجسمه ... يومًا لسان ناطق يتكلم:
لسمعت بشراه بمن وافى إلى ... عرصاته من خير ضيف يقدم
هو في جوار الله أشرف منزل ... والله أرأف بالعباد وأرحم
تبكي له السبع الطّواف وسعيه ... والحجر، والبيت العتيق، وزمزم
وتعطَّل المحراب من متهجد ... بالذكر في أسحاره يترنَّم
أضحت سطور الفضل يصعب فهمها ... كالخط أصعبه الغريب المبهم
فأبان مشكلها، وأوضح رمزها ... فغدت بتنقيط الفضائل تعجم
إن كان قد أمسى رهين مودأ ... زلخ الجوانب جدره متهدم
فلربّ عان قد أعان وأكمه ... هدى، فأرشده، ولا يتبرّم
وضريحة كالمسك، ينشق عرفه ... من كان من حنق عليه يسلم
إن كان هذا الرّزء يعظم ذكره ... شرفًا، وينجد في البلاد ويتهم
فالصبر أكرم ملبس يختاره ... حرّ بصير، بالعواقب مسلم
وعلى النبي من الإلّه صلاته ... ما سارت الأظعان سوقًا ترزم

(١) هو أحد أصحاب ابن تيمية، ولد في بلاد الروم، وعمَّر طويلاً حتى تجاوز التسعين. توفي سنة ٧٣١ هـ، ودفن بباب الصغير. (ابن عبد الهادي ـ العقود الدرية: ص ٤٨١ و٤٩٢).

(٢) في «العقود» ص ٤٨١: (في).

(٣) في «المصدر السابق»: (وقد سكنوا).

(٤) في (المصدر السابق»: (بالعذيب).

مَنازِلُ أَحْبابي مَواطِنُ سادَتي ... مَطالِعُ أَقْمارِي شُروقُ أَهِلَّتي
مَعاهِدُ أَفْراحِي دِيارُ سَعادَتي ... مَواسِمُ أَرْباحِي أُوَيْقاتُ لَذَّتي
مَضَتْ وانقضَتْ عنِّي، كأنْ لَمْ أَكُنْ بها ... ومَا ذَاكَ إلَّا مِنْ تَرادُفِ غَفْلَتي[1]
إذَا لَمْ يلُحْ لِي بارقٌ مِنْ حِمَاهُمُو ... فَيَا خَيْبَةَ المَسْعَى، ويَا طُولَ شَقْوَتي
وَإنْ لَمْ أَقضِ العُمْرَ بيْنَ خَيامِهِمْ ... فَلَا عِشْتُ فِي الدُّنيا، ولاَ نِلْتُ مُنْيَتِي
وإنْ لَمْ أُشاهِدْ حُسْنَهم في مَشاهِدِي ... فقدْ فاتَنِي سُؤْلِي، ومِتُّ بِحَسْرَتي
وَحَقِّ أيادِيْهِمْ وعِزِّ جَمالِهِمْ ... وفَرْطِ خُضُوعِي في هَوَاهُمْ وذِلَّتي[2]
لِغَيْرِ رِضاهُمْ ما تمنَّت مَطامِعي ... ولا لِسِواهُمْ ما حَلالِي تَلَفُّتي[3]
وَحَاشَايَ أنْ أَسْلُو هَواهُمْ، وحُبُّهُمْ ... يُذَكِّرُنِي حِفْظَ العُهُودِ القَدِيمَةِ
فَهُمْ سرُّ أَسْرارِي، ونُورُ نَواظِرِي[4] ... ورُوحِي، ورَيْحانِي، وأُنْسِي وبَهْجَتِي
وهُمْ عينُ أعْيَانِي، وقلْبِي، وَقَالِبِي ... وهُمْ مُنْتَهى قَصْدِي، ومشْهَدِ رُؤْيَتِي
وهُمْ في مَعَانِيهم حَياتِي حقيقَةً ... وهمْ في مَغَالِيهم، أُهَيلُ مَودَّتي
وهُمْ في تَجَلِّيهم شُموسٌ إذَا بَدَوْا ... وهمْ في تَجَنِّيهم رِياضِي وَجَنَّتي[5]
وهُمْ أيْنَما كَانُوا نهايةُ مقْصَدِي ... وهمْ أينَما حَلُّوا مُرادِي وبُغْيَتي
وَهُمْ نُورُ أنْوارِي، وسِرّ حَقَائِقِي ... وهُمْ أُنْس تَأْنِيسي ومأْمَنُ خِيفَتي

---

(١) زاد في «المصدر السابق»:

أعلل روحي بالغوير، وبانة ... وما شوقها إلَّا لسكان زامة

(٢) هذا البيت ساقط من «العقود الدرية» ص ٤٨٢ وفيها مكانه:

وإن لم أجد نور الهدى من خبائهم ... يضيء به قلبي، فيا عظم حيرتي

(٣) زاد في «المصدر السابق»:

يقولون لي: لم لا سلوت هواهمو؟ ... فقلت: دعوني ما بليتم بمحنتي
ولا ذقتموا ما ذاق قلبي من الجوى ... ولا مسّكم ضري، وناري وحرقتي
فهل لي جنان أن يهمّ بغيرهم ... وهل لي لسان أن يفوه بسلوتي

(٤) في «المصدر السابق» ص ٤٨٢: (مناظري).

(٥) في «المصدر السابق» ص ٤٨٢: (ونزهتي).

تُـرى يَشْتَفِي قَلْبِي بِـرُؤْيَتِهِمْ على ... رِيَاضِ الهَنَا يـوماً، وتبـردُ غُلَّتِي؟

وتَحْيَـا بهِمْ رُوحي حيـاةً هنيئـةً ... مُسَـرْمَدَةَ التَّنعِيم في غَيْـر مِحْنَةِ[1]

إذا سَمَحُوا لي نظرةً مِنْ جَمَـالِهِمْ ... فقد نِلْتُ مِنْ رضوَانِهم كُلّ فُضْلَةِ[2]

عليهم سـلَام اللَّهِ ما هبّتِ الصِّبَـا ... ومـا نَاحَتْ الأطيـارُ شَـوْقـاً وحنَّتِ

وقدْ آن أن أُبْدِي خَفَـايَا صَبَـابَتِي ... وأُظْـهِـرَ للعُـذّالِ أصْـلَ رزيّـتِي

وأَبْكِي عَلَى مَنْ كَانَ يَجْمعُ شمْلَنَا ... على طاعةِ الرَّحمانِ فِي كُلّ لَمْحِةِ

/وأندُبُ أحْزانِي بمـا قـدْ أَصَـابَنِي ... وأنثُـر أشْجَـانِي بنَـظْم قَصِيـدَتِي [٤٦/ب]

فقـدْت إمامـاً كـان أوحـدَ عصْـره ... وقـدْ فُجِعْتْ فيـه جميـعُ البَـريَّـةِ

فقـدتُ إمـامـاً، لـمْ يـزلْ مُتـوكِّـلاً ... على اللَّهِ لا يُصْغى إلى غيْر سُنّةِ

فقـدتُ إمامـاً كان بـالعِلْم عـامِـلاً ... وكـان حقيقـاً قـامِعـاً كُـلَّ بِـدْعَـةِ

أتَى بكتـابِ اللَّهِ والـسُّنـةِ الـتِي ... علتْ وارْتقتْ حقاً على كُـلّ مِلّةِ

أَتى بـأحاديثِ الـرَّسول وَشَـرْحِهَـا ... وعمَّن رَوَاهـا بالمُتُون الصَّحِيحَـةِ

أتَى بعُلوم العَـالَـمِيـن جميعِـهَـا ... بـزُهـدٍ، وتـأييـدٍ، ودينٍ، وقُـوَّةِ

أتى بأُصول الدِّين، والفِقْه مُجْمَلاً ... وفصَّلَهـا تفْصِيـلَ مِنْ غَيْـر شُبْهَـةِ

أتـانَـا بـأحْـوالِ الصَّحـابـة كُلِّهم ... ولِلْتَـابعين[3] المِلَّةِ الـمُستَقِيمَـةِ

أتـانَـا بـأوْصَـافِ الأئِمَّـة كُلِّهم[4] ... وَصَنَّفَ كُتُبـاً في صِفَـات الأئمَّـةِ

أتـانَا بـوصْفِ الصَّالِحِيْن وحـالِهم ... وما هُمْ عليه مِنْ جَميـلِ العَقِيدَةِ

وعلَّمنـا شـرْعَ الـرَّسـول ودِينَـه ... بـأفْصـح ألفـاظٍ وأصْـدَق لهْجَـةِ

وأعْلَمنـا أنَّ النَّجـاة مِنَ الهَـوى ... تَـمسُّكُنـا بـالسُّنّـة الـنَّبـويَـةِ

---

(١) في «المصدر السابق» ص ٤٨٣ : (روض جنة).

(٢) في «المصدر السابق» ص ٤٨٣ : (وصلة).

(٣) في «العقود الدرية» ص ٤٨٣ : (والتابعين).

(٤) في «المصدر السابق» ص ٤٨٣ : (كلها).

وحذَّرنا مِنْ كُل زَيْغٍ وبِدْعَةٍ ... وَعَنْ كُل بَاغٍ[1] خارجٍ عنْ مَحَجَّةِ

وناظَر أرْبابَ العَقائِد كُلِّهِمْ ... وبَيَّنَ منْ قدْ ضَلَّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةِ

وردَّ على أَهْلِ الضَّلالِ جميعِهِم ... بأَوْضَح بُرهَانٍ وأبْلغِ حُجَّةِ

وبيَّن تكذيبَ اليَهُود وخُبْثَهُمْ ... ومَا بَدَّلوا فِي المِلَّة المُوسَويَّةِ

وأخْبرهم عنْ سِرِّ أسْبابِ كُفْرهم ... فَتَعْساً لهُمْ مِنْ أُمَّةٍ غَضَبِيَّةِ

وأظْهر أيضاً للنَّصارى ضَلالَهُمْ ... ومَا أحْدَثُوا في المِلَّة العِيسَويَّةِ

وباحَثَهُم حتَّى تبيَّن أَنَّهُمْ ... سُكَارَى حَيَارَى بِالطِّباع الخَبِيثَةِ

وردَّ عَلَى كُتُبِ الفَلاسِفَةِ الأُولى ... بمَنْقُولِ أحكامٍ ومعْقُولِ حِكْمَةِ

وقَرَّرَ إثباتَ النَّبوّاتِ عنْدَهُمْ ... وجالَ عليهِمْ كَرَّةً بعْدَ كَرَّةِ

وردَّ عَلَى جهْمٍ وجعْدِ بنِ درْهَمٍ ... وبِشْرِ المَرِيسِيّ عُمْدةِ الجَهْمِيَّةِ

زنادقةٌ، كمْ أهْلكُوا مِنْ عَوالِمٍ ... بسُوءِ اعْتِقاداتِ النُّفوسِ السَّقِيمَةِ

[٤٧/أ] /وجَادل أهْلَ الإعْتِزالِ جَميعَهم ... وسلَّ عليهم سيْفَه بالأَدِلَّةِ

يقولُون: قولُ اللَّهِ مِنْ بعضِ خَلْقِه ... لقدْ كُبْكِبُوا فِي قَعْرِ نَارٍ حَمِيَّةِ

وباحث أشياخَ الرَّوافِضِ وانْثَنى ... يُقاتِلُهم بالدُّرَّة العُمَرِيّةِ

لأَنَّهُمُو عَادُوا خَوَاصَّ مُحمَّدٍ ... وسبُّوا، فهُمْ في الأَصْلِ شَرُّ الخَلِيقَةِ

بَغوْا، وافتَروْا، فهُم أبخسُ[2] الوَرَى ... وأكذبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةِ

فكمْ أحْدَثُوا فِي دينِنَا مِنْ ضَلاَلَةٍ ... فلا مرْحباً بالفِرْقَة القَدَرِيَّةِ

وهُمْ خُصَمَاءُ اللَّهِ، تبّاً لِدِيْنِهمْ ... وبُعداً لهُمْ مِنْ عُصْبَةٍ ثَنَوِيَّةِ

وَرَدَّ على قومٍ، تَربَّتْ نفوسُهم ... على النَّفْي والتعْطِيل مِنْ غيرْ حُجَّةِ

وردَّ على قَوْمٍ وشتَّتَ شَمْلَهُمْ ... وهُمْ أهْلُ تَشْبِيهٍ أتوْا بكَبِيرَةِ

---

(١) في «المصدر السابق» ص ٤٨٤: (طاغ).

(٢) في «العقود الدرية» ص ٤٨٥: (أنجس).

وردَّ عَلَى أَهْلِ التَّناسُخِ عِنْدَما … تَجَرَّوْا وخاضُوا فِي أُمُورٍ عَظِيمَةِ

ومزَّقهُم في كُلِّ واد، لأنَّهم … يقولُون لا شيءَ سِوى البرْزَخِيَّةِ

وقدْ أَنكَرُوا أمر المَعادِ بقَوْلِهِمْ … نفوسٌ نأَتْ عنَّا وفِي الغَيْرِ حَلَّتِ

وجادلَ(١) أهلَ الإتِّحاد، وردَّهُمْ … إلى أشْرفِ المَسْرى، وأهدَى طَرِيقَةِ

وأَنْقَذَهُم مِنْ ظُلمة الجهل والعَمى … بنُورٍ وبُرهان، ودينِ النَّصِيحَةِ

وردَّ على أهْلِ الحُلُول، فهُمْ … يروْن تجلِّي الحقِّ في كُلِّ صُورَةِ

وقدْ زَعمُوا أنَّ التَّجَلِي مَظاهِرٌ … ولا سِيَّما في صُوَرٍ أمْرَ دِيَّةِ

فمِنْ أجْلِ هَذَا يَرْقُصون دِيَانَةً … وفي رَقْصِهم جَاءُوا بكُلِّ قَبيحَةِ

يروْن شُهُودَ المردِ والرَّقْصَ قُربَةً … فيَا ويْلَهُم مِن خزْيِ يوْمِ الفَضِيحَةِ

وردَّ على أتباع إبْلِيسَ عِنْدَمَا … رآهُمْ وقد مَالُوا إلى الجَبْرِيَّةِ

وكمْ قدْ طَوى في عِلْمِهِ مِنْ طَوائِفٍ … حرُورِيَّةٍ منهُمْ عَلَى حَشَوِيَّةِ

مَطَايَا بِثنِيّاتِ الطَّرِيقِ سَرَتْ بِهِمْ … إلَى أنْ أناخُوا في عِراصِ القَطِيعَةِ

وفي بحْرِ آراءِ العَقائِدِ أغْرقُوا … رمتْهُم خيالاتُ العُقولِ السَّخِيفَةِ

وكمْ قدْ أراهُمْ كُلَّهم سُبُلَ الهُدَى … وكمْ قدْ نَهاهُم مَرَّةً بعْدَ مَرَّةِ

فمنْ كانَ قطْبَ الكَوْنِ في حَالِ عَصْرِه … سِوَاه؟ وكمْ(٢) قد فَازَ بالبَدَلِيَّةِ؟

شجاعٌ هُمام بارع في صِفَاتِهِ … يرُوم مراماً في المَراقِي العَلِيَّةِ

تزهّد فِي كُلِّ الوُجود، وغيرُه … يدُورُ على الدُّنيا بنفْسٍ دَنِيَّةِ

/يجُودُ على المِسْكين في حالِ عُسْرِه … بأطْمَارِه في حُبِّ بارِي البَرِيَّةِ [٤٧/ب]

ويلقى لمن يلْقَاه بالبِشْر والرِّضا … بأوصافه الحُسْنى، ونفسٍ زكيَّةِ

ويدْعُو لمَنْ قدْ نَالَ مِن ثَلْمِ عِرْضِهِ … ولم ينْتَقِمْ مِمَّنْ أتى بالأذيَّةِ

---

(١) في «العقود الدرية» ص ٤٨٥: (وجاهد).

(٢) في «المصدر السابق» ص ٤٨٦: (ومَن).

يُسارِعُ في الخيْراتِ سِرّاً وجهْرةً ... ويلْهُو عنِ اللَّذَّاتِ في كُلّ طرفةِ
يُجاهدُ في اللّهِ الكريمِ بِجُهدِهِ ... بِصِدْقٍ وإخلاصٍ وعزْمٍ ونيَّةِ
ويأمرُ بالمعروفِ حُبّاً لِربِّهِ ... وينْهى عنِ الفحشاءِ نهياً بهمّةِ
تقيٌّ نقيٌّ، طاهرُ الذَّيلِ مُذْ نَشا ... كريمُ السَّجايا، ذُو صفاتٍ حميدةِ
أليس الذي قدْ شَاع في الكونِ ذكْرُه ... وعمَّ البرايا بالفَتاوى العظِيمةِ؟
فمَن كان تاجَ العارفين لوقْتنا ... وشيخَ الهُدى؟ قُلْ لِي، بغيْر حميَّةِ
هو الحَبْرُ والقُطْبُ الذِّي شاع ذكرُه ... وفاح شَذَاه كالعَبِيرِ المُفَتَّتِ
إذا ما ذكرْنَا حالَه وصفاتِه ... كأنَّا حللْنا في نعيمٍ وروْضَةِ

* * *

تهنأْ أبا العباس بالقُرب والرِّضا ... لقدْ نِلْت ما ترجُو بكلّ مسرَّةِ
ألَا يا تقي الدِّين، يا فردَ عصْره ... بُروقُك قد لاحتْ كشمْسٍ مُضيئةِ
وبانَتْ لِكُلّ النَّاس أوصافُك التي ... برزْتَ بها مثْلَ العُيون الغَزيرةِ
ظهرتَ بأنواع العلوم وجِنْسِها ... وسارت بها الرُّكبان في كُلّ بلدةِ
فأظهرتَ ما قد كان للناسّ خافياً ... بكُلِ معانٍ والفُنونِ الغَريبةِ
وأوضحتَ إشكالاً، وبيَّنت مُبْهَماً ... وأبديْتَ أسراراً بنفْسٍ عَلِيمةِ
وكم غُصْتَ في بحرِ المعارفِ غَوصةً ... ولجَجْتَ فاسْتخرجت كلَّ يتيمةِ
ظهرتَ بإحْسان وحُسن سماحةٍ ... ودينٍ، وتوحيدٍ، وكلِّ فضيلةِ
خرجت من السِّجنِ الذي كان ضَيِّقاً ... إلى دار فوزٍ في رياضٍ فسيحةِ
وقدْ نلتَ مِن مولاك ما كنتَ راجياً ... وأشْهدك المعنى بعينٍ قريرةِ
حُملتَ على النَّعْشِ الذي كان تحته ... مئين أُلوفاً في بكاء وضجَّةِ
وصلَّى عليك المُسلمونَ[1] جميعُهم ... بحُسنِ اعتقاد فيكَ، يا شيخَ قُدوةِ

(١) في «العقود الدرية» ص ٤٨٧ : (الحاضرون).

وأمَّـا النِّسـاءُ المؤمنـاتُ فـإنَّهُنْ خَرَجْنَ حَيَارى، فَوجةٍ بعـد فوجـةِ
ومعهن أبكـار تحجّبن بـالتُّقـى يُنْحْن بـأكبـاد عليـك حـزينـةِ
/صبرْتَ على الأحكام طوعاً وطاعةً وَذُقـتَ مِن الآلام طـعْم البَـليّـةِ [٤٨/أ]
وكُنتَ حـمـولاً للنَّـوائـبِ كلِّهـا صَبوراً على الأقدارِ في دار غُربةِ
وأوسعْتَ صـدراً للمقادير عنْـدمـا شهدْت جَمال الحُبّ فِي كلِّ جلوةِ[1]

إلى أن قال: [2]

فلا أُوحشَ الرَّحمانُ منكَ، ولا خلتْ ربـوعُـك مِنْ تلك العلوم الجليلةِ
ولا أقفرتْ منك الطُّبولُ، ولا نَأت ديـاركُ مِن تلْك الصِّفات الجميلةِ
ولا سكنتْ يـوم الـوَداعِ دمُـوعنـا ولااكْتحلت منك[3] الجُفون بغَمْضَةِ[4]
لقـد كُنتَ روْحـاً للقلوب وراحــةً وقــوتـاً وأُنسـاً للنُّفـوس النَّفـيسـةِ
تمسكتَ بـالدِّينِ الحنيفي والهـدى وبالعروةِ الـوثقى وأَصلِ الشـريعةِ
ظهـرتَ إلى الدنيـا بأحسنِ مـظهرٍ ورحت إلى الأُخرى بأكمل روحةِ
وودعتنـا تـوديـع من غيـر راجـع وفـارقتنـا والـدار غيـر بعيـدةِ
شـربت بكـأس العـارفين مـدامـة حقيقتهـا مِن سرٍّ عينِ الحقيقـةِ
وجُدتَ بفضلِ الكأسِ[5] منك تكرماً على تـابعين السنة الأحمـديـةِ
فسبحانَ مَنْ أعطاك مِن فضل جُوده لقــد نلتَ قُـرْبـاً لا ينـالُ بحيلةِ

---

(١) في «المصدر السابق» ص ٤٨٧: (خلوة).
(٢) الأبيات التي تجاوزها المصنف اختصاراً هي:
ولاحت لـك الأنوار بـالمشهد الـذي تـطوف بـه الأنـوار في روض جنة
وعـاينت مـوجـوداً تعـالت صفـاتـه وشـاهـدت محبـوبـاً بعين البصيـرة
(٣) في «المصدر السابق» ص ٤٨٨: (فيك).
(٤) زاد في «المصدر السابق» ص ٤٨٨:
ولا احتجبت أسماعنا عنك ساعة ولا أيست منـك العيـون بنـضـرة
(٥) في «العقود الدرية» ص ٤٨٨: (وَجُدت بكأس الفضل).

لقد عشتَ محبوباً وَمُتَّ مُكَرَّماً عليكَ مِن الرحمانِ أزكى تحيتي[1]
وبعدُ، فَلِلَّهِ المحامدُ كلُّها على ما أرانا مِن وضوح المَحَجَّةِ
وهَا أَنَا ربِّي عبيدٌ مُتَيَّمٌ عساك ترى حَالِي وتغْفِر زَلَّتِي

وله[2] أيضاً رحمة الله تعالى:

للَّه عيشاً تَقَضَّى بالثنيَّات مع جيرة لذّ لي فيهم صَبَابَاتي
ما كَان أهنا زَماني في ربوعِهمُو والسَّعدُ يسعى بما في إراداتي
والكأْسُ تُجْلَى بأنواعِ السرّور، وفي قُرْب الأحبّة تبْدُو لي سَعاداتي
إذا تجلَّوْا علَى قلْبي بحُسنِهم[3] كأنَّني في نَعِيم وَسْط روْضَاتِي
قد كنتُ في قربهم والوصلُ مُقْترني لم يخطرُ الصدُّ والهُجرانُ في ذاتي
واليومَ أُصبحتُ أبكي بَعْدَ بُعْدِهِمُ لمَّا تناءُوا نأَتْ عنِّي مَسَرَّاتي
وغابَ مُذْ غابَ عنْ عيني جمالُهُمُو رَاحي وروحي، وريحاني وراحاتي
[٤٨/ب] /ولَا صَفَا بعدَهُمْ عيْشي بمنْهَلَةٍ ومُذْ تولَّوا تولَّى طِيبُ لذَّاتي
يا سادةٌ ملكوا قلْبي بِلُطْفِهمُ ما ضَرَّهُمْ لو أُعادُوا لي أُوَيْقاتي؟
فهُم[4] مُرادِي، وهُمْ سُؤْلي، وهم أملِي وهُمْ نِهايةُ مقصُودي وغَايَاتِي
وهمْ سُروري، وهم سمْعي، وهم بَصري وهم نَعِيمي، وروْضَاتي وجَنَّاتي
وهم حَياتي، وهُم أُنْسي، وهُمْ شرفي وذكرُهم لم يزلْ في القَلْبِ خَلَواتي[5] [6]

---

(١) زاد في «المصدر السابق» ص ٤٨٨.

وما برحت تعلوك أنوار أنسه وما زلْتَ في عز وقرب ورفعة
ومأواك جنات النعيم مع الذي تفرد من بين الورى بالوسيلة
نبي الهدى خير الورى صاحب اللّوا شفيع على الإطلاق في كل أمة
عليه صلاة الحق ثم سلامه على عدد الأنفاس في كلّ طرفة

(٢) أي للإمام المتيم.

(٣) في «العقود الدرية» ص ٤٨٩: (بحسبهم).

(٤) في «العقود الدرية» ص ٤٨٩: (همو).

(٥) في «المصدر السابق» ص ٤٨٩: (جلواتي).

(٦) زاد في «المصدر السابق»: ص ٤٨٩:

لمَّا سروْا وفؤادي في هوْدَاجِهم ... ناديْتُ مِنْ حَرقي: يا عُظمَ لوْعَاتِي

ما كنتُ أعلمُ قُربي في مَحبَّتهم ... حتَّى رمتْني إلى الأبْعاد رايَاتِي

فأندبْ على ما مضى مِنْ عيشه[1] وصفاً ... وأبْكِ على ما قدْ جرى، يَا قلبيَ العَاتي

وأذكر مصارعَ قوْم كيْفَ قد شَرِبُوا ... بعد الزُّلَالِ بكَاساتِ المنِيَّاتِ[2]

أأنْتَ مِنْ بعْدِهم تسْري كَسَيْرِهِمُ ... إمـا بـدارِ هَـوان أو بِـجنَّـاتِ؟

أقولُ ما قاله العبْدُ المنيبُ[3]، وقدْ ... أوْدى به السِّجنُ في برٍّ وطاعاتِ

أنا الذَّليلُ، أنا المسكينُ، ذو شَجَنٍ ... أنـا الفقيـرُ إلى ربِّ السَّمـواتِ[4]

لهفي على زمن ولّى ومـا ظفـرت ... روحي بمـا ترتجي يـوم الأثيلات

(١) في «العقود الدرية» ص ٤٩٠: (عيشنا).

(٢) زاد في «المصدر السابق» ص ٤٩٠:

فأصبحوا في الثرى تبلى وجوههم ... تحت التراب، فيا عظم المصيبات

(٣) أي ابن تيمية. قال المصنف الإمام مرعي بن يوسف الحنبلي في «هامش الأصل»: «يشير بذلك إلى قصيدة الشيخ التي قالها في السجن»، ومطلعها:

أنـا الفقيـر إلى ربّ السمـوات ... أنـا المسكين في مجموع حـالاتي

أنـا الظلوم لنفسي وهي ظـالمتي ... والخير إن جاءنا من عنده يـاتي

لا أستـطيـع لنفسي جلب منفعـة ... ولا عن النفس في دفـع المضراتِ

وليس لي دونـه مـولى يـدبِّـرني ... ولا شـفيـع إلى رب السمـواتِ

والفقـر لي وصف ذات، لازم أبـداً ... كمـا الغني أبـداً وصف لـه ذاتي

وهي «طويلة». إنتهى كلام المصنف، وقد أوردها الحافظ ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» ص ٣٩١.

(٤) زاد في «العقود» ص ٤٩٠:

أنـا الكسير، أنـا المحتاج، يـا أملي ... جدلي بفضلك، واعف عن خطيـاتي

أنـا الغريب، فـلا أهـل ولا وطن ... أنـا الـوحيـد، فكن لي في ملمـاتي

أنـا العبيـد الـذي مـا زلت مفتقـراً ... إليـك، يا سيـدي في كـلا حـالاتي

ما لي سواك، وما لي عنك منصرف ... ذكـراك في القلب قـرآني وآيـاتي

أنت القدير على جبري بوصلك لي ... أنت العليم بـأسـراري الـخفيـاتِ

أدعوك يا سيدي، يا مشتكى حزنـي ... يـا جابـري، يـا مغيثي في مهمـاتي

فانظر إلى عبرتي وارحم صبا جسدي ... يـا راحم الخيـر يـا بـاري البـريـاتِ

مـا زال مفتقـراً في بـاب سيـده ... مـا زال مبتليـاً بـالامتحـانـاتِ

ما زالَ يتبعُ آثارَ الرَّسولِ على النَّـ ـهجِ القويم بأعلامِ الدّلالاتِ
يَهْدي لسنَّتِهِ، يُفْتي بِشِرْعَتِهِ يرْعي لحُرمتِهِ في كلِّ ساعاتِ
قُطبُ الزَّمانِ وتاجُ النَّاسِ كُلِّهِمُو روحُ المَعاني، حوَى كلَّ العباداتِ
حَبْرُ الوجُودِ، فريدٌ في معارفِهِ أفنى بسيفِ الهُدى أهلَ الضَّلالاتِ
حوى مِنَ المصْطفى عِلْماً ومعرفةً وجاءه منه إمدادُ النَّوالاتِ
ما جاءه سائلٌ إلَّا ويمْنحُهُ إما بجودٍ، وإمَّا بالمُداراةِ
ماذا أقولُ؟ وقوْلي فيه مُنْحَصِرٌ في وصفِ أخلاقِهِ؟ كَلَّتْ عِباراتي
في علْمِهِ، مَا عَلِمْنَا مَنْ يُناسِبُهُ إلَّا أَئِمَّتنا أهلُ العِنَايَاتِ
في زُهدِهِ، ما سمِعْنَا مَنْ يُشاكلُهُ إلَّا رجالٌ مضوا أهلُ الكراماتِ
في جودِهِ، ما وجدنا مَنْ يُشاكله[1] غيرِ البَرامك كانوا في سعاداتِ
يجودُ، وهو فقيرٌ، إنَّ ذا عجبٌ هذا[2] الذي ما سمِعْنا في الحكاياتِ
تلوحُ شمسُ المعالي في شمائِلِهِ وفي صفا وجْهِهِ نورُ الهداياتِ
بحرُ المعارفِ، تاهوا في بدايته أهلُ المعاني وأربابُ النِّهاياتِ
[٤٩/أ] /قُطُبُ الحقائقِ، حارُوا في فضائِلِهِ أهلُ التَّصَوُّفِ أصحابُ الرِّياضاتِ
أعجوبةُ الدَّهرِ، فردٌ في مظاهِرِهِ[3] علَّامةُ الوقْتِ في الماضي وفي الآتي
يا لهفَ[4] قلبي على مَنْ كان يجمعُنا على فنونِ المعاني والإشاراتِ
فارقتُ مَنْ كان يرويني بِرُؤْيَته إذا تَبدَّى بدَا سِرُّ العباراتِ[5]
يرْوي الأحاديثَ عن سُكَّانِ كاظمةٍ فيُطرِبُ الكونَ مِنْ طيبِ الرِّواياتِ
ويُطْنبُ الذِّكر في إحْسان حُسْنِهِمُ فيرْقُص القلبُ شوقاً نحْو سَاداتِ

(١) في «العقود الدرية» ص ٤٩١: (يماثله).
(٢) في «المصدر السابق» ص ٤٩١: (هو).
(٣) في «المصدر السابق» ص ٤٩١: (فضائله).
(٤) في «المصدر السابق» ص ٤٩١: (وا لهف).
(٥) في «المصدر السابق» ص ٤٩١: (العبادات).

أفضى إلى اللَّه والجنّات مسكنُه   عليــه مِنْ ربِّـهِ أزكى تحيّــاتِ[1]
ثمَّ السَّلامُ على المُختار ما هَمَعَت   سُحْبُ الغمام وجادتْ بالزِّياداتِ[2]
والحَمْـدُ للَّهِ حَمْداً لا انْقـطاعَ لَـهُ   أرجـو بـهِ مِنْ إلٓهي مَحْــوَ زلَّاتي

وهذا ما أردنا جمعه مِن بعْضِ مناقبِ شيخِ الإِسلام ابنِ تيمية، وبعضِ مراثيهِ، على سبيلِ التَّلخيصِ والاختصار.

رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ونفعنا به، وأعاد علينا مِنْ بركتـه، وبركات علومه ومَدَدِه، آمين.

---

(١) زاد في «العقود الدرية» ص ٤٩٢:

ثم الصــلاة على خيـر الأنــام ومن   قــد خـصّـه الله من بين البــريــاتِ
اختــاره ليـلة الإِســراء لحضــرتـه   حتى تـجـلى لـه ربُّ الـسـمـواتِ
فهـو الشفيـع الـذي تـرجى شفـاعتـه   عنــد الشـدائـد في يـوم المجـازاةِ

(٢) في «المصدر السابق» ص ٤٩٢:

عليـه مني ســلام الله مـا همعت   ســحــب وجـادت بـالـزيـادات



خاتمة

نصيحة (و)[1] موعظة

قد علمتَ - أيَّدكَ اللَّهُ - مِمَّا مرَّ مِنْ سيرة الشَّيخ، ومناقِبِه، وغزارةِ عمله، وقُوَّةِ جِهاده، واتِّصافِهِ بكُلِّ فعل جميل، بشهادة الأئمة له، وثنائهم عليه، نثراً ونظماً، حيّاً ومَيْتاً.

إنَّه مِن كبار الأَئِمَّة المُحققين، وعلماءِ الأُمة العاملين الرَّاسخين، وأكابرِ الأولياء العارفين، بشهادة الإمامين الجليلين: أبي حنيفة والشافعي، حيث قالا: «إذا لم يكن العلماء أولياءَ الله فليس لله وليٌّ».

لاسيّما وقد شهد له بذلك غيرُ واحد مِن الأئمة، مع ما أعطاه الله مِن العلم بالعمل، والزّهادة والعبادة، ووقوفه مع الكتاب والسنّة، لا يُميله عنهما قول أحد كائناً مَن كان. كما مرَّ في مناقبه.

هذا وقد تكلم فيه، وبغى عليه منْ لا يخافُ الله، واستحلَّ الوقوع في عرضه، وَنَسَبَهُ لقبائح هو منها بريء[2].

---

(١) زدتها للإقتضاء.

(٢) ومن هؤلاء الفقيه العلامة محمد بن محمد علاء الدين البخاري المتوفى سنة ٨٤١ هـ. فقد كفَّر ابن تيمية وكفر كلّ مَنْ لم يكفره، بسبب فتوى الطلاق المشهورة. وهذا فقيه عارف، دفعه حنقه وغضبه وتعصبه إلى هذه الهوة السحيقة، والخطأ الكبير، فما بالك ببقية هؤلاء من المبتدعة والجهلة وأهل العناد من خصومه وحساده. (انظر المقدمة التي قدَّمنا بها لكتاب «الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية» ص ٥ - ٧).

وترى كثيراً مِنَ الجهلة المتهوِّكين ينْسبونه ـ بغير عِلْمٍ ـ لما لا يحل لهم أن ينْسبوا إليه أعظم الجاهلين. فكيف بمَن هو مِن العلماء الرَّاسخين وأئمة الديّن، والذابِّ عن شريعة سيِّد المُرسلين.

[٤٩/ب] /أترى هذا المفتري لمْ يسمعْ قول النبيّ ـ ﷺ ـ في خطبته في «حجة الوداع»:

«إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحُرْمةِ يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدِكم هذا. ألا هلْ بلغت». رواه «البخاري[١] ومسلم[٢]».

وروى أيضاً «مسلم»[٣] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ دمُه وعرضُه ومالُه».

أو ما درى هذا المتهوّك بلسانه قول الحافظ «ابن عساكر».

«لحومُ العلماءِ مسمومةٌ، وهتكُ أستارِ مُنْتقصهم مَعلُومة».

وقوله ـ أيضاً ـ:

«لحوم العلماء سمٌ مَنْ شمَّها مَرِضَ، ومَنْ ذاقَها مات».

أو مَا بلغ هذا المتجرّىء أنَّه قد جاء النّهي عن ذكر مساوىء الأموات. وذكر محاسنهم[٤].

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اذْكرُوا مَحاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عن مَسَاويهِم».

رواه أبو داود[٥] والترمذي[٦] وابن أبي الدنيا[٧].

---

(١) البخاري ـ صحيح البخاري: ٢٦/١ كتاب العلم، باب قول النبي ـ ﷺ ـ رُبَّ مبلغ أوعى من سامع. طبعة دار الشعب.

(٢) مسلم ـ صحيح مسلم: ١٣٠٥/٣ ـ ١٣٠٦ كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء، رقم ٢٩.

(٣) مسلم ـ صحيح مسلم: ١٩٨٦/٤ كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، رقم ٣٢.

(٤) يعني الإكتفاء بذكر محاسنهم. وهو اختصار مخل، لأنَّه معطوف على النهي.

(٥) أبو داود ـ سنن أبي داود: ٢٤٢/١٣ كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الموتى.

(٦) الترمذي ـ جامع الترمذي: ٩٩/٤ كتاب الجنائز، حديث رقم ١٠٢٤.

(٧) ابن أبي الدنيا ـ كتاب الصمت: ٦٢٤/٢ ـ ٦٢٥ رقم ٧١٣ بلفظ: «لا تذكروا موتاكم إلاَّ بخير» =

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تسبوا الأموات، فإنَّهم قد أفضوا إلى ما قدّموا».

رواه الإمام أحمد[1] والبخاري[2] والنسائي[3].

وفي رواية أخرى:

«لا تذكروا موتاكم إلَّا بخير، إنْ يكونوا مِنْ أهل الجنة تأْثموا، وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه»[4].

فلا يجوز لمنْ يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أَنْ يَثْلِمَ عِرض أحد من المسلمين بما لا يليق؛ فكيف بأئِمة المسلمين وورثةِ الأنبياء!! فكيف بالأمواتِ منهم!!

قال الشيخ تاج الدين السُّبكي ـ رحمه الله ـ:

«ينبغي لك أيها المُسْتَرْشِدُ أنْ تَسْلُكَ سبيلَ الأدب مع جميع الأئمة الماضين. وأنْ لا تنظر إلى كلام الناس فيهم إلَّا ببرهان واضح. ثم إنْ قدرتَ على التأويل وتحسين الظنّ بحسب قدرتك فافعل، وإلَّا فاضرب صَفْحَاً عما جرى بينهم، فإنَّك يا أخي لم تُخلق لمثل هذا، وإنَّما خُلقتَ للاشتغال بما يعنيك من أمر دينك».

قال: «ولا يزال الطالب نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين الأئمة، فتلحقه الكآبة وظلمة الوجه».

= وفيه إياس الأفطس لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وهو في «كتاب الزهد» لهناد بن السري: ١٠٨ أ بلفظ: «لا تذكروا هلكاكم إلَّا بخير» والنسائي في «السنن» ٤/ ٤٣.

(١) أحمد ـ المسند: ٦/ ١٨٠ عن عائشة.

(٢) البخاري ـ صحيح البخاري: ٢/ ١٢٩، ٨/ ١٣٤ عن عائشة.

(٣) النسائي ـ سنن النسائي: ٤/ ٤٣ كتاب الجنائز، باب النهي عن سب الأموات، عن عائشة.

(٤) وهي رواية ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت»، وهناد بن السري في «كتاب الزهد»، انظر تخريجه في «اذكروا محاسن موتاكم» المتقدم قريباً. وقد أورده العجلوني في «كشف الخفا»: ١/ ١٠٦ وعزاه إلى «مسند أبي داود الطيالسي» وقال: بسند جيد.

وقال الحافظ «السّيوطي» نقلاً عن الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام:

«كما أَنَّ لكلّ نبي عدواً من المجرمين[1]، كذلك لكل عالم عدوّ فإنَّهم

. . . . .ومَن صبر كما صبروا . . . .

. . . .[2]علم ذلك على اليقين» إنتهى.

فإنْ طُعن على الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ من حيث العقيدة، فعقيدته عقيدة السَلف، كما وقع الإتفاق على ذلك وقت المناظرة[3]. فليطْعَن على السَّلَفِ مَنْ طعِنَ فيه.

[٥٠/أ] وإنْ كان مِن حيث إفتاؤُه بمسألة «الطلاق الثلاث»/في كونه أوقع مِنْ ثلاث طلقات مجموعة أو مُتفرِّقة قبل رجعة طلقة واحدة. فهو مجتهد، ولا يجوز الطَّعن على المجتهد فيما ذهب إليه ممَّا قام عليه الدّليل عنده. بل يجب عليه العمل به.

على أَنَّ مسألة الطلاق قال بها غيره مِنْ أكابر الصحابة والتَّابعين، كما هو مروى عن علي بـن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعبد الرحمان بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس[4].

وقال: «قوله ثلاثاً» لا معْنى له، لأنَّه لم يطلِّق ثلاث مرات[5].

وقال به عَطاء، وطاووس[6]، وعمرو بن دينار، وسعيد بن جبير، وأبو

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبيٍ عدواً من المجرمينَ وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ سورة الفرقان/ ٣١.

(٢) مطموسة في «الأصل» بسبب الرطوبة.

(٣) انظر فصل «ذكر بعض ألفاظ ما وقع في المناظرة» ص ٦٨ ـ ٧٦.

(٤) انظر تفاصيل مذهبه وأدلته في هذه المسألة في «مجموع الفتاوى»: ٣٣/ ٨٢ ـ ٨٨ وفي مواطن أخرى من هذا المجلد.

(٥) ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: ٨٣/٣٣.

(٦) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، من أكابر التابعين فقهاً وحديثاً وزهداً وشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي حاجاً سنة ١٠٦ هـ. (الأصبهاني ـ أبو نعيم ـ الحلية: ٣/٤، ابن الجوزي ـ صفوة الصفوة: ٢/١٦٠).

الشَّعثاء[1]، ومحمد بن إسحاق[2]، والحجَّاج بن أرطأة[3].

وقال به مِنْ شيُوخ قرطبة جماعة منهم: محمد بن عبد السلام الخُشَني[4] فقيهُ عصره، وأصبغ بن الحباب، وغيرهم. فليطعن على هؤلاء مَنْ طعن فيه بسبب هذه المسألة[5].

وإن كان الطَّعن فيه مِنْ حيثُ تحريمه «زيارة قبور الصالحين» وغيرهم، فهو كذب وافتراء عليه. فإنَّه لا يمنع ذلك وإنَّما حكىٰ قولين للعلماء في مَنْ يشدُّ الرِّحال لزيارتها، ورجح النَّهي، تبعاً لطائفة مِنَ الأئمة المُجتهدين، والحجَّة في ذلك قوله ـ ﷺ ـ: «لا تشُدّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد»[6] الحديث.

فكيف يسوغ الإعتراض عليه بذلك، ولا سيَّما وقد وافقه على ذلك علماءُ بغداد، مِن ذوي المذاهب، كما مَرَّ.

وإن كانت مِن حيث إنكاره على الصوفية، فلا خصوصية له. بل يجب

---

(1) جابر بن زيد الأزدي البصري، تابعي فقيه، وكان من بحور العلم توفي سنة ٩٣ هـ. (الذهبي ـ تذكرة الحفاظ: ٦٧/١، الشماخي ـ السير: ص ٧٠ ـ ٧١).

(2) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني المؤرخ، قال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار، توفي سنة ١٥١ هـ (ابن سعد ـ الطبقات: ٦٧/٧، الخطيب ـ تاريخ بغداد: ٢١٤/١ ـ ٢٣٤).

(3) الحجاج بن أرطأة بن ثور النخعي القاضي الكوفي، كان من حفاظ الحديث، استفتي وهو ابن ست عشرة سنة. (الذهبي ـ ميزان الاعتدال: ٢١٣/١، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ١٩٦/٢).

(4) أبو الحسن القرطبي النحوي، من حفاظ الحديث وثقاته، توفي سنة ٢٨٦ هـ. (الذهبي ـ تذكرة الحفاظ: ٢٠٠/٢، المالكي ـ رياض النفوس: ٣٤٥/١) وقد تصحف في «مجموع الفتاوى» ٨٣/٣٣ إلى «الحسيني» وهو خطأ.

(5) مرعي ـ الشهادة الزكية: ص ٩١ وقال: «واختار أبو حيان في تفسيره «النهر» والإمام ابن القيم، وتكلم على ذلك في نحو أربعين ورقة» وانظر ابن القيم ـ زاد المعاد: ص ١٠٠ ـ ١٢٤.

(6) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٧٦/٢ كتاب الصلاة، باب فضل العيدين في مسجد مكة والمدينة. وأخرجه مسلم في «الصحيح» ١٠١٤/٢ كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد، رقم ٥١١.

على حملة الشرع قاطبة إنكارُ ما خالف ظاهر الشريعة وإن كان. .[1] لأنهم مكلفون بالظواهر والله يتولى السَّرائر.

قال أبو حيان ـ في «النهر» في أوائل تفسير سورة «المائدة» في قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إنَّ اللَّهَ ثالث ثلاثة﴾[2]: «ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهراً. وانتمى إلى الصُّوفية: حلولَ الله ـ تعالى ـ في الصور الجميلة، ومَن ذهب مِن ملاحدتهم إلى القول «بالاتحاد والوحدة»، كالحلاج[3]، والثوري[4]، وابن أُحْلى[5]، وابن عربي[6]، وابن الفارض[7] وأتباع هؤلاء كابن سبعين[8] والششتري

---

(١) مطموسة في الأصل بسبب الرطوبة، ولعلها: وإن كان أراد فاعلها الخير.

(٢) سورة المائدة/ ٧٣.

(٣) الحسين بن منصور، الفيلسوف المقتول على الحلول والإلحاد، أصله فارسي وكان ينتقل في البلدان وينشر طريقته سراً، وكان يظهر مذهب الشيعة للملوك العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة، وكان يدعي حلول الألوهية فيه، له كتب غريبة الأسماء والأوضاع منها «قرآن القرآن والفرقان» قتله الخليفة المقتدر العباسي على الزندقة سنة ٣٠٩ هـ (ابن الأثير ـ تاريخ ابن الأثير: ٣٩/٨، ابن حجر ـ لسان الميزان: ٣١٤/٢).

(٤) أحد المضلين، وهو غير سفيان بن سعيد الثوري الإمام الحافظ العلم.

(٥) محمد بن علي بن أحلى، انتقل من الدراسة إلى الرئاسة وأصبح من أمراء الأندلس وكان من أهل الكلام، ولما احتل الروم مرسية قاومهم، ثم سالمهم، توفي سنة ٦٤٥ هـ. (ابن الأبار ـ الحلة السيراء: ص ٢٥٣).

(٦) محمد بن علي بن محمد محيي الدين، الملقب بالشيخ الأكبر، قال الذهبي: هو قدوة القائلين بوحدة الوجود، توفي سنة ٦٣٨ هـ. (المقري ـ نفح الطيب: ٤٠٤/١، الذهبي ـ ميزان الاعتدال: ١٠٨/٣).

(٧) عمر بن علي بن مرشد، شيخ الاتحادية، وقد أورد له ابن حجر أبياتاً صرَّح فيها ابن الفارض «بالاتحاد» كقوله:

وفي موقفي لا بل إليَّ توجهي ولكن صلاتي لي، ومني كعبتي

توفي سنة ٦٣٢ هـ. (ابن خلكان ـ وفيات الأعيان: ٣٨٣/١، ابن حجر ـ لسان الميزان. ٣١٧/٤).

(٨) عبد الحق بن إبراهيم أبو محمد الأشبيلي، من الفلاسفة الصوفية قائلين بوحدة الوجود، قال الذهبي: اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً ـ يعني رسول الله ﷺ ـ بقوله: لا نبي بعدي. وكان يقول في الله عزَّ وجل: إنَّه حقيقة الموجودات. وفصدَ =

تلميذه[1]، وابن مظفر المقيم «بمرسية»، والصفار المقتول بغرناطة.

قال: «ومِمَّن رأيناه يرمي بهذا «المذهب الملعون» العفيف التلمساني[2]، وله في ذلك أشعار كثيرة، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع، المقيم بدمشق[3]، وعبد الواحد بن المؤخر المقيم[4] بصعيد مصر، والأيكي العجمي، الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد العداء بالقاهرة، وأبو يعقوب بن بشر - تلميذ الششتري - المقيم[5] بحارة زويلة بالقاهرة، والشريف عبد العزيز المنوفي، وتلميذه عبد الغفار القوصي»[6].

قال أبو حيّان: «وإنَّما سردت أسماء هؤلاءُ نُصحاً لدين الله - يعلم الله ذلك - وشفقة على ضعفاء المسلمين وليحذروهم فهم أشرّ من الفلاسفة، الذين يكذِّبون بالله ورسله، ويقولون: بقدم العالم، ويُنكرون البعث.

وقد أُولع جهلة، ممّن ينتمي إلى التصوُّف بتعظيم هؤلاء وادعائهم أنَّهم صفوة الله وأولياؤه. والرَّد على النصارى والحلولية والقول بالوحدة[7]، هو من علم أصول الدين». انتهى[8].

= بمكة فترك الدم يجري حتى مات نزفاً سنة ٦٦٩ هـ. (الكتبي - فوات الوفيات، ٢٤٧/١ الذهبي - ميزان الاعتدال: ٣٩٢/٣).

(١) علي بن عبدالله أبو الحسن النميري، من متصوفة الأندلس، وكان شاعراً فقيهاً، توفي سنة ٦٦٨ هـ (المقري - نفح الطيب: ٤١٦/١، الغبريني: عنوان الدراية: ص ١٤٠ - ١٤٣).

(٢) سليمان بن علي الكومي، عفيف الدين التلمساني، كان يتكلم على اصطلاح المتصوفة ويتبع طريقة ابن عربي في أقواله وأفعاله، واتهمه فريق برقَّة الدين، والميل إلى مذهب النصيرية توفي سنة ٦٩٠ هـ (ابن تغري بردى - النجوم الزاهرة: ٢٩/٨، ابن كثير - البداية والنهاية: ٣٢٦/١٣).

(٣) في «الأصل» زيادة (كان) وحذفناها لعدم ضرورتها في السياق، فهي مقحمة.

(٤) في «الأصل» زيادة (كان) وحذفناها لعدم ضرورتها في السياق، فهي مقحمة.

(٥) في «الأصل» زيادة (كان) وحذفناها لعدم ضرورتها في السياق، فهي مقحمة.

(٦) انظر مرعي - الشهادة الزكية: ص ٩٧.

(٧) يعني «وحدة الوجود» قاتل الله مُبتدعيها، والقائلين بها.

(٨) مرعي - الشهادة الزكية: ص ٩٧.

وقال الشيخ الإمام الحافظ سراج الدِّين أبو حفص عمر البزار في «مناقبه»:

«أكثر في حقه من الأقاويل الزور والبهتان، من ظاهر حاله العدالة، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة ولمْ يزلْ المُبتدعون أهل الأهواء، وآكلوا الدُّنيا بالدِّين متعاضدين متناصرين في عداوته، باذلين وُسعهم بالسَّعي في الفتْك به، متخرِّصين عليه الكذب الصَّريح، مختلقين عليه، وناسبين إليه ما لم يَقُلْهُ، ولم يَنْقُلْهُ، ولم يُوجد له بخطّ، ولا وُجد له في تصْنيف، ولا فتْوى، ولا سُمع منه في مجلس.

قال: وسببُ عداوتهم له؛ أن مقصودهم الأكبرَ طلبُ الجاه والرِّياسة، وإقبال الخلق. ورأوه قد رقَّاه الله إلى ذرْوة السَّنام مِنْ ذلك بما أوقع الله له في قلوب الخَاصَّة والعامة مِن المواهب التّي منحه بها، وهُمْ عنها بمعزل. [٥٠/ب] /فنصبوا عداوته وامتلأت قلوبهم بمحاسدته، وأرادُوا ستر ذلك عن الناس، حتى لا يُفطنُ بهم. فعمدوا إلى اختلاق الباطل والبهتان عليه والوقوع فيه، خُصوصاً عند الأمراء والحكّام وإظهارهم الإنكار عليه فيما يُفتي بهِ مِن الحلال والحرام، وكما عَلِم الله نيَّته ونيَّاتِهم أبى أنْ يُظفرهم فيه بما راموا، حتَّى أنَّه لم يحضر معهم في عَقْد مجلس إلَّا ونَصرهُ الله عليهم بما يُظهره على لسانِه مِن دحْضِ حُججِهم الواهنة، وكشف مكيدتهم الداهية للخاصة والعامة.

قال: وهو مع ذلك كلّما رأى تحاسدَهم في مباينته، وتعاضدَهم في مناقضته ولا يزداد إلَّا للحقّ انتصاراً. ولم يُوَلِّهم دبره فراراً، ولقد قصد أعداؤه الفتك به مراراً، وأوسعوا حيلهم عليه إعلاناً وإسراراً، فجعل الله حفظه منهم له شعاراً أو دثاراً، ولقد رأوا موته ما لو رآه وادُّهُ أَقَرَّ بهِ عينَه. فإنَّ الله تعالى لعِلْمه بقُرب أجله ألْبسه مِن الفراغ عن الخلق للقُدوم على الحق أجملَ حُلله.

حُبس على غير جريرة ولا جريمة، بل على قوَّة في الحق وعزيمة. هذا

مع نشر الله مِنْ علومه في الآفاق، وبهر بفنونه البصائر والأحداق، وملأ بملامح مُؤلفاته الصُّحف والأوراق. وقد كانت تأتيه الفتاوى من أقطار الآفاق. فَلَهُ أجوبة في مسائل وردت مِن أصبهان، وجواب مسائل وردت مِن الأندلس، وجواب عن سؤال ورد مِن ماردين، وأجوبة كثيرة عن مسائل وردت مِن بغداد، وكان يكتب على السؤّال المُجَلّد فأكثر وله إجازات طُلبت منه، منها:

إجازة لأهل سبتة، وإجازة لبعض أهل توريز، وإجازة لأهل غرناطة، وإجازة لأهل أصبهان وغير ذلك[1]. وفضائله ومناقبه وتَعْداد تصانيفه ممَّا يطْبع مجلدات، رضي الله عنه ونفعنا ـ آمين.

وقال مؤلفه: فرغت من جمعه بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة ثالث ربيع الثاني سنة ١٠٢٧ هـ.

---

(١) هذا الذي ذكره الإمام مرعي الحنبلي من الفتاوى والأجوبة على مسائل وردت على شيخ الإسلام من شتى بقاع العالم الإسلامي، وما ذكره من إجاباته المطنبة الواسعة، وإجازاته المتعددة كلها وأضعافها مجموعة في الكتاب الحافل «مجموع فتاوى ابن تيمية» الذي جمعه ورتبه الأستاذ المرحوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، وقد طبع في «٣٧» مجلداً.



ثالثاً: فهـــارس الكتـــاب

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية.
٣ ـ فهرس الآثار، وأقوال العلماء الكبار.
٤ ـ فهرس الأمثال.
٥ ـ فهرس الأشعار.
٦ ـ فهرس الغريب.
٧ ـ فهرس الفِرَق والأمم والجماعات.
٨ ـ فهرس البقاع والأمكنة.
٩ ـ فهرس الكتب.
١٠ ـ فهرس الأعلام.
١١ ـ فهرس مراجع التحقيق.
١٢ ـ فهرس الموضوعات.



١ - فهرس الآيات القرآنية

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

أ ـ الأحاديث القولية:

ب ـ الأحاديث الفعلية:

٣ - فهـــرس الآثـــار، وأقوال العلماء الكبار

---

(١) وهذا القول مروي أيضاً عن الإمامين مالك وابن عيينة في نفس الصفحة.
(٢) وهذا القول مروي أيضاً عن الإمام أبي حنيفة.

٤ ـ فهـرس الأمثـال

٥ - فهرس الأشعار

إن الإمام الحافظ ابن تيمنة شيخ الديانة والزهادة أحمدي
(محمد الجنقردي/ ١٠ أبيات ـ ٥٤ ـ ٥٥).

قف بالربوع الهامدات وعدّد واذر الدموع الجامدات وبدد
(محمود بن علي الدقوقي/٥٦ بيتاً ـ ٢١٣ ـ ٢١٦).

أهكذا في الدياجي يحجب القمر ويحبس النوء حتى يذهب المطرُ
(ابن فضل الله العمري/٧٨ بيتاً ـ ١٨٢ ـ ١٨٧).

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكلٌ وكاسرٌ مكسورُ
(. . . . /بيت واحد ـ ١١١).

صبراً جميلاً فالمصاب كبير كادت جبال الأرض منه تمورُ
(أحمد بن عبد الكريم أنوشروان التبريزي/٣٩ بيتاً ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٦).

قالوا بأنك قد أخطأت مسألة وقد يكون فهلا منك تُغتفر
(ابن فضل الله العمري/٣ أبيات ـ ٩ ـ ١٠).

لما أتينا إلى تقي الدين لاح لنا داع إلى الله فرد ما له وزر
(أبو حيان النحوي/٦ أبيات ـ ٥٦ ـ ٥٧).

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
(ابن الزّملكاني/٣ أبيات ـ ٦١).

يا ساحر الطرف يا من مهجتي سحراً كم ذا تنام وكم أسهرتني سحرا
(مرعي الحنبلي/٣ أبيات ـ ٢٠).

تقي الدين أضحى بحر علم يجيب السائلين بلا قنوط
(ابن عساكر/بيتان ـ ٧٦).

عشا في عرضه قوم سلاط لهم من نشر جوهرة التقاط
(ابن الوردي/بيتان ـ ١٨٧).

قلوب الناس قاسية سلاط وليس لها إلى العليا نشاط
(عمر بن الوردي/٣٢ بيتاً ـ ١٨٧ ـ ١٨٩).

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال
(الحميدي الأندلسي/بيتان ـ ٥٤).

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
(الرازي/٣ أبيات ـ ١٠٤).

هيهات أنْ يأتي الزمان بمثله إنَّ الزمان بمثله لبخيل
(ابن شهاب تلميذ ابن بطة/بيت واحد ـ ١٥٣).

أهاذي خدور أم بدور تمائم وإلا زهور أم ثغور بواسم
(مرعي الحنبلي/٥ أبيات ـ ٢٠).

أي حَبْر مضيء وأي إمام فجعت فيه ملة الإسلام
(علاء الدين بن غانم/٣٣ بيتاً ـ ١٩١ ـ ١٩٣).

خطب دنا فبكى له الإسلام وبكت لعظم بكائه الأيام
(بدر الدين محمد بن عز الدين المغيثي/٥ أبيات ١٦ و٦١ بيتاً في ٢٠٧ ـ ٢١٠).

لمصاب البر التقى الإمام كلٌ دمع من الورى في انسجام
(مجد الدين أحمد بن الحسن البغدادي/٥٣ بيتاً ـ ١٩٣ ـ ١٩٦).

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
(الشهرستاني/بيتان ـ ١٠٣ ـ ١٠٤).

عَمَّ المصاب فلا تبكوا بغير دم على ابن تيمية ذي العلم والحكم
(أحمد بن عبد الكريم التبريزي/١٣ بيتاً ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

كان واللّه فقيهاً جبلاً وله عِرض بسوءٍ ما اتُّهِم
(عمر بن الوردي/بيتان ـ ١٨٩).

ما كف هذا الرزء جفن تسجم أبداً ولا قلب يذوب ويألم
(محمود بن علي الدقوقي/٨٥ بيتاً ـ ٢١٦ ـ ٢٢١).

والكاتبين بسمر الخط ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم
(البوصيري/بيت واحد ـ ١٨٤).

يا دموعي سحي كسحب الغمام هاطلات على الخدود جسام
(محمود بن الأثير الحلبي/٥٠ بيتاً ـ ١٩٦ ـ ١٩٨).

فاصبر ففي الغيب ما يغنيك عن حيل وكل صعب إذا صابرته هانا
(نجم الدين الطوفي/١٢ بيتاً ـ ١٣٢).

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة
(علي بن أبي طالب/بيت واحد ـ ٧٥).

تقدم راكباً فيهم إماماً ولولاه لما ركبوا وراءه
(ابن فضل العمري/بيت واحد ـ ٦٩).

مضى عالم الدنيا الذي عز فقده وأضرم ناراً في الجوانح بعده
(محمود بن علي الدقوقي/٥٢ بيتاً ـ ٢١٠ ـ ٢١٣).

هو البحر من أي النواحي جئته والبدر من أي الضواحي رأيته
(ابن فضل الله العمري/بيت واحد ـ ٦٩).

عش ما تشاء فإن آخره الفنا   والموت ما لا بد عنه ولا غنى

(عبد الصمد بن إبراهيم البغدادي/٤٨ بيتاً - ٢٠٢ - ٢٠٤).

إن رمت تفتيش الخزائن كلها   وظهور أجزاء حَوَتْ وعوالي

(الذهبي/بيتان - ٦٩).

٦ - فهــرس الغريــب

٧ - فهـرس الفِرَق والأُمَم والجماعات

٨ - فهـرس البقـاع والأمكنـة

٩ ـ فهرس الكتب

١٠ - فهــرس الأعــلام[1]

(١) لقد نبهت على الأعلام الذين ترجمت لهم في الهامش بوضع أرقامهم بين قوسين.

١١ - فهـرس المصـادر والمـراجـع

أ - ثبت المصادر المخطوطة والمطبوعة:

١ - القرآن الكريم.

٢ - آداب اللغة العربية: لجرجي زيدان/طبع بمصر سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م.

٣ - إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين: للإمام محمد مرتضى بن محمد الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)/دار إحياء التراث العربي بالقاهرة.

٤ - أزهار الرياض في أخبار عِياض: للإمام أحمد بن محمد المقَّري/طبع بمصر سنة ١٣٥٨ - ١٣٦١ هـ.

٥ - الأسرار المرفوعة (الموضوعات الكبرى): للإمام ملا علي بن محمد القاري (ت ١٠١٤ هـ) تحقيق د. محمد الصباغ/دار الأمانة، ومؤسسة الرسالة، ١٣٩١ هـ/١٩٧١.

٦ - الأعلام: للأستاذ خير الدين الزركلي/دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨٠ م.

٧ - الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: للإمام أبي حفص عمر بن علي البزار (ت ٧٤٩ هـ)/دار الكتاب الجديد - بيروت، سنة ١٩٧٠ م.

٨ - إنباء الغُمْر بأبناء العمر: للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)/المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٩ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: لإسماعيل باشا بن محمد البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)/منشورات مكتبة المثنى ببغداد.

١٠ - البداية والنهاية: للإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٥١ هـ.

١١ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القَرْن السابع: للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)/ المطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ.
١٢ ـ بديعة البيان في وفيات الأعيان: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢ هـ) النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالعطارين ـ تونس، رقم ١٦٧٣.
١٣ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ.
١٤ ـ تاريخ ابن الأثير (الكامل): للإمام عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ)/ طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٣ هـ.
١٥ ـ تاريخ الأدب العربي: لبروكلمان/الطبعة الألمانية.
١٦ ـ تاريخ بغداد: للإمام أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)/ مطبعة السعادة بمصر. الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م.
١٧ ـ تاريخ التراث العربي: د. محمد فؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي حجازي، ومراجعة عرفة مصطفى/جامعة محمد بن سعود سنة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.
١٨ ـ تاريخ العراق بين احتلالين: للأستاذ عباس العزاوي/ طبع ببغداد، سنة ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٧٦ م.
١٩ ـ تاريخ علماء بغداد (منتخب المختار): للإمام محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤ هـ) /طبع ببغداد سنة ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م.
٢٠ ـ تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر): للإمام عمر بن مظفر بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) طبع بمصر سنة ١٢٨٥ هـ.
٢١ ـ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: للإمام المباركفوري، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان/ مطبعة الاعتماد بالقاهرة سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م.
٢٢ ـ تذكرة الحفاظ: للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)/ دار إحياء التراث العربي عن طبعة وزارة المعارف الحكومية بالهند.
٢٣ ـ الترغيب والترهيب: للإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق مصطفى عمارة/ دار إحياء التراث ـ بيروت ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م.
٢٤ ـ تفسير القرطبي (الجامع للأحكام القرآن): للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد

الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، صححه أبو إسحاق إبراهيم أصفيش/ طبعة دار الكتب المصرية.

٢٥ - تلخيص الحبير بتخريج أحاديث الرافعي الكبير: للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل/مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٢٦ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: للإمام ابن عِرَاق علي بن محمد بن علي (ت ٩٦٣ هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق/ مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى.

٢٧ - تهذيب التهذيب: للإمام ابن حجر العسقلاني/حيدر آباد الدكن - الهند سنة ١٣٢٥ هـ.

٢٨ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للإمام أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المِزي ت (٧٤٢ هـ) نسخة خطية مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية/ نشرتها دار المأمون للتراث بدمشق.

٢٩ - تهذيب مدارج السالكين: للأستاذ عبد المنعم صالح العلي الغزي/ مطبعة كاظم - دُبَي سنة ١٤٠٢ هـ.

٣٠ - جامع ابن وهب: للإمام عبد الله بن وهب المصري (ت ١٩٧ هـ) /نشره دافيد ويل بالقاهرة سنة ١٩٤٢ م.

٣١ - الجواهر المضية في تراجم الحنفية: للإمام عبد القادر بن محمد القرشي (ت ٧٧٥ هـ)/ طبع بحيدر آباد بالهند سنة ١٣٣٢ هـ.

٣٢ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار الكتب العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧ هـ.

٣٣ - الحُلَّة السيراء: للإمام محمد بن عبد الله بن الأَبَّار (ت ٦٥٨ هـ)/ طبع في ليدن سنة ١٨٤٧ هـ - ١٨٥١ م، وهي قطعة من الكتاب.

٣٤ - حِلْيَة الأولياء: للإمام أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)/ مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.

٣٥ - حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: للأستاذ محمد بهجة البيطار /المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية.

٣٦ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: للإمام محمد أمين بن فضل الله

المجبي (ت ١١١١ هـ) طبع بمصر سنة ١٢٨٤ هـ.
٣٧ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للإمام جلال الدين السيوطي /دار الكتب الحديثة ـ مصر سنة ١٩٦٦ م.
٣٨ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: للإمام ابن حجر العسقلاني/ مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ.
٣٩ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: للإمام إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩ هـ)/ طبع بمصر سنة ١٣٥١ هـ.
٤٠ ـ ديوان أبي حَيَّان الأندلسي: لأبي عبد الله محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ) تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي/ مطبعة العاني ببغداد سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م.
٤١ ـ ديوان الأعشى: تحقيق فوزي عطوي/ دار صعب ـ بيروت سنة ١٩٨٠ م.
٤٢ ـ ديوان مجنون ليلى: لقيس بن الملوَّح بن مزاحم العامري، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج/مكتبة مصر بالقاهرة.
٤٣ ـ الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام: للدكتور بشار عواد معروف /مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٧٦ م بالقاهرة.
٤٤ ـ ذيل تذكرة الحفاظ: للأئمة أبي المحاسن الحسيني، ويليه لخط الألحاظ لمحمد بن فهد المكي، ويتلوه ذيل طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي/ دار إحياء التراث العربي عن طبعة وزارة المعارف الحكومية بالهند.
٤٥ ـ ذيل طبقات الحنابلة: للإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي (ت ٧٩٥ هـ)، صححه محمد حامد الفقي/ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٢ هـ.
٤٦ ـ الرَّد الوافر: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢ هـ) تحقيق الأستاذ زهير الشاويش/ المكتب الإسلامي ببيروت سنة ١٣٩٣ هـ.
٤٧ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة: للكتاني محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥ هـ)/ دار الفكر ببيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٤ م.
٤٨ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر: للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق د. حامد عبد المجيد وجماعة/ طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م.
٤٩ ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية: للإمام المالكي/ طبع بمصر سنة ١٩٥١ م.

٥٠ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق محمد حامد الفقي /مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٧٣ هـ.

٥١ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨ هـ.

٥٢ ـ سنن الدارقطني: للإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني ت (٣٨٥ هـ) تحقيق عبد الله هاشم يماني/ طبع بدار المحاسن بالقاهرة سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.

٥٣ ـ سنن أبي داود: للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) /طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٢ م.

٥٤ ـ السنن الكبرى: للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) /مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ.

٥٥ ـ سنن النسائي: للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)/ مطبعة مصطفى الحلبي، ومحمود نصار الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٣ هـ.

٥٦ ـ السِّير: للإمام أحمد بن سعيد الشماخي/ طبع بقسنطينة في الجزائر.

٥٧ ـ سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وجماعة/ مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

٥٨ ـ شذرات الذهبي في أخبار من ذهب: للإمام عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)/ مطبعة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ.

٥٩ ـ شرف أصحاب الحديث: للإمام الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي/ دار إحياء السُّنة النبوية.

٦٠ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، علق عليه وراجعه محمد عبد المنعم خفاجي/ مكتبة الحرم الحسيني بالقاهرة ١٩٥٢ م.

٦١ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: للإمام مرعي بن يوسف الحنبلي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف/ دار الفرقان، ومؤسسة الرسالة ـ عَمّان الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٦٢ ـ الصارم المنكي في الردِّ على السبكي: للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤ هـ)/مطبعة الإمام بالقاهرة.

٦٣ ـ صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) تصوير دار الفكر بيروت.
٦٤ ـ صحيح ابن حبان: موارد الظمآن.
٦٥ ـ صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/طبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٧٤ هـ.
٦٦ ـ صفوة الصفوة: للإمام أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) /طبع في حيدر آباد ـ الدكن بالهند سنة ١٣٥٥ هـ.
٦٧ ـ الصمت وآداب اللِّسان: للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ)، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف/ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.
٦٨ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٢٠ هـ)/ مطبعة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ.
٦٩ ـ الطب النبوي: للإمام محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، سنة ١٩٨١ م.
٧٠ ـ طبقات الحفاظ: للإمام ابن عبد الهادي. النسخة الخطية المصورة عن نسخة الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله.
٧١ ـ طبقات الحفاظ: للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد علي عمر/مكتبة وهبة بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م.
٧٢ ـ طبقات الحنابلة: للإمام أبي يعلى الفراء (ت ٥٢٦ هـ) تحقيق محمد حامد الفقي/ مطبعة السُّنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ.
٧٣ ـ طبقات الشافعية: للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١ هـ) تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناجي/ مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٣ هـ.
٧٤ ـ الطبقات الكبرى: للإمام محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ/ دار صادر ـ بيروت سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م.
٧٥ ـ العقود الدُّرِّيَّة في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: للإمام ابن عبد الهادي، تحقيق محمد حامد الفقي/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٧٦ ـ عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: للإمام أحمد بن أحمد الغبريني/ طبع بمدينة الجزائر سنة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م.

٧٧ - غاية النهاية في طبقات القراء: للإمام أبي الخير محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣ هـ) /نشره: ج. برجستر اسر، تصوير مكتبة الخانجي بمصر عنها سنة ١٣٥٢ هـ.
٧٨ - العوائق: للأستاذ محمد أحمد الراشد/ مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨ م.
٧٩ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام ابن حجر العسقلاني بعناية محب الدين الخطيب، ورقم أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي/ المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.
٨٠ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: للإمام الشوكاني/ مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٨٠ هـ.
٨١ - الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة: للإمام مرعي بن يوسف الحنبلي، تحقيق د. محمد الصباغ/ الدار العربية - بيروت سنة ١٣٩٧ هـ.
٨٢ - فوات الوفيات: للإمام محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ مطبعة السعادة سنة ١٩٥١ م، نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.
٨٣ - كتاب الزهد: للإمام هناد بن السَّرِي (ت ٢٤٣ هـ) نسختي المصورة عن الأصل المحفوظ في طوب قابو سراي باستانبول.
٨٤ - كتاب الغيبة والنميمة: للإمام ابن أبي الدنيا، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف/ تحت الطبع.
٨٥ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة/ طبعة استانبول سنة ١٣١٠ هـ، الطبعة الأولى.
٨٦ - كشف الخفا ومزيل الإلباس: للإمام إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢ هـ)، صححه وعلق عليه أحمد القلاش/ مكتبة التراث بسوريا.
٨٧ - كنز العمال: للإمام علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ضبطه وفسَّرَ غريبه بكر حياتي، وصححه، ووضع فهارسه صفوت السَّقّا/ مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٣٩٩ هـ.
٨٨ - اللباب في تهذيب الأنساب: للإمام ابن الأثير المؤرخ/ طبع بمصر سنة ١٣٤٦ - ١٣٦٩ هـ.
٨٩ - لسان العرب: للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١ هـ)/ دار

صادر ـ بيروت، سنة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م.
٩٠ ـ لسان الميزان: للإمام ابن حجر العسقلاني/ طبع في حيدر آباد الدكن ـ بالهند، سنة ١٣٣١ هـ.
٩١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للإمام علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٩٢ ـ مجموع الفتاوى: للإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ): جمعها ورتبها الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ومساعدة ابنه محمد بن محمد بن عبد الرحمن/ مكتبة المعارف ـ الرباط، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١ م.
٩٣ ـ مرآة الجنان: للإمام اليافعي/ طبع في حيدر آباد الدكن ـ الهند، سنة ١٣٣٧ ـ ١٣٣٩ هـ.
٩٤ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: للإمام سبط ابن الجوزي/ طبع في حيدر آباد الدكن ـ الهند، سنة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م.
٩٥ ـ مراصد الإطِّلاع على أسماء الأمكنة والبِقاع: للإمام عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي/ مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة، سنة ١٩٧٤ م.
٩٦ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: للإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري/ النسخة المصورة عن «مجموعة لاندبيرج» رقم ٣٤١.
٩٧ ـ المستدرك على الصحيحين: للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ)/ طبع في حيدر آباد الدكن ـ الهند، سنة ١٣٣٥ هـ.
٩٨ ـ مسند أحمد بن حنبل: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)/ المكتب الإسلامي، ودار صادر ـ بيروت.
٩٩ ـ مسند أبي داود الطيالسي: منحة المعبود.
١٠٠ ـ مسند أبي يعلى: للإمام أحمد بن علي التميمي (ت ٣٠٧ هـ)، تحقيق حسين سليم أسد/ دار المأمون للتراث ـ دمشق. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.
١٠١ ـ المصنف: للإمام عبد الرزاق بن همام الصَّنْعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي/ نشره المجلس العلمي الباكستاني.
١٠٢ ـ المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية: للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٣ ـ معجم البلدان: للإمام ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)/ طبع في طهران، سنة ١٩٦٥ م.
١٠٤ ـ معجم الشيوخ الكبير: للإمام أبي عبد الله الذهبي/ نسخة خطية مصورة عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٦٥ حديث.
١٠٥ ـ المعجم الكبير: للإمام أبي القاسم أحمد بن سليمان الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق الأستاذ حمدي عبد المجيد السلفي/ مطبعة الوطن العربي ـ بغداد. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
١٠٦ ـ معجم المؤلفين: للأستاذ عمر رضا كحالة/ مطبعة الترقي بدمشق.
١٠٧ ـ مكارم الأخلاق: للإمام الطبراني، تحقيق د. فاروق حمادة/ مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
١٠٨ ـ الملل والنحل: للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، /طبع بالقاهرة على هامش كتاب «الفِصل».
١٠٩ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: للإمام أبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)/ طبع في حيدر آباد الدكن ـ الهند، سنة ١٣٥٧ هـ ـ ١٣٥٨ هـ.
١١٠ ـ منهاج السُّنَّة: للإمام ابن تيمية/ طبع في بولاق بالقاهرة سنة ١٣٢١ هـ.
١١١ ـ المهدي بن تومرت حياته وآثاره: د. عبد المجيد النجار/ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت سنة ١٩٨٤ م.
١١٢ ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: للإمام ابن تيمية /طبع بهامش «منهاج السُّنَّة»، مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٣٢١ هـ.
١١٣ ـ موضوعات الصغاني: للإمام أبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠ هـ)، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف/دار نافع للطباعة والنشر ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م.
١١٤ ـ موضوعات الفَتَّني (تذكرة الموضوعات): لإمام محمد طاهر الصدِّيقي الهندي (ت ٩٨٦ هـ)/ المطبعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ.
١١٥ ـ الموطأ: للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة.
١١٦ ـ ميزان الاعتدال: للإمام الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي/ مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة، سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م.
١١٧ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: للإمام يوسف بن تغري بردي الأتابكي

(ت ٨٧٤ هـ)/ دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
١١٨ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للإمام المقرّي /طبع في مصر، سنة ١٣٠٢ هـ.
١١٩ - هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المضفين: لإسماعيل باشا بن محمد البغدادي/ طبع في استانبول سنة ١٩٦٠ م.
١٢٠ - الوافي بالوفيات: للإمام صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق جماعة من المستشرقين والعرب. ونشره الألمان.
١٢١ - الوفيات: للإمام تقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق صالح مهدي عباس، وإشراف د. بشار عواد معروف/ مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.
١٢٢ - وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان: للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن خَلِّكان (ت ٦٨١ هـ)/ دار الثقافة - بيروت سنة ١٩٧١ م.

ب - فهـرس المراجـع المخطوطـة والمطبوعـة:

١٢٣ - أطراف أحاديث مجمع الزوائد، والمطالب العالية: صنعه محمد سعيد زغلول. نسخة مصورة عن الأصل الخطي للمؤلف.
١٢٤ - أعلام النساء: للأستاذ عمر رضا كحالة/ المطبعة الهاشمية - دمشق سنة ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م.
١٢٥ - دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية محمد ثابت أفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس. طبعت في مصر سنة ١٩٣٣ - ١٩٥٧ م.
١٢٦ - رجال مجمع الزوائد: صنعه شيخنا العلامة حامد إبراهيم المصري. نسخة في خزانتي كتبت عن نسخة شيخنا المؤلف.
١٢٧ - فهرس عناوين المخطوطات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد: إعداد بديعة يوسف، وفاتن عبد الصاحب، وحسين العزاوي. جامعة بغداد سنة ١٩٧٩ م.
١٢٨ - فهرس الخزانة التيمورية/ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م.
١٢٩ - فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية لغاية ١٩٢٥ م/ مطبعة دار الكتب

المصرية ـ القاهرة سنة ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م.

١٣٠ ـ فهرس الموضوعات بالمكتبة الأحمدية ـ دار الكتب الوطنية بتونس.

١٣١ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية «التاريخ وملحقاته»: وضعه يوسف العش/ طبع بدمشق سنة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م. وكذا الفهرس التاريخي الذي وضعه خالد الريان سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م.

١٣٢ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية «المنتخب من الحديث»: وضعه الشيخ ناصر الدين الألباني/ مطبعة الترقي ـ دمشق سنة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.

١٣٣ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية: وضعه فؤاد السَيِّد /مطبعة دار الكتب في ثلاثة أجزاء.

١٣٤ ـ فهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية: صنعه فؤاد السَيِّد، طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م.

١٣٥ ـ فهرس المخطوطات المصورة بمركز الوثائق والتوثيق بالجامعة الأردنية: إعداد د. محمد عدنان بخيت/ طبع في عمان.

١٣٦ ـ فهرس مخطوطات الموصل: وضعه د. داود الجلبي الموصلي/ مطبعة الفرات ـ بغداد سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١١٩٢٧ م.

١٣٧ ـ فهرس المكتبة الأزهرية: وضعه أبو الوفاء المراغي في سبعة أجزاء.

١٣٨ ـ فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف: صنعه د. عبد الله الجبوري/ طبعة الإرشاد ـ بغداد سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م.

١٣٩ ـ فهرس المكتبة العبدلية بتونس. وضع سنة ١٣٢٦ هـ ـ ١٣٢٩ هـ/١٩٠٨ ـ ١٩١١ م.

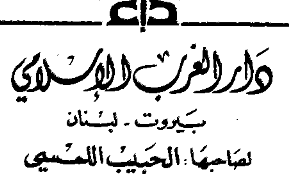
١٤٠ ـ الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف: وضعه د. محمد أسعد طلس/ مطبعة العاني سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م.

١٤١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف: صنعه فنسينك مع لفيف من المستشرقين/ مكتبة بريل في ليدن سنة ١٩٣٦ م.

١٤٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: صنعه محمد فؤاد عبد الباقي/ مطابع الشعب ـ القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ.

١٤٣ ـ موسوعة أطراف النبوية: أعدَّها الشيخ حامد إبراهيم المصري، والأستاذ محمد سعيد زغلول، وقام بإخراجها الثاني. وهي في ثلاثين مجلداً/ طبع منها جزآن، والباقي مخطوط. وفي مكتبتي صورة عن الأصل الخطي للكتاب.

١٢ ـ فهـرس الموضوعـات



بيروت ـ لبنان

لصاحبها: الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) ـ الحمراء ـ بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 ـ ص . ب . 5787 - 113 بيروت ـ لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 1986/4/3000/88

التنضيد الإلكتروني : كومبيوتايب للصف الطباعي الالكتروني

الطباعة : مؤسسة نزيه كركي